

العدد (٣١)
السنة السابعة

تصدر عن: بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
عضو استشاري في المجلس الاقتصادي والاجتماعي / الأمم المتحدة وعضو الائتلاف الفلسطيني لحق العودة

شباط
٢٠٠٩

... ولم يبتلع البحر غزة

يوم التضامن مع غزة، هاوستون، تكساس، الايات المتحدة، كانون الثاني ٢٠٠٩ (المصدر: flickr.com)

ملف العدد:

التضامن العالمي مع فلسطين:
إبداع في الأدوات واتساع في المدى

ساهم في هذا العدد

عبدالفتاح القلقيلي - أبو نائل (رام الله)
حازم القواسمي (رام الله)
نهاد بقاعي (الجليل)
رفعت قسيس (بيت لحم)
حازم جمجوم (كندا)
سالم أبو هواش (الخليل)

مازن قمصية (بيت لحم)
آرلين ي. كليماشا (البرازيل)
ريتش كين (بريطانيا)
عيسى قراقع (بيت لحم)
ريم صلاحي (الولايات المتحدة)
حيدر عيد (غزة)

نورا باروس- فريدمان (الولايات المتحدة)
أحمد جرادات (الخليل)
يوسف عيسى خليفة (بيت لحم)
رنين جريس (حيفا)
أمجد سرحان (رام الله)

الافتتاحية

...ولم يبتلع البحر غزة

بإعلان نتائج الانتخابات الإسرائيلية استيقظ كثيرون ليكتشفوا أن البحر لم يبتلع غزة! بقي البحر، والموج، والحصار، وبقيت غزة صامدة وان كانت جريحة مدماة.

هدأت المدافع قليلا ولكن لم تنته الحرب! توقف الهجوم الحربي الشامل، وأعلن وقف "العمليات العدائية"، ولكن ما لا يمكن تفويته من "فرص سانحة" بقيت تغذي رغبة القتل لدى آلات الحرب الإسرائيلية! صمدت غزة، وكظمت ألمها، ولم تنكسر.

الضغط، والخنق، والعصر، وكل أصناف "التحاور" مع غزة لا زالت الخبر الرئيس، وموضوع طاولات الحوار، وما يتردد على السنة الساسة في كل المحافل، وما تحمله الجمل المتسربة من كواليس غرف الحسابات الحزبية والشخصية. قد يكون المشهد قد تغير قليلا عما كان عليه قبل ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨، ولكن محددات ماهية النهاية بقيت على حالها.

ربما كان فرض التهدئة احد أهداف الهجوم الحربي الشامل، ربما كان التلاعب بشروط التهدئة الوصفة الأفضل للادعاء بالانتصار على الشعب الأعزل، ولكن الثابت الوحيد الآن هو أن التهدئة لم تعد هدفا أو وصفة مقبولة. ربما يكون ربط التهدئة بشاليط هو عربة كاديما لحكومة الرأسين، أو عقبة مصطنعة تقام أمام حكومة الليكود المتبجح، وربما يكون هذا الربط استدعاء جديدا لمثيرات الانقسام الفلسطيني... ربما يكون بعض أو كل ذلك، ولكن الثابت الوحيد في المسألة هو أن التهدئة رهن بإرادة الأحزاب الإسرائيلية صغيرها وكبيرها، الواقف على سدة السلطة أو الجالس على مقاعد المعارضة.

قبل وخلال وبعد الهجوم الحربي الشامل، وكعادتها، لم تتوان إسرائيل عن الدفع بحق الدفاع عن النفس لتسويغ حربها على قطاع غزة، بل ولم تجد حرجا في تحميل الضحايا المسؤولية. الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي ودول أخرى أسفوا لسقوط الضحايا المدنيين، ولم يتورعوا عن مساواة القاتل بالضحية عبر تسويق حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، واكتفوا بالتمني عليها بمحاولة تجنب المدنيين. أما بقية المجتمع الدولي، إن وجد أصلا (باستثناء فنزويلا وبوليفيا)، فكان غائبا أو يمارس الإدانة اللفظية رفعا للعتب.

المشهد على المستوى الشعبي كان مختلفا كليا. والاختلاف لم يكن فقط كميا، بل نوعيا أيضا. ضمن سياق تنامي حركة التضامن مع فلسطين وغزة، يمكن تلمس ذلك في نوع الهتاف، ومضمون الشعار، وساحات العمل ومجالاته؛ بل يمكن القول أن مجرد السعي لوضع برنامج لحركة التضامن العالمية مع فلسطين، ناهيك عما أنجز فعلا، هو بداية تحول يمكن البناء عليها. فلم يكن تقليديا أن تتضمن فعاليات التضامن مع فلسطين المطالبة بمحاسبة إسرائيل، ومقاطعتها، والتأكيد على حق العودة. السؤال هنا كيف يتم البناء؟ أو قل أين الفلسطينيون وتحديدا م. ت. ف من عملية المراكمة المنظمة المطلوبة؟

الواضح الجلي والثابت أيضا أن إسرائيل تدفع بإبقاء الملفات مفتوحة؛ فلم الاستعجال في قفل أي منها ما دام الأمر يخدم الإستراتيجية الصهيونية؟ إبقاء الملفات مفتوحة يمكّنها على الأقل من إذكاء أي من المبررات سواء لتجديد الهجوم الحربي، أو لجعل التحاور على شروط التهدئة مثله مثل مفاوضات السلام– مفاوضات علاقات عامة، أو للإفادة من الانقسام الفلسطيني، أو للاستيلاء على مزيد من الأرض... لم الاستعجال ما دامت القضية والحقوق تستبدل في مطالب جانبية؟

إن السياسات الإسرائيلية، ومن خلفها سياسات الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ما هي إلا استكمال لمشروع بدأ قبل ستين عاما بإنشاء إسرائيل. إن ما يجري اليوم في قطاع غزة، وما يجري من حوارات حول القطاع، لا يجوز فصله عن كافة مركبات الصراع وجذوره. صحيح أن الوضع في القطاع يستدعي معالجة ملحة، ولكن هذه المعالجة ستكون عقيمة إن تم التعامل معها بالانفصال عن مجمل جذور ومركبات الصراع. ومخطئ من يظن أن الهجوم الحربي على غزة منقطع عما جرى قبل وخلال النكبة عام ١٩٤٨. وهنا بالضبط مربط الفرس، أو قل من هنا بالضبط يعود السؤال: "ما هي الإستراتيجية الفلسطينية؟" ليفرض نفسه بقوة وإلحاح. هل ما زال مقبولا انتظار ما يمكن أن تقدمه الإدارة الأمريكية؟ هل ما زال مقبولا انتظار حدوث شقاق دراماتيكي بين الموقف الأوروبي والأمريكي؟ هل ما زال مقبولا أن ننتظر تشكيل الحكومة الإسرائيلية الجديدة؟ هل ما زال مقبولا التفريق بين يمين و يسار إسرائيلي؟ هل ما زال مقبولا أن نبني إستراتيجيتنا على متغيرات لفظية وشكلية وهامشية؟

لا خلاف على وجوب التعامل مع هكذا متغيرات، ولكن الثابت عبر تاريخ الإنسانية أن درب التحرر، وتقرير المصير، والعودة إلى الديار الأصلية لا يمكن أن يشق بلا استراتيجية صلبها الحقوق ضمن كل المتغيرات.

إن الادعاء بحق الدفاع عن النفس ليس جديدا، وان التواطؤ مع سياسات الاحتلال، والاستعمار الاحلالي، والتمييز العنصري ليس جديدا، وان التنكر لحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، ولحق ثلاثة أرباعه من اللاجئين والمهجرين في العودة إلى ديارهم الأصلية ليس جديدا. إن مساواة القاتل بالضحية عبر نداءات مثل "وقف العنف المتبادل" أو وقف "إطلاق النار"، وضرورة "تثبيت وقف إطلاق النار"، وغيرها من النداءات والادعاءات ليست جديدة؛ الجديد الثابت أن غزة صمدت ولم يبتلعها البحر. فهل ما زال هناك متسع للمراهنة على ما سيأتي أم أن الوقت قد حان للتأسيس لما يجب أن يكون؟

هيئة التحرير

فراغ الجنازة...

عيسى قراقع*



من رسومات الفنانة زينب شهيد

السماء هذه الليلة مغلقة
لا يصل الدعاء الى الله
السماء هذه الليلة من حديد
لأول مرة ينقطع الوصل بين الرجاء والصلاة

الخوف: أن لا تموت مكتمل الجسد
الخوف: أن يقتلك طيار لا تراه
الخوف: أن يصير الموت ملجأ
وهنا تأتلف القيامة مع الحياة

في غزة لا احد يبحث عن الصباح
كلما جاءت الشمس ابتعدت
ليس موعدنا اليوم
لا زلتُ ابحث عن بقايا جثتي في منامي
أحاور حلمي المؤجل
أقول للموتِ تمهل
حتى ارتديَ شبحي وأملأ فراغ الجنازة

ريح ونار تنقر الجدران
ريح تبكي في نواقيس الوقت
ريح يجس أطرافها وصرتها لعله يعرف هلال حيضها
ويبصر جنين الأحشاء
خذيه إليك يا ارض الصور
هل بقيت في فراشك وسادة لرأس لم يعرف النوم

في غزة للصدى رائحة
في غزة لا احد يفتح الباب
الأبواب مفتوحة
لا احد يدعوني لتناول كأس قهوة
حتى عندما تختفي الطائرات
يقول الجيران : إنني لازلت نائما تحت الأنقاض
غاضبا على عزلة الآلهة

في غزة تضع قدما في المتوسط وقدما في القدس
انتحبي أيتها الأبجدية ما شئت لن يصغي إليك إلا الحجر والعذاب
يتوقع الشاعر انهيارك أيها العالم
يتوقع أن تنقلب أشجارك الى أجراس من اللهب
أن تصير كل حصاة فيك لوحا مكتوبا بالدمع
ومن أين يجيء هذا الأفق الذي لا يعرف أن يقرأه غير الرماد

تقتفي الأرض خطوات الشهيد.. تقتفي الغيب
لماذا تستمر في سباتك أيها النشيد البعيد
أشباح تسن أظفارها وتغرسها في غبار الشوارع
من أين لك هذا الإكليل المدمي يا رأس التاريخ

وحيدون بلا أطراف
وحيدون بلا ماء
لنا أخوة خلف المدى
لنا ما فينا من خيال السجين
لنا ما يكفي لاكتمال موسيقى القافية
في الحرب يلتصق المكان بأشلائنا
في الحرب يقترب الوقت من الهاوية
لا حائط لنا للبكاء
لا حاخام يعيدنا من الأسطورة
ومن أين للجحيم أن يعقد هدنة مع ضوء القمر

الأفق يتجرع السم شاهدا على الخوف
في الهواء والماء والعشب يولد الخوف..
خوف الساكنين من بيوتهم التي رفعوها
خوف المسافر من طريقه .... خوف الجسد من رأسه ويديه

لكن هيهات أن يترجل القمر كي يقنع الناظرين إليه
بأرواحهم انه تراب كأخته الأرض... ولا ماء فيه

لا عشب... مع أنهم يؤكدون انه مسكون بالملائكة وخرافها

كيف تمكن الحياة على ارض لا يتكلم فيها احد غير السماء
هل تريدين أنت كذلك أيتها العشبة أن أدلك على الماء
وأظل اسأل لماذا لا يوجد في حب السماء للأرض غير القبور

دم وعشر قنابل على الطاولة
دم يصلح للمتاجرة في فضاء العرب
دم ينفع للعشاء الأخير على المائدة
هنا طفلة قتلوا أبوها ودفترها المدرسيّ
هنا ولد بلا يد .. وهنا بيت بلا سقف وعمد
ومن أين لمدرسة الفاخورة أن تنعش الأبدية والذاكرة

يسألني دمي : هل انتصرنا ؟
الانتصار : أن تلملم المعنى من الغبار
الانتصار : أن تحيي عظامي وتضيء القناديل
الانتصار : أن يتوحد فينا الحي والقتيل
الانتصار : أن تجدني غدا ... ليس لي بديل
ومن أين للملائكة أن تقنع أمي باني لا زلت سيد النهار

يكاد جلدي يلتصق بجلدك أيتها الأرض
بينما أرى الزمن العربي يدور في معصمك كمثل سوار مكسور

والعجب أن الكواكب التي كان شعراؤنا القدامى يخاطبونها
وتصغي إليهم قد نسيتنا ... مع أن يد الله منذ بدء التكوين كانت معنا ولا تزال
أصغوا: قائد يخطب كأنه ابتلع تنينا... لا تصغوا
الرحيق في التراب لا في الكتاب... الورد في الحقل لا في الهيكل ... ويكاد الهواء أن يختنق من دخان الكلام
وحمدا لابتكاراتنا ... حمدا للصفر

قال لي الموت : هل أنت لاجئ والمخيم مقبرتك الدائمة؟
قلت: دع مخيم جباليا يستعيد المسافة بين الصورة والظلال

لا غناء في الجحيم يعيد الأندلس الى ابن زيدون
احتكار المحرقة سقطك الآن وكل خرافة زائلة
وقلت: العودة صارت من يخلع ثوب الضحية
ويزرع سنبلة في الجليل

ليس لك عمل أيها الموت سوى أن تفتش عن رفاتي
ما بين غزة وحيفا
تعددت روحي وبلادي واسعة

في غزة يكسر المتنبي سيف اللغة
ويعيد معين بسيسو تركيب التابوت
فاحمل جناحك كي تموت أو تموت
الصواريخ تقشر جلدك بالبياض المسلح
وعليك أن تصدق انك ذاهب للجنة
محمولا على النهر واللازورد والياقوت

في القمة نفخوا في الشعار حتى آخر قذيفة
بايع الخلفاء ذلك الأمير الذي يجيد اللغة العبرية
اتفقوا أن فيك خللا بنيويا
لا ينسجم مع إيقاع القصيدة
في القمة احتفلوا بدمك المحروق
ووزعوك على قوس قزح
مصهورا بالرصاص
مصبوبا على حنين من فولاذ
ممنوعا أن تصاب برذاذ الفرح

امرأة وخمسة أطفال يرضعون الانتظار
قل بأي ألاء جنونك ينتهي الحصار
قل بأي ألاء نشيدك يستيقظ الأنبياء
امرأة وخمسة أطفال والأرض قبر فاغر فاه
وحين يستيقظ المكان يسيل النبيذ احمر
وحين يشفى التاريخ يستيقظ الصغار

---

* عيسى قراقع: كاتب وأديب، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني

مخيم كمال عدوان، غزة (وكالة وفا)

النكبة الثانية

بقلم: ريم صلاحي*

التاريخ يعيد نفسه. تقف أمامي امرأة فلسطينية متوسطة العمر، تعلق في عنقها مفتاح بيتها المهدوم. هُجرت من بيتها في النكبة الأولى في العام ١٩٤٨، لكي تعيش النكبة الثانية، نكبة العام ٢٠٠٩، نكبة أكثر دماراً وأكثر موتاً من الأولى.

بغية الوصول إلى مدينة الخيام في جباليا، سلكنا طريقا مليئة بالخراب، بيوت وجوامع وبنايات وأفران ومخازن مُهدمة. أردتُ مشاهدة مدينة الخيام في جباليا، لكي ألتقط بعض الصور والتحدث إلى الناس الذين يعيشون هناك. لقد كان هؤلاء، بدون شك، من أكثر المتضررين من العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة. كما تقلصت حياتهم، بعده، إلى خيمة بيضاء بمساحة ١٨٠ سم ×٢٣٠ سم، يسكنها حوالي خمسين نفرا. أينما نظرنا هناك، كان الدمار والخراب والأطفال. أطفال فقدوا أسقف بيوتهم من فوقهم، يقفون اليوم متأثرين بجراحهم الجسدية، ولكن أيضا بتواصل القصف الإسرائيلي على القرى الحدودية. تمشى أحد الأطفال في الطريق ذهابا وإيابا حاملا معه شظية مربوطة بحبل طويل. لقد كانت هذه هي لعبته الجديدة بعد أن فقد ألعابه القديمة تحت أنقاض ما كان بيته. ووقف الرجال من حول هذا المشهد يشربون الشاي ويتحدثون. ومن الجهة الأخرى للتلة، حيث الردم والخيم، كان هنالك رجل آخر يصلي على مُصلى. لقد أخذ الإسرائيليون منه كل ما يملك، ولكنهم لم يستطيعوا أخذ ربه منه. ولذلك يسجد الرجل في صلاته بخشوع.

يقف الفلسطينيون تحت الشمس الحارقة يوماً بعد يوم، يعيشون حياتهم بدون هدف واضح. كان العديد منهم مزارعين، وفقد غالبيتهم أفرادا من عائلاتهم. وجميعهم فقدوا بيوتهم ومزارعهم. هناك، تجلس سيدة عجوز على الرمال تطرد الذباب، فتوجهنا إليها. لقد عرفنا من سكان مدينة الخيام أنها عاشت النكبتين، النكبة الأولى في العام ١٩٤٨، والنكبة الثانية في العام ٢٠٠٩.

ولدت هذه السيدة، واسمها صبحة يوسف محمد العبد، في العام ١٩٤٥. عاشت النكبة الأولى والثانية، ففقدت في الثانية زوجها وبيتها ومزرعتها. في العام ١٩٤٨، فقدت السيدة صبحة بيتها بالقرب من يافا حيثما تقع حاليا ضمن حدود "إسرائيل". وما أن حضرت القوات الصهيونية، هُجرت عائلة السيدة صبحة من قرية لأخرى خوفا من بطش المليشيات الصهيونية، إلى أن وصلت الى غزة، ومن ثم الى قرية جباليا بعد عدة أشهر. بعد النكبة الأولى، سكنت السيدة صبحة في الخيام لعدة سنوات، ولكن أوضاعها المعيشية تحسنت مع الوقت، فسكنت في غرف مبنية من الطوب والاسمنت المسلح، وصولا الى بيت كامل ومزرعة بنتهما حجرا على حجر بعرق جبينها وبعد طول عناء.

كانت السيدة صبحة في فترة النكبة الأولى في عز صباها وشبابها، ولهذا فهي تتذكر التهجير المتواصل من قرية إلى أخرى. تتذكر إطلاق النار عليها، وفقدانها لأفراد من عائلتها. تتذكر حياة انعدام الاستقرار والطمأنينة، الخيًام، المجاري المنسابة بينها. ولكن أكثر ما تختزنه ذاكرتها، بناء بيتها حجرا على حجر، وادخار المال الزهيد من العمل الشاق لإتمامه. في النكبة الثانية على قطاع غزة، فقدت السيدة صبحة بيتها في الأسبوع الأول من العدوان الإسرائيلي على غزة، وعادت اليوم لكي تعيش مع أبنائها في خيمة مرة أخرى.

لم تجرِّب السيدة صبحة حياة الاستقرار أبداً. لقد عايشت الحروب الإسرائيلية المستمرة، والقصف من قبل القوات الإسرائيلية والمستوطنين. ومع ذلك، فإنها لم تشهد أبداً سفك دماء غزير، وسياسة وحشية قمعية تستهدف إخوانها الفلسطينيين مثلما تجلى في العدوان الإسرائيلي الأخير على قطاع غزة.

لقد بدأ سلاح الطيران الإسرائيلي بقصفه الجوي على جباليا في اليوم الثاني من بدء العدوان. تم تفجير البيوت، وحاول بعض الجيران الهرب، ولكن العديد منهم احتجزوا كرهائن لدى الجنود الإسرائيليين، والبعض الآخر قُتل أو أصيب بجروح خطيرة. أما من كانت إصابتهم متوسطة، فقد نزفوا حتى الموت بسبب استحالة وصول الإسعاف إليهم. لقد عجز سائقوا سيارات الإسعاف تخطي كيلومتر واحد يفصل بين مقر الهلال الأحمر الفلسطيني، والمناطق التي تتعرض للقصف. تحدثت السيدة صبحة عن العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة، فارتعشت واستشاطت غضبا. "أخبريني، أين هم المقاتلين؟" ألحت السيدة صبحة بسؤالي. "هل هؤلاء الأطفال هم مقاتلين؟" تساءلت السيدة صبحة، "هل هنالك أي إنسان يستحق أن يعيش الحياة التي نعيشها؟ هنالك خمسين شخصاً داخل خيمة واحدة لا يملكون أغطية للنوم ولا غذاء ولا ماء. أين سنقضي حاجتنا؟ لقد سلبوا منا احترامنا وكرامتنا. نحن أقل من الحيوانات في نظرهم. حتى الحيوانات لديها حقوق أكثر منا". بالنسبة الى السيدة صبحة، فإن العدوان الإسرائيلي لا يمكن توصيفه بأقل من "إبادة جماعية". "إن الصهاينة هربوا من المحرقة وأنتجوا واحدة أخرى. أرادوا أرض بلا شعب" قالت ببساطة. بالنسبة لها، لم تكن تلك الحرب مع حركة حماس، وإنما هي مذبحة، هدفها الوحيد القضاء على الفلسطينيين، ومسحهم من الوجود.

لقد أخبرتنا السيدة صبحة كيف اجتاح الجنود الإسرائيليون قريتها في وضح النهار، ففصلوا الرجال عن النساء. كانت وجوه الجنود مصبوغة بالأسود، وكانوا يضربون الرجال على أقدامهم. وعندما شاهدت السيدة صبحة الجنود يأخذون أولادها كرهائن، تركت زوجها العجوز ومزرعتها وذهبت لتختبئ في بيت قريب من تواجد الرهائن. أما النساء الأخريات، فأجبرن على السير على الأقدام إلى مركز المدينة تحت القصف الجوي والمدفعي المتواصل. كان كل من يحاول المقاومة أو يستدير إلى الخلف يُقتل في الحال رميا بالرصاص. كانت جثث الموتى والجرحى منتشرة على طول الشوارع والطرقات. وكانت روائح الفسفور والجثث الهامدة منتشرة في المنطقة.

وفي الوقت الذي اختبأت فيه السيدة صبحة في مكان سري لبضعة أيام، تم إجبار زوجها على هجر مزرعته، ومن ثم تدميرها. لقد جرفت الجرافات المزرعة، وجدرانها، وحتى الماعز، والأغنام، والصيصان والجمال لم تسلم وقضت. في هذه الأثناء، وقف زوج السيدة صبحة على الشارع المقابل، وشاهد بأم العين مزرعته وبيته يدمران. وبعد دقائق، قتل جراء إصابته بقذيفة إسرائيلية، ثم انهار أحد جدران مزرعته على جثته الهامدة لبضًعة أيام.

وفيما كنا نستمع لحديث السيدة صبحة معنا، تجمع حولنا أهل القرية بكاملها. حتى الأطفال، الذين أحاطونا بدائرة، حاولوا منح إضافتهم إلى رواية السيدة صبحة. طفلة في السابعة أو الثامنة من عمرها، سحبتني من يدي وهي تقول لي: "كان بيتي هناك"، مشيرة بيدها إلى أنقاض بيت. كانت هذه الطفلة في مدرستها عندما بدأ القصف على غزة. لقد خافت أن تصيبها القذائف، كانت خائفة جدا الى درجة الارتباك، وهو ما أدى الى إغمائها. في هذا العدوان، فقدت أخاها، بالإضافة إلى العديد من أفراد عائلتها الممتدة.

لم تكن السيدة صبحة وحيدة في غضبها. يمكنني القول أنني لم التق شخصا واحدا في غزة لم يُصب بأذى أو لم يكن غاضباً من الوحشية الإسرائيلية. بعد توجيه مقابلة مع أحد الوفود، تحدث اليّ المخرج أشرف مشرقاوي من القناة البريطانية الرابعة، عن ابن عمه، أحمد، البالغ من العمر ١٦ عاما، والذي تمزّق من النصف، لما يعتقد أنه نتيجة قذيفة "دايم". وتنتج قذيفة الدايم (Dense Inert Metal Explosives) انفجارا هائلا وغير اعتياديا ضمن منطقة صغيرة، وتؤدى الى تأثيرات بيولوجية جسيمة. لا يؤدي إنفجار "الدايم" الى نزيف دموي، ولكنه يمزِّق ويقطِّع الجسم بسلاسة كعملية استئصال. ورغم أن إسرائيل لم تؤكد استعمالها "للدايم" بصورة رسمية، إلا ان خبراء أسلحة وأطباء زاروا غزة أكدوا استخدام هذه النوع من السلاح بصورة غير رسمية.

كان أحمد يلعب مع محمد، إبن الحادية عشرة، وهو شقيق المخرج أشرف على سطح البيت عندما أصابهما صاروخ. قتل الاثنان على الفور، وانقسم جسد أحمد الى نصفين. بعد عدة أيام، كان النصف السفلي لجثة أحمد قد انوجد على بعد كيلومترات من مكان السقف الذي لعبا عليه احمد ومحمد. كما استأصلت أرجل أحمد وأحد ذراعيه بشكل مشابه عن جسده، حيث وجدها اقاربه على السطح.

أنا أعترف أن رؤية صور الاستئصالات التي تؤديها قنابل الدايم، هي من أكثر المشاهد المريعة التي يمكن أن تتخيلها. لقد أطلعني أحد الأطباء في مستشفى العودة على مقطع فيديو مسجل على جهازه الخليوي، يعرض جسد طفلة انقسم الى نصفين. كان نصفها العلوي أسودا من الإنفجار، أما نصفها السفلي فقد انقسم من عند الخاصرة، وكشفت أمعاؤها وتدلت الى الخارج، ألم يشاهد العالم أجمع هذا المنظر المروع والفظيع!!.

لقد شاهدت الفيديو من خلال جهاز الطبيب الخليوي، ولكني لا أستطيع وصف منظر الفتاة. حتى الآن، وأنا أكتب هذه السطور عنها، ما زلت أشعر بالدوار والاشمئزاز. حتى الطبيب الذي شاهد نماذج مختلفة للموتى بدون شك، وحين توجه لكي يرى جثمان الطفلة لأول مرة، وقع على الأرض وبدأ بالنحيب. لم توافق أية قناة إخبارية، ومن ضمنها قناة الجزيرة على تصوير جثمان الطفلة. وبعد أن رأيت الفيديو، أستطيع أن أفهم ذلك.

ستجري الانتخابات في إسرائيل، والسؤال الذي يدور في ذهن الفلسطينيين، ليس من سيحل مكان إيهود أولمرت، ولكن متى سيبدأ العدوان الإسرائيلي القادم، كم سيُقتل من الفلسطينيين؟ ومتى ستحل الإبادة الجماعية القادمة التي ستحاول محو ذاكرة الفلسطينيين جميعا من الوجود؟

قبل مغادرتي لمدينة الخيام في جباليا، أخبرت السيدة صبحة: "إنشاء الله، سأرجع لزيارتك في أيام أحسن وأسعد". فضحكت ومسكت يدي وقالت: "عندما تعودين، ستكونين محظوظة لرؤية جميع الفلسطينيين قد غادروا. الأفضل لنا ان نُقتل، لأن حياتنا صعبة ومؤلمة. كل ما تمنيته في حياتي هو السلام والاستقرار، إلا أنني فقدت الأمل الآن. لأنني عشتُ عدة حروب، ولكنني لم أر في حياتي حربا كهذه الحرب من قبل. الآن، عرفت لماذا تريد إسرائيل محونا عن الأرض، لقد فشلت بإبعادنا، ولكنها لن تفشل في المرة القادمة. هذا ما قصدته عندما قلت أنك عندما تعودين في المرة القادمة، فلن تجدي احداً. الحمد لله، هذا ما استطيع قوله، الحمد لله".

---

* ريم صلاحي: محامية في الاتحاد الأمريكي للحقوق والحريات العامة/ جنوب كاليفورنيا. ناشطة قانونية وحقوقية، شاركت في عضوية وفد نقابة المحامين الوطنيين (NLG) الذي زار قطاع غزة مؤخرا. و هذا المقال هو احد المقالات التي عملت ولا زالت تعمل الكاتبة على نشرها عن القطاع.

شارْبي فيل ١٩٦٠ - غزة ٢٠٠٩

بقلم: د. حيدر عيد*

"من وين بقدر أجيبلو أبو؟ من وين بقدر أجيبلو إم؟ قوللي!"

هذه هي كلمات صبحي السموني اليائسة لمراسل الجزيرة في غزة. لقد فقد صبحي السموني ١٧ فردا من عائلته، بينهم والدا حفيده البالغ من العمر سبعة أعوام. المريع حقا، أنه حتى في غضون كتابتي لهذا المقال، كانت جثامين عائلة السموني لا تزال تُستخرج من تحت الأنقاض، أي، بعد ١٥ يوما من قصف قوات الاحتلال الإسرائيلية لمنزلي العائلة. حينئذ، حجز الجيش الإسرائيلي حوالي ١٢٠ فردا في بيت واحد لمدة ١٢ ساعة قبل أن يقصفوه على من فيه.

تحاكي كلمات صبحي هذه الواقع المؤلم لجميع فلسطينيي غزة: وحيدون، متروكون، مطاردون، ويعاملون بوحشية، بالإضافة الى كونهم يتامى تماما مثل حفيد صبحي. ٢٢ يوما من أعمال القتل الجماعي الوحشي، طالت أكثر من ١٣٠٠ شهيد فلسطيني، حوالي ٨٥ ٪ منهم مدنيين، بينهم ٤٣٤ طفلا، و١٠٤ نساء، و١٦ طبيب، وأربعة صحفيين، وخمسة أجانب و١٠٥ عجوزاً.

ماذا عسانا فاعلين لتعزية رجل كتب عليه أن يدفن أفراد عائلته جميعا، زوجته، أبنائه، بناته، وأحفاده؟ سأكون ممتنا لو أخبرتموني. ونحن سننقلها إلى العم صبحي، ففاجعته جعلت من كلمات عزائها أقل معنى.

فكروا أيضا بكلمات ستقولونها لرشيد محمد، ٧٠ عاما، الذي تم اغتيال نجله سمير البالغ من العمر ٤٤ عاما برصاصة غادرة في القلب على مرأى زوجته وأطفاله. لقد رفض جيش الاحتلال الإسرائيلي السماح لسيارات الإسعاف بنقل جثته لمدة أحد عشر يوما، ولهذا، كان على أسرته أن تنتظر وقف العدوان حتى تستطيع دفنه.

لقد كان على رشيد أن يمر بهذه التجربة المُوجعة في النظر إلى جثة ابنه المتعفنة، ولمسها، وتقبيلها ومن ثم دفنها. أخبروا تلك العائلة كيف نستطيع تفسير هذا الواقع المؤلم؟ قولوا شيئا لكي ينام الأطفال، أو للتخفيف من كرب أبيه، ولنشرح لزوجته لماذا يجب أن يُخطف زوجها منها؟.

من الممكن أنكم تفضلون الحديث إلى أميرة قرم، ١٤ عاما، حيث تم قصف منزلها في مدينة غزة بقنابل المدفعية والفوسفور. قنابل حرقت حتى الموت ثلاثة من أفراد أسرتها: أباها، وأخاها علاء البالغ من العمر ١٢ عاما، وأختها عصمت البالغة من العمر ١١ عاما. زحفت أميرة لوحدها على ركبتيها، مجروحة ومذعورة، لمسافة ٥٠٠ مترا لمنزل قريب فارغ حيث هجره أصحابه مع بدء العدوان الإسرائيلي. بقيت هناك لأربعة أيام، تعتاش على مياه الشرب، وتستمع لآلة القتل الإسرائيلية من حولها. خائفة من البكاء من الوجع خوفا من أن يسمعها جنود الاحتلال.

وعندما عاد صاحب المنزل لأخذ ملابس لعائلته، وجد أميرة خائرة القوى وقريبة من الموت. وهي تقبع اليوم للعلاج في مستشفى الشفاء المزدحم والفقير الى الموارد اللازمة.

يمكنكم أيضا محاولة تعزية محمد السموني البالغ من العمر ١٠ أعوام، والذي وُجد مرتميا بجانب جثامين والدته وأقربائه، خمسة أيام بعد مقتلهم. سيخبركم بما أخبر الجميع. أن شقيقه قد أفاق فجأة بعد فترة سبات طويلة، وأخبره بأنه جائع، وطلب منه حبة بندورة لكي يأكلها، وحينئذ مات. هل ثمة أطفال يبلغون العاشرة من عمرهم في العالم ممن يُسألون عن حبة بندورة لكي يأكلوها ومن ثم يموتون؟ هل هنالك ثمة أطفال يبلغون العاشرة من عمرهم ممن يُطلب منهم حمل هذه التجربة معهم لبقية حياتهم؟ طبعا لا. إن هذا "الامتياز" محفوظ فقط للأطفال الفلسطينيين، لأنهم ولدوا ببساطة على الأرض التي تريدها إسرائيل لنفسها. ولكن هؤلاء الأطفال المصدومين الذين سينكرون ما تريده إسرائيل، لأن بقائهم اللا متناهي هو تحدي دولة الابارتهايد الحقيقي. هم نفس الأطفال الذين سيرثون فلسطين بكل تأكيد وثقة، فهذا مسقط رأسهم وأي عدوان لن يستطيع تغيير الحقيقة... ليس اليوم... وأبدا.

ومن خلال ذلك، فقد كنا موضع حديث وزيرة خارجية إسرائيل تسيبي ليفني، فهي عنيدة في دفاعها أمام العالم عن أكثر الجيوش "أخلاقية". تقول: "نحن لا نستهدف مدنيين"، تكذب ليفني، "نحن لا نريد أن يترك الفلسطينيون غزة، نحن نريدهم التحرك داخل غزة نفسها!". ويقول رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت بحق فلسطينيي غزة أيضا: "نحن لسنا أعداؤكم، حماس هي عدوكم".

أميرة، محمد رشيد، صبحي، وأكثر من ٤٠،٠٠٠ عائلة تم هدم بيوتها يدركون عكس ذلك. هؤلاء الناس الذين يندفعون بعجلة إلى المقابر بعد قصفها ويجدون أجزاء جثث أقربائهم مقطعة ومكشوفة يدركون عكس ذلك. يدركون أنهم مستهدفون بشكل متعمد بسبب كونهم فلسطينيين. أما بقية "البروبوغاندا" فهي معدة لإرضاء ضمير هؤلاء الذي تلطخت أيديهم بالدم الفلسطيني، ممن هم في داخل إسرائيل، وممن هم خارجها.

لنحو ٢٢ يوما وليال مظلمة، تُرك الفلسطينيين في غزة لوحدهم في مواجهة أحد أقوى جيوش العالم. جيش يمتلك المئات من الرؤوس النووية، وآلاف المجندين السعداء المزودين بدبابات "الميركافا"، طائرات الإف ١٦، ومروحيات لأباتشي، البوارج الحربية، وقنابل الفسفور. ٢٢ ليلة قليلة النوم، ٥٢٨ ساعات من القصف المتواصل وإطلاق الرصاص المتواصل. في كل لحظة تتوقع أن تكون أنت الضحية القادمة.

خلال هذه الأيام، عندما امتلأت ثلاجات الموتى بالجثث، وكافحت المستشفيات من أجل معالجة الجرحى، أصدرت الأنظمة العربية عشرات البيانات المنددة، وعقدت مؤتمرا صحفيا هامشيا تلو آخر. بل أنهم عقدوا قمتين، الأولى عقدت بعد ١٩ يوما كاملا من بدء العدوان على غزة، والثانية في اليوم اللاحق لليوم الذي أعلنت فيه إسرائيل عن وقف إطلاق النار من جانب واحد.

لقد كان الموقف العربي الرسمي تجاه الفلسطينيين منذ العام ١٩٤٨، باستثناء الحقبة القومية التقدمية (١٩٥٤-١٩٧٠) بمثابة خلطة مُميتة مركبة من الجبن والنفاق. لقد كان الفشل الجماعي الأخير متمثلا في الفشل بكسر الحصار الإسرائيلي على غزة الذي يضربها منذ أكثر من سنتين، وعدم العمل على دعم الفلسطينيين القابعين تحت نير العدوان الإسرائيلي الوحشي وهو ما يجب مسائلتهم عليه.

يجب أن تطالب الشعوب العربية جامعة الدول العربية الضعيفة، بالإجابة على أسئلتهم المتعلقة تلك الخلطة، وعلى لماذا لم يكن هنالك تضامن أخوي مع الغزيين خلال العدوان الإسرائيلي؟. ولم يكن هنالك وضوح وبينات "عروبية" في تفاهاتهم. بل أن بعضهم قد وجد الفرصة مواتية من اجل لوم الفلسطينيين على وضعهم الذين وجدوا أنفسهم فيه، بدلا من المطالبة بوقف إسرائيل لعدوانها الوحشي.

في غزة اليوم، نحن نتساءل كيف من الممكن ترجمة تعابير التضامن معنا في شوارع العواصم العربية الى أفعال في مناخ تغيب عنه الديمقراطية. نحن نتساءل ما إذا كان المواطنين العرب تحت الأنظمة الاستبدادية باستطاعتهم تغيير هذا النظام بطريقة لا عنفيه. إننا نعذب أنفسنا ونحن نحاول تبيان الدلالات والمعاني المتوفرة حاليا لتحول سياسي ديمقراطي. الى جانب المجزرة المستمرة في غزة، وبناء نظام الأبارتهايد في فلسطين (في كل فلسطين التاريخية) فإننا ندرك إنه من أجل البقاء، نحن بحاجة الى التضامن والدعم من أشقائنا العرب. لقد رأينا كيف وقفت الشعوب العربية الى جانبنا على مدار ٢٢ يوما ولكننا لم نر قادتهم يقفون خلفهم.

رئيس أساقفة جنوب أفريقيا، ديزموند توتو قال: "اذا كنت محايدا في حالات عدم العدالة، فإنك اخترت جانب المعتدي". الأمم المتحدة، الإتحاد الأوروبي، جامعة الدول العربية، والمجتمع الدولي بقوا جميعا صامتين بوجه الأعمال الوحشية المرتكبة من قبل نظام الأبارتهايد في إسرائيل، وعليه، فإنهم اختاروا جانب إسرائيل. لقد عجزت مئات جثث النساء والأطفال من إقناعهم بالعمل والتحرك. إنه ما يدركه كل فلسطيني اليوم، أينما كان، في قطاع غزة، أو في الضفة الغربية او داخل الخط الأخضر، أو في مخيمات اللاجئين في الشتات.

لهذا، بقينا مع خيار واحد، خيار لا ينتظر مجلس الأمن الدولي، والقمم العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، الى الاجتماع. إنه خيار قوة الشعب، إنها القوة الوحيدة القادرة على إبطال الخلل الكبير في موازين القوى في الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني.

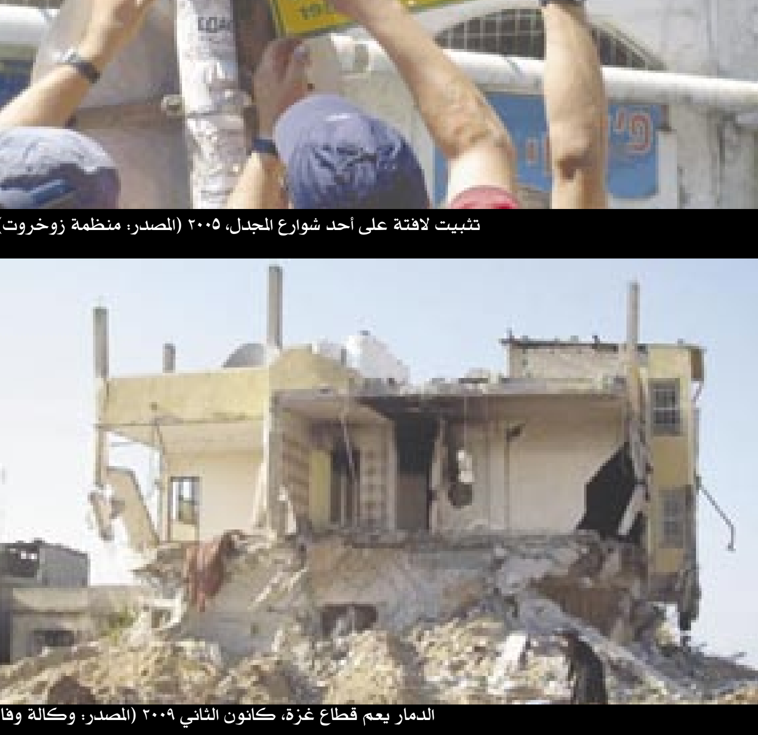
لقد وُجه نظام الأبارتهايد المُرعب في جنوب أفريقيا بحملة بارعة للمقاطعة، وسحب الاستثمارات منه وفرض العقوبات عليه، حيث انطلقت في العام ١٩٥٨ وحققت قفزة نوعية في العام ١٩٦٠، في أعقاب مجزرة شاربي فيل. ومن الجدير بالذكر، أن هذه الحملة قد أدت أخيرا الى انهيار نظام الفصل العنصري الأبارتهايد "الابيض" في العام ١٩٩٤ واقامة الدولة الديمقراطية متعددة العرقيات. وبشكل مشابه، أطلق النداء الفلسطيني لمقاطعة إسرائيل، وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها في العام ٢٠٠٥. وكما حدث مع شاربي فيل في العام ١٩٦٠، فإن غزة ٢٠٠٩ لا يمكن تجاهلها في هذا السياق: إنها تتطلب ردا من جميع الذين يؤمنون بالإنسانية المشتركة للجميع. لقد حان الوقت لمقاطعة نظام الأبارتهايد في إسرائيل، وسحب الاستثمارات منه، وفرض العقوبات عليه. إن هذه الحملة هي أداة أساسية لضمان خلق دولة ديمقراطية علمانية على كامل تراب فلسطين التاريخية.

إنها الجواب العملي لأسئلة العم صبحي، والطريق لمنح حفيده مستقبلا، حياة كريمة أساسها حفظ الكرامة الإنسانية والمساواة، والعدل، حياة سلام وعدل؛ لأنه مثل بقية أطفال العالم لا يستحق أقل من ذلك.

*د. حيدر عيد أستاذ الدراسات الثقافية، جامعة الأقصى – غزة، وهو محلل وناشط سياسي.



المجدل قبل النكبة (المصدر: palestineremembered.com)



تثبيت لافتة على أحد شوارع المجدل، ٢٠٠٥ (المصدر: منظمة زوخروت)

الدمار يعم قطاع غزة، كانون الثاني ٢٠٠٩ (المصدر: وكالة وفا)

تضامن دولي ميداني غير مسبوق: إبداع في الأدوات واتساع في المدى

بقلم: نورا باروس- فريدمان*

في اوج حصار قطاع غزة، واستخدام دولة الاحتلال الاسرائيلية، مختلف انواع السلاح والقطع الحربية جوا وبرا وبحرا، تداعى عشرات النشطاء في الخامس عشر من كانون ثانون الثاني لعام ٢٠٠٩ (وصادف ذكرى ميلاد المناضل الأمريكي مارتن لوثر كينج) للالتقاء امام القنصلية الإسرائيلية الواقعة وسط مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية، وقاموا بإغلاق بواباتها الحديدية بأقفال الدراجات الهوائية، احتجاجا على العدوان الاسرائيلي على قطاع غزة، الذي استهدف في سلسلة متواصلة من الهجمات تدمير العديد من المساجد والمدارس ومباني وكالة الغوث الدولية (الاونروا)، وفي ذلك اليوم بالذات قتلت قوات الاحتلال على الاقل ٤٠ فلسطينيا، جلهم من الشيوخ والنساء والاطفال، وقبل هذا الحدث بيومين وفي مدينة لوس انجلوس قام متضامنون بتقييد انفسهم على ابواب القنصلية الإسرائيلية، وهم رافعين لافتة كبيرة كتب عليها "بسبب جرائم الحرب تم اغلاق القنصلية الاسرائيلية"

وكلما تصاعد عدوان دولة الاحتلال، صاحبة القوة النووية الوحيدة في الشرق الاوسط، تصاعدت معها الحركة الاحتجاجية التضامنية في العالم، خصوصا مع بث مشاهد الدمار والقتل الفظيع، لشعب اعزل تحاصره قوة احتلال تمتلك كل ادوات القتل والتدمير، مئات الالاف المبادرات والفعاليات التي امتدت على رقعة الكرة الارضية بكاملها، وتنوعت الفعاليات من التقليدية الى الابداع من المظاهرة الى المسيرة والمهرجان الى اعلان سفارات وقنصليات اسرائيل مغلقة لجرائم الحرب الاسرائيلية بعنوان واضح يدعو لمقاطعة اسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها، وسرت تلك الفعاليات في كل المدن الكبرى وامتدت الى القرى ودخلت عملية التنظيم والاحتجاج شبكات ومنظمات دولية حقوقية وتضامنية من مختلف القطاعات تعبيرا عن رفضهم للاحتلال وهجومه المحموم على قطاع غزة. فيما كانت الاحداث المنظمة بدقة والاقل عددا لها دور فعال في التاثير واثمرت بعض النتائج الملموسة مثل تلك التي ذكرت اعلاه، وسواء صاحبها تغطية اعلامية او لم يصاحبها.

فمن سان فرانسيسكو الى نيويورك ومن لندن الى ديربان ومن ستوكهولم الى مونتريال ومن نيروبي الى برلين الى كل العواصم في العوالم، اندلعت موجة من المعارضة وتعطيل العمل المعتاد، لجماهير عريضة من الناس الذين شعروا بقرف الاحتلال الاسرائيلي وسخطا منهم على جرائمه، مستهدفين سفارات وقنصليات الاحتلال الاسرائيلي والشركات المتعاملة معه ومؤسسات التعليم وقاعات المحاضرات التي دعي اليها مسئولين وأكاديميين إسرائيليين، كما استهدفت الفرق الرياضية والفنية الاسرائيلية في انحاء مختلفة من العالم.

احتلال السفارات والقنصليات الاسرائيلية في عدد من المدن مهد لها مبادرة نشطاء كنديين في مونتريال، عندما اقتحموا السفارة الاسرائيلية وسلموا العاملين فيها امرا شعبيا باخلاء السفارة، احتجاجا منهم على حرب دولتهم على قطاع غزة، ولحقهم في المبادرة نشطاء في مدينة كاليفورنيا، مقتحمين حرم القنصلية هناك وسلموا العاملين فيها اخطار بالاخلاء لنفس السبب، حيث ورد في اخطار الاخلاء في مونتريال تفاصيل واضحة عن وحشية الحرب على القطاع، من قتل البشر، الى تدمير البنية التحتية المدنية وجاء فيه "في حين ان مستأجر هذه المنشأة يعد مسؤولا عن جرائم الحرب بموجب اتفاقية جينيف الرابعة، فنحن كمواطنين في مدينة مونتريال نطب منكم إخلاء القنصلية، ونطالب بطرد القنصل العام، وايضا نطالب بوقف فوري للعدوان الاسرائيلي على قطاع غزة". وقبل ذلك بايام اقتحمت ناشطات يهوديات القنصلية الاسرائيلية في مدينة تورنتو الكندية بالقوة واستحكمن في المبنى وطالبن بإغلاق القنصلية وطرد القنصل.

وعلى الجهة الاخرى، ارتفع مستوى الغضب الشعبي ضد الهجمات الإسرائيلية الإجرامية في لندن، إذ توجه نحو ٥٠،٠٠٠ متظاهر الى السفارة الاسرائيلية، فيما احتشد مئات من عناصر الامن والشرطة البريطانية لمواجهة المتظاهرين واعتدت عليهم بالضرب، على اثر إلقاء الأحذية و الحجارة والبيض والدهان الأحمر على حواجز الشرطة. و في باريس قام المتظاهرون بإحراق الإطارات في الشوارع، و هو مظهر من مظاهر الاحتجاج المعروفة في الأرض الفلسطينية المحتلة.

في ٢١ كانون الثاني تمكن تسعة من النشطاء من مدينة برايتون البريطانية من اقتحام مصنعا للأسلحة في المدينة، وقاموا بتحطيم أثاث بعض المكاتب والمعدات الصناعية



مئات الآلاف يتضامنون مع غزة، ستوكهولم، السويد كانون الثاني ٢٠٠٩ (المصدر: flickr.com)

المستخدمة في تصنيع الأسلحة، ملحقين بذلك خسائر مادية للمصنع. ووفقا لحملة " تحطيم مصنع الأسلحة" التي نظمت و نفذت الفعالية، فأن هذا المصنع ينتج مكونات الأسلحة بما في ذلك القنابل دقيقة التوجيه، و صواريخ نار جهنم، وأزرار إطلاق القنابل المستخدمة في طائرات أف ١٥ و أف ١٦، و التي يوردها المصنع مباشرة لجيش الاحتلال الإسرائيلي. و في بيان صحفي نشرته الحملة من داخل المصنع، أعلنت انها تحمل مشاعر اهالي غزة نجاه المصنع و "يفوضون انفسهم" عن اهل القطاع، ومما جاء في البيان اننا (المفوضين) " نتصرف ونتضامن بوعي وإدراك كامل لحقيقة ما يلقاه أهالي غزة من منتجات هذا المصنع "

و ذكرت وسائل الإعلام البريطانية ان هذا الحدث النوعي قد يؤدي إلى إغلاق مصنع الأسلحة لبعض الوقت. ونقلت تصريحا صادرا عن شرطة برايتون جاء فيه انه تم تنفيذ هذا العمل " باستخدام معدات و آلات فعالة، بهدف تعطيل العمل في المصنع... ان الاضرار و الخسائر كبيرة. واعتلقت الشرطة عددا كبيرا من النشطاء فيما افرجت عن بعضهم ما يزال تسعة من "المفوضين" في السجن في انتظار المحاكمة.

في مناطق اخرى من بريطانيا تحولت ما يقارب العشرين جامعة الى منطقة انطلاق للطلاب المناصرين للعدالة للضغط على مؤسساتهم التعليمية لاتخاذ موقف فوري ضد جرائم الحرب الإسرائيلية.

فمنذ اليوم التالي لبدء اسرائيل عملياتها العسكرية القاتلة ضد الفلسطينيين في غزة، قام هؤلاء الطلاب باقتحام مكاتب المستشارين و قاعات المحاضرات و المباني الإدارية داخل الحرم الجامعي في جميع أنحاء بريطانيا. وصرح قادة الحركة الطلابية ان نشاطاتهم جاءت انطلاقا "من الأزمة الكارثية المتصاعدة في غزة" نشرت هذه التصريحات على الموقع الالكتروني الخاص بطلاب جامعة نوتنغهام،

www.occupationnottingham.wordpress.com

وفي بيان آخر قال الطلبة باننا "قمنا باحتلال الحرم الجامعي، كما أصدرنا لائحة مطالب الى ادارة الجامعة تدعو الى التحرك الفوري".

و يتابع تصريح الطلاب بان "هنالك الآن أدلة أولية، تشير إلى أن هذه الاعتداءات تعد جرائم حرب وفقا للتعريف الوارد في القانون الإنساني الدولي. وبما ان جامعتنا لها روابط قوية مع مصنعي الأسلحة، من مثل تمويل الأبحاث الذي تتلقاه من شركات الأسلحة، مثل شركة أنظمة (BAE) بي ايه اي ومجموعة شركات سميث والتي تزود إسرائيل بالمعدات العسكرية. وعليه فان التعاون مع الشركات المتواطئة في جرائم الحرب والحرمان المنهجي لشعب من حقوقه الأساسية أمر غير مقبول"

و اضاف البيان " اننا نشعر ونتصور ان دعم جامعتنا الاقتصادي السياسي للعدوان الإسرائيلي، يتنافى مع قلقنا الشديد من الكارثة الإنسانية التي تحل بأهل غزة في ظل غياب تغيير ملموس وذات معنى ومغزى".

تحدثت "حق العودة" مع محمد إدريس احمد، طالب دراسات عليا في جامعة ستراثكلايد في اسكتلندا ، شارك في تأسيس صفحة إعلامية اليكترونية Pulsemedia.org ومشارك نشط في الإحداث المباشرة في الجامعة. يقول محمد انه فوجئ بالتصعيد العالمي السريع للإجراءات المباشرة التي تم اتخاذها أثناء المجازر الإسرائيلية في غزة و ما بعد ذلك." كان النشاط في بريطانيا آخذ في الانخفاض في السنوات القليلة الماضية" ويضيف لجريدة "حق العودة." بانه شارك في " آخر المسيرات الكبرى التي جرت أبان حرب إسرائيل على لبنان، لكنها لم تكن في مثل هذه الضخامة ولا الاستدامة. اعتقد ان هناك عاملان كامنان خلف هذا كله: الأول هو ظلم ووحشية الهجوم نفسه الذي لا يمكن إنكاره، و ثانيا، نهاية هيمنة وسائل الإعلام الغربية الرئيسية، إذ كان هناك محطة الجزيرة الإخبارية والفضائيات الاخرى ووسائل إعلام بديلة، في مقدمتها موقع اليوتيوب الالكتروني حيث توضع المتناقضات فيه جنبا إلى جنب". ويضيف محمد أيضا عن اهمية ((face book الفييس بوك الذي أصبح أداة قيمة في تنظيم الفعاليات الجماهيرية، و نشر المعلومات عما يحصل في غزة لحظة بلحظة في جميع أنحاء العالم.

ويشرح محمد أهمية تناغم وانضباط مجموعات النشطاء حتى لو كان عددهم قليل وذكر كيف ان ٤٠ طالبا فقط من جامعة ستراتكلايد نجحوا في انتزاع قرار من إدارة الجامعة بالموافقة على مطالبهم، بعد ان استمروا في اقتحام واحتلال مكاتب إدارية في الجامعة على مدار النهار والليل.

وأضاف بفخر "انتصارنا تمثل في طرد الشركة الإسرائيلية المنتجة للمياه المعدنية "مياه عيدن" والتي تحقق أرباحها من استخراج المياه وتصنيعها في هضبة الجولان المحتلة، وهي من اكبر الشركات الموردة للمياه المعدنية للقطاع العام في اسكتلندا. فنحن الآن الجامعة الرابعة التي تقوم بطردهم من حرمها الجامعي، و قد شجع هذا الأمر العديد من الناس على المطالبة بالأمر ذاته من أبرزهم العاملون في الخدمات الصحية الوطنية".

يشير احمد الى ان التخطيط الجاد والمتابعة الحثيثة والمنظمة هي العامل الحاسم لنجاح هذه الفعاليات "لا بد من التخطيط الاستراتيجي، كما لا بد من استهداف نقاط الضعف للضغط عليها، مثل استهداف المجالات الإدارية ... لقد قررنا انه لا فائدة من من فعالياتنا، الا إذا تمكنا من تعطيل الروتين الإداري اليومي للعمل في الجامعة ... و نجحنا بذلك... باعتقادي ان هذه الانتصارات الصغيرة هنا وهناك ورغم تواضعها، إلا أنها تشجع الآخرين على ابتكار فعالياتهم وأدواتهم الخاصة بكل مجموعة لتحقيق هدفها وتطويرها لتشكل عامل انتصار رمزي ومعنوي بمجموعها".

ارتبطت معظم الفعاليات العالمية بحركة مقاطعة إسرائيل وفرض العقوبات عليها وسحب الاستثمارات منها، ويرى نشطاء وسياسيين ومفكرين أن تلك الحركة أداة إستراتيجية فعالة لإنهاء نظام الاحتلال الاستعماري الاحلالي الإسرائيلي في فلسطين. ففي مطلع شباط من هذا العام، أعلن اتحاد ائتلاف عمال النقل في جنوب أفريقيا، العضو في المؤتمر العام للنقابات العمالية الجنوب افريقية، اعلن ان عمال الميناء يرفضون تفريغ سفن الشحن الإسرائيلية، التي وصلت في ٨ شباط إلى ميناء ديربان. وقد ثمنت موقفهم منظمات فلسطينية وعالمية وخاصة الحملة الوطنية لمقاطعة اسرائيل ومجموعة الدولة الديمقراطية الواحدة حيت جاء في رسالة وجهتها لعمال وللاتحادات التي تقف خلف هذا العمل المباشر "لقد توجهنا الى منظمات المجتمع الدولي والشعوب المحبة للسلام للانضمام الى حملة المقاطعة التي انطلقت في العام ٢٠٠٥. وقد كان النضال في جنوب أفريقيا مصدر الهام لنا. و الآن قرر رفاقنا في اتحاد ائتلاف عمال النقل ترجمة كلمات التضامن مع الشعب الفلسطيني إلى أفعال. وهذا يشكل خطوة تاريخية تذكرنا بالإجراءات التي اتخذها عمال الموانىء الدانمركيين عام ١٩٦٣ ضد نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا".

في أعقاب مبادرة اتحاد ائتلاف عمال النقل والموانىء في جنوب أفريقيا، اعلن الاتحاد الدولي لعمال مستودعات التخزين في جنوب أفريقيا، في بيان موقفه الداعم للمبادرة وشبه العمليات الحربية الإسرائيلية والعدوان على قطاع غزة بمجازر شاربي فيل في جنوب أفريقيا عام ١٩٦٠.

وتقول الدكتورة مارسي نيومان ، أستاذة أمريكية في جامعة النجاح في نابلس أن حملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها " ارتبطت بالغضب الشعبي العالمي على نحو شجع الناس على اتخاذ خطوات عملية". ويوافقها محمد إدريس احمد الرأي مضيفاً " إن حملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها في تصاعد متسارع، لقد انتهى زمن الاحتجاجات الرمزية. الجميع يبحث عن فعل مجدي، والكل يعترف بأن هذا الفعل كامن في هذه الحملة".

حتى الآن وبعد إعلان ما يسمى بوقف إطلاق النار، لم تتوقف النشاطات والفعاليات الميدانية، التي تنظمها حركات ومنظمات التضامن مع الشعب الفلسطيني، فالتظاهرات والاعتصامات والتحركات ضد المؤسسات الإسرائيلية مستمرة. ففي ٢٩ كانون الثاني قام عشرة من النشطاء بتقييد أنفسهم بالسلاسل بمداخل فندق ماريوت ماركيز في نيويورك، احتجاجا على حفل عشاء نظم بداخله وبلغت قيمة الوجبة ١٣٠٠ دولار امريكي، مخصصة لجمع التبرعات لصالح لجنة الشؤون العامة الإسرائيلية - الأمريكية (AIPAC)، ثاني اكبر جماعة ضغط صهيونية في واشنطن.

تقول ألانا سميث، وهي احد النشطاء الذين قاموا بتقييد أنفسهم بباب الفندق "اعتقد انه على النشطاء و حتى الناس الذين لا يعرفون على أنهم نشطاء لكن تنتابهم بعض المشاعر تجاه ما يحدث، يجب أن يعملوا أيا كان ما يفكرون به، ومن ثم أن يحاولوا ان يخطو خطوة مهما كانت صغيرة إلى الأمام، وتضيف "اعتقد أن تحقيق العدالة في فلسطين يتطلب إحداث تغيير في الرأي العام هنا في امريكا و في الشرق الأوسط على حد سواء، ولابد من أن ينمو الرأي العام ليصبح حركة جماهيرية منظمة ليشكل رافعة فعل حقيقية".

يقول ديف فلوري وهو احد المعتقلين على خلفية الحدث أعلاه، أن الزخم العالمي أمر بالغ الأهمية، وأضاف "تجري الآن العديد من الفعاليات في الوقت ذاته... مثلا هناك نشاط اقتحام مكتب السيناتور كارل ليفين في ميشيغان، وفي نفس الوقت يجري اقتحام أكثر من اثنتي عشر مؤسسة تعليمية في بريطانيا، ونجاح النشطاء في اقتحام جامعة روتشستر ويطالبون بالكشف عن الاستثمارات التي تنتفع منها إسرائيل ... وهلم جرا. وهذا يعطي الناس إحساس بأن الفعاليات تصب في مجرى واحد وليست منعزلة عن بعضها البعض، بل هي جزء من حركة مترامية متواصلة لوضع حد لنظام الفصل العنصري الإسرائيلي".

وردا على سؤال "حق العودة" له عن فيما إذا كان التعرض للاعتقال من شأنه ان يعرقل اتخاذ القرارات بشأن خطوات مستقبلية، قال فلوري أن هذا الاعتقال يزيده تصميما على المضي في نشاطه، وأضاف "يزداد شعورك بالقوة عندما معرفة انك تفعل الشيء الصحيح. وفعلك يؤلم خصمك، فمثلا قام بعض الضيوف المشاركين في العشاء بالصراخ علينا لدى مرورهم بجانبنا، الا انني شعرت بالسرور وليس الغضب، لأنني أدركت عصبيتهم، وتوترهم ولأنني اعرف أننا على حق في العمل ضد التدمير الوحشي في غزة، وانهم هم على قدر كبير من الخطيئة لدعمهم للعدوان ... آمل أن يتبنى جموع كبيرة من الناس ما نعمله ويشاركوننا الفعل والعمل، حتى لو لم يسبق لهم الاشتراك في مظاهرة، أو عمل سياسي في حياتهم، فقد آن الأوان لاتخاذ موقف".

---

* نورا باروس- فريدمان : المنتج المشارك في تقديم برنامج " فلاش بوينتس" اليومي الحائز على عدة جوائز و هو برنامج تحقيقات إخبارية يومي على شبكة راديو باسيفيك في الولايات المتحدة الأمريكية. و هي ايضا مراسلة لخدمة الصحافة الدولية و الانتفاضة الالكترونية، و تقوم بإرسال تقارير منتظمة عن فلسطين المحتلة.

٣٠ آذار: يوم الأرض يوم مقاطعة إسرائيل

انضموا إلى اليوم العالمي لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها



القضية الفلسطينية حضرت بقوة في المنتدى الاجتماعي العالمي، بيليم، البرازيل، شباط ٢٠٠٩

في كانون أول ٢٠٠٨، وبنفس الطريقة التي أوجدت نفسها بها، قررت إسرائيل الاحتفال بالذكرى ال ٦٠ لتأسيسها عن طريق ارتكاب المجازر ضد الشعب الفلسطيني. ففي خلال ٢٣ يوما قامت القوات الإسرائيلية بقتل أكثر من ١٣٠٠ فلسطيني وإصابة ما يزيد عن ٥٠٠٠ فلسطيني في قطاع غزة. ومن سخرية التاريخ قيام إسرائيل باستهداف ذات الفلسطينيين وأبنائهم الذين شردتهم من ديارهم الأصلية عام ١٩٤٨ وجعلتهم لاجئين في قطاع غزة. وهم ذاتهم الذين جردتهم من أملاكهم، وواصلت اضطهادهم بعد عام ١٩٦٧ عن طريق الاحتلال العسكري الوحشي. وهم نفسهم من فرضت عليهم إسرائيل قبيل العدوان الأخير ولأكثر من ١٨ شهرا من الحصار على الغذاء والوقود و الكهرباء لإخضاعهم.

اليوم لا يمكننا انتظار إسرائيل حتى تنجز هدفها التالي، اليوم لم تعد فلسطين اختبارا، اليوم أصبحت فلسطين مقياسا لأخلاقياتنا التي لا يمكن الاستغناء عنها وإنسانيتنا المشتركة.

لذلك فأننا ندعو الجميع لتوحيد الجهود والنضال من اجل إنجاح:

يوم ٣٠ آذار
اليوم العالمي للعمل
تضامنا مع الشعب الفلسطيني
ولدعم حملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها

يتزامن هذا اليوم مع يوم الأرض والذكرى السنوية للمجزرة التي ارتكبها الإسرائيليون عام ١٩٧٦ ضد الفلسطينيين في الجليل إبان نضالهم ضد مصادرة الأراضي واسعة النطاق حينه، كما ويشكل جزءا من الأسبوع العالمي للتحرك ضد الكوارث والحروب والذي يمتد من ٢٨ آذار إلى ٤ نيسان.

إننا نحث كل الناس، والمنظمات في أنحاء العالم للتحرك بشكل ملموس عبر فعاليات جدية لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها. إننا ندعو لجعل هذا اليوم علامة فارقة في تاريخ هذه الحركة المعاصرة المناهضة للفصل العنصري تلبية لنداء الحقوق ولتحقيق الكرامة للشعوب، ومساءلة القوى المهيمنة.

في هذا اليوم العالمي يوم ٣٠ آذار سنقوم بالتركيز على:

– مقاطعة الشركات الإسرائيلية الدولية وسحب الاستثمارات منها؛ تلك الشركات التي تدعم الاحتلال الإسرائيلي والفصل العنصري.

– اتخاذ إجراءات قانونية لإنهاء إفلات إسرائيل من العقاب، والعمل على محاكمة مجرمي الحرب الإسرائيليين من خلال إقامة الدعاوى في المحاكم الوطنية الدولية.

– إلغاء اتفاقيات التجارة الحرة مع إسرائيل ومنع الاستمرار في تنفيذ اتفاقيات المعاملة التفضيلية لإسرائيل وفرض حظر على توريد الأسلحة إليها، وذلك كخطوة أولى تجاه فرض عقوبات متكاملة ضد إسرائيل.

لقد حان الوقت للعالم أن يتبنى دعوة المجتمع المدني الفلسطيني لمقاطعة اسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها بشكل كامل. لقد حان الوقت لان يبدأ في تطبيقها. ان اعتمادها هذه الدعوة يجب ان يصبح جزءا هاما من أي نضال من اجل العدالة، والإنسانية. وان اعتمادها يجب ان يكون كاملا وشاملا، ولا يكون كذلك إلا إذا كان موجها ضد المنتجات والشركات والمؤسسات الأكاديمية والثقافية والرياضية الإسرائيلية، وأيضا ضد الشركات الدولية الداعمة للسياسات الإسرائيلية العنصرية والتطهير العرقي والاحتلال العسكري وللضغط على الحكومات لفرض العقوبات. ولا بد من الاستمرار في فرض هذه المقاطعة الشاملة إلى أن تقوم إسرائيل برفع الحصار كليا عن قطاع غزة،وبإزالة الجدار، وبإنهاء احتلالها واستعمارها لجميع الأراضي العربية، وباعترافها بحق الفلسطينيين المواطنين في إسرائيل في المساواة التامة والاحترام، وباحترام وحماية و تمكين اللاجئين الفلسطينيين من ممارسة حقهم في العودة إلى ديارهم الأصلية واستعادة ممتلكاتهم.

للحصول على معلومات عن كيفية الانضمام إلى، والمشاركة في اليوم العالمي الرجاء الاتصال باللجنة الوطنية الفلسطينية لحملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها على: info@bdsmovement.net، لمزيد من المعلومات انظر: www.bdsmovement.net

مقاطعة إسرائيل أولوية الأولويات

حضور قوي ومميز للقضية الفلسطينية في أعمال المنتدى الاجتماعي العالمي في بيليم-البرازيل

بقلم: احمد جرادات*

في السابع والعشرين من شهر كانون الثاني الماضي انطلقت أعمال المنتدى الاجتماعي العالمي الثامن في مدينة بيليم ــــ عاصمة الأمازون– شمال البرازيل. وكالعادة تجمع عشرات الآلاف من ممثلي الحركات الاجتماعية من معظم دول العالم للحوار والنقاش في الكثير من هموم العالم، وقضاياه واشكالياته المتوالدة، بسبب سياسة العولمة الرأسمالية، والتي تتجلى ترجماتها الإنسانية من خلال الحروب، وازدياد الفقر والبطالة والفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين البشر. والهوة المتسعة بين الدول الفقيرة والغنية، واستغلال خيرات الشعوب الفقيرة عبر سياسة الاحتلال أو السيطرة على مقدراتها بوسائل متعددة، سياسة مؤداها تعميق عوز وفقر الفقراء شعوبا وأفرادا وازدياد ثراء الأغنياء. ليأتي المنتدى الاجتماعي العالمي برؤيته ورسالته نقيضا لمجمل السياسات الرأسمالية مؤكدا أن هناك نموذجا آخر من العالقة بين البشر تسوده العدالة والاحترام المتبادل والتكافؤ وفي المحصلة السلم والأمن بدل الحرب والكراهية. ولسان حال المشاركون وأصدقائهم ومناصريهم يقول " هناك عالم آخر ممكن "

انطلق المنتدى الاجتماعي العالمي الأول في السابع والعشرين من كانون ثاني لعام ٢٠٠١ في مدينة بورتي اليغري في البرازيل، وأصبح تقليدا سنويا، فلا الزمان صدفة ولا المكان كذلك. فانعقاد المنتدى سنويا في الأسبوع الاخير من شهر كانون الثاني، يأتي متزامنا مع انعقاد المنتدى الاقتصادي العالمي، وهو على النقيض والتضاد معه من حيث الرؤية والبرنامج والأهداف.. الخ. فيما حمل مكان انطلاقه بعدا اجتماعيا– سياسيا، حيث كانت حكومة تلك الولاية تمثل الحركة الاجتماعية، ومنتخبة على أساس برنامج تلك الحركة حامل الرؤية اليسارية والاجتماعية التقدمية.

على امتداد محطات المنتدى الاجتماعي العالمي كانت القضية الفلسطينية حاضرة بكل ما تحمله من رمزية إنسانية كقضية عدالة ذات طابع إنساني بامتياز ولم تحظ أي قضية أخرى كما هذه القضية باعتبارها قضية شعب يناضل ويواجه آخر تجليات وترجمات الاستعمار والاحتلال بكل ما يعنيه من ظلم وامتهان للكرامة البشرية، وباعتباره يمثل الخرق الأكثر سفورا وبشاعة لحقوق الإنسان في العصر الحديث. ولان هذا الاستعمار ذو طابع وعمق عالمي ممثلا بالقوى الاستعمارية والرأسمالية ويمثل أداة ورأس حربه لها، فانه من الطبيعي أن يكون التصدي له ومقاومته أيضا ذو عمق وامتداد عالمي ممثلا بكل القوى الديمقراطية والتقدمية ودعاة الحرية على امتداد العالم. ببساطة تمثلت في القضية الفلسطينية حالة التضاد والصراع بين قوى العدالة والتحرر وقوى الظلم والقهر والاستعمار. من هنا كانت هذه القضية ذات حضور قوي في برامج ونقاشات المنتدى الاجتماعي دائما.

وفي هذا العام، حيث انعقد المنتدى في مدينة بيليم (بيت لحم) البرازيلية، وكان لحضور للقضية الفلسطينية نكهة خاصة. ففي المسيرة الافتتاحية للمنتدى يوم السابع والعشرين من كانون الثاني رفرف العلم الفلسطيني الكبير بمساحة ٣٠م طول وعرض ١٠ أمتار ورفعته عاليا عشرات لا بل مئات الأيادي، ورغم الهطول المكثف للأمطار الاستوائية القوية بقي العلم الفلسطيني مرفوعا مرفرفا على امتداد ستة ساعات هي زمن المسيرة وأكثر من ٢٠ كم هي المسافة التي شقتها تلك المسيرة، عبر شوارع المدينة من جنوبها إلى شمالها، وبمشاركة نحو ٧٠ ألف إنسان حسب المصادر البرازيلية الرسمية في المدينة. وفي المسير تم توزيع عشرات الآلاف من البوسترات والنشرات التي تصور وتؤرخ للقضية الفلسطينية، وتبرز معالم العدوانية الإسرائيلية وخاصة ما حصل من حرب دامية ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة مؤخرا.

أما على صعيد النقاشات في القاعات والخيم الخاصة بمواضيع النقاش، فإننا لا نبالغ في الادعاء أبدا إذا قلنا إن القضية الفلسطينية كانت حاضرة في كل مكان وكل قاعة وكل خيمة. والاهم في كل الحوارات حتى الجانبية منها. هذا الأمر دفع احدهم للقول " في أي مكان كنت أتواجد، وإذا بدا أي متحدث للحديث عن قضية تخصه ومن أي بلد كان فانه في سياق حديثة كان يعرج على القضية الفلسطينية، ان تحدثوا عن حقوق الإنسان، أو عن الحقوق الاقتصادية، أو عن جرائم الحرب ، أو عن العدالة والظلم أو المجازر ضد الإنسانية، أو النضال والمقاومة فان المثل الفلسطيني هو المتجلي دائما " .

وفي معظم النقاشات في أروقة المنتدى كان هناك ضغط ومطالبة بتبني قرارات وأفعال من قبل المنتدى بما يخص القضية الفلسطينية، وبالفعل هذا ما تحقق حيث كان الاتجاه قويا لتفعيل سياسة حملات مقاطعة إسرائيل على كل المستويات الاقتصادية والأكاديمية والثقافية والفنية ... ولقد اتخذت بعض القرارات الهامة على هذا الصعيد وتم تبني التوصيات المقدمة من الوفد الفلسطيني لاجتماع الجمعية الدولية في المنتدى حول التضامن مع الفلسطينيين. واعتمد يوم الثلاثين من شهر آذار القادم والذي يصادف يوم الأرض يوما عالميا للتضامن وانطلاق النشاطات التضامنية على امتداد العالم، والذي يتركز في رسالته على الدعوة لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها، ومعاقبتها كدولة ارتكبت المجازر وجرائم الحرب ضد الفلسطينيين ولا زالت تحتل أرضهم وتصادر حقوقهم في الاستقلال وبناء دولتهم وعودة اللاجئين إلى أرضهم. وعلينا ان نتخيل حجم الحضور للموضوع الفلسطيني، بان الجمعية اجتماعاتها المنعقدة على مدي يومي الثاني والثالث من شباط في أعقاب انتهاء أعمال المؤتمر وفي إطار نقاش التوصيات، كرست للقضية الفلسطينية اليوم الثاني كاملا وحتى في اليوم الأول كانت كلمات المتحدثين تركز على القضية الفلسطينية. وطبعا ما حصل من مجازر في قطاع غزة كان الأبرز. لدرجة ان الكثير من المتداخلين اقترحوا عقد المنتدى القادم في قطاع غزة. ودعي إلى إرسال وفد كبير من نشطاء المنتدى إلى القطاع لإبداء التضامن والاطلاع عن قرب على آثار المجازر الإسرائيلية في حربها الأخيرة. كما ودعي إلى ملاحقة القادة والساسة الإسرائيليين في العالم على أنهم مجرمي حرب وتقديمهم للعدالة سواء في المحاكم الدولية أو الوطنية للدول.

وإذا عدنا إلى السياسات العامة التي يحتكم لها المنتدى الاجتماعي كمكان وفضاء للنقاش والحوار وطرح القضايا بعمومية، وعدم التطرق لحالات وأوضاع خاصة، رغم قوة التصدي للظلم والحروب ومسببات الفقر، وتهديد البيئة، وسياسات العولمة اللانسانية التي تناولتها أدبيات المنتدى، فان الحديث عن قضية مهمة بمستوى الإشارة لمقاطعة إسرائيل ومعاقبتها، وتبني نشاطات عالمية كما هو الحال في الثلاثين من شهر آذار سالف الذكر. اعتبره الكثيرون انجازا ملموسا وجوهريا في صالح القضية الفلسطينية وقيموه على انه تقدما إلى الإمام في أجواء ورؤية المنتدى. وجاء استجابة لعشرات التوصيات المقدمة من جمعيات المنتدى ذات الاختصاصات المختلفة ولسان حال هذه التوصيات يقول" علينا التقدم خطوة إلى الإمام من العموميات والأقوال إلى الأفعال" . ولقد ترجمت هذه التوصيات فيما يخص القضية الفلسطينية وهذا بحق انجاز كبير علينا ان نفتخر به والاهم نحن منظمات المجتمع المدني الفلسطيني ان نستثمره من خلال العمل مع كل المؤسسات والأفراد على المستوى العالمي لتطوير وتفعيل ودفع حملة المقاطعة في كل محفل دولي ووطني نستطيع الوصول إليه أو التأثير فيه. والمهم أيضا ان نجعل منه ثقافة محلية وطنية من خلال عملية تنسيق وعمل مشترك واسع على امتداد فلسطين . ليكون الموقف والصوت والمناشدة والنشاط والرؤية والرسالة موحدة الهدف. بمقدار ما نحن موحدين نصبح أقوياء، وصوتنا مسموع، خاصة في قضية بمستوى حملة المقاطعة التي علينا ان نجعل منها ركنا مفصليا في نضالنا على المستوى العالمي.

ومن الهام هنا القول أننا لم نكن بحاجة إلى جهد كبير كما في الماضي لإيصال رسالتنا، ففي كل محافل المنتدى شعرنا ان الرسالة كانت قد وصلت سلفا ومعظم الحضور قد جاء ولديه ما يقوله في الموضوع الفلسطيني، لقد كانت رسالة الشهداء الأطفال وشلال الدم والفسفور الأبيض، والجثث تحت الأنقاض والقصص التي تقشعر لها الأبدان وقصة الصمود الأسطوري لشعبنا في القطاع، كلها كانت قادمة مع معظم الحاضرين من دول العالم إلى محافل المنتدى. لقد حضرت غضبا في هتاف المشاركين في المسيرة وأروقة المنتدى، وحضرت في قوة تعبير المتحدثين والمحاضرين في أعمال المنتدى. لقد حضرت فلسطين كقضية عدالة عالمية بما تستحقه على المستوى الشعبي والرسمي للمنتدى إذا جاز لنا التعبير.

---

* أحمد جرادات، ناشط فلسطيني / مركز المعلومات البديلة.

غزة بعيون الناشئة

غزة والحرب
محمود العم، ١٣ سنة، البلد الأصلي: قولية، مخيم الجلزون، رام الله

غزة الحب والعزة وقهر الأعداء. أليس حرام كل ما يحصل لهؤلاء البؤساء... من تجويع ... ومن قتل... ومن تشريد. ليس غزة وحدها المستهدفة في التطهير العرقي بل الشعب الفلسطيني بأكمله ... يكفي الأمانُ عارا أنه أعجز من أن يمنح طفلا وأما دقيقة طمأنينة في جو يمتلئ بمشاحنات ومجازر بجميع أبعادها ... يكفي الوحشية عارا أنها ملأت نفوس أطفالنا بصور بشعة بمجازر ترتكب .... وحرمات تنتهك وبيوت تتساقط ... ودماء بريئة تغرق ضمير صحوتنا... يكفينا عارا أمام الشعوب الأجنبية.

ماذا عساي أن اكتب؟! وماذا عساي أن أقول؟! والله لو عبرت عن ما في القلب من ناحية ملوكنا وما يدور في غزة اليوم لما وسعته كل دفاتر الدنيا.

منصورة يا غزة
ندى سلامة، ١٥سنة، البلد الاصلي: بيت نبالا، مخيم الجلزون

يا غزة، يا غزة الصمود والمواجهة، والتحدي والعزة، لكِ النصر إنشاء الله، والنصر لقريب. صبراً يا أهل غزة إن موعدكم الجنة. لن تموتي يا غزة، بل أنت الموت الذي يقهر الأعداء، والصمود الذي يذل فيه الصهاينة وألف تحية لأمهاتنا في غزة لا تقولي يا أمي مات ابني وبنتي، نحن أبنائك وفلسطين كلها لك.

صرخة ألم
رانية الخطاب، ١٥ سنة، البلد الأصلي: قرية الحدب، مخيم الفوار.

ما من مسجد يدنس فماذا تقولوا في مدينة دمرت مساجدها، وما من طفل يقتل فماذا تقولوا في مدينة قتل أطفالها، وما من مدرسة تهدم فماذا تقولوا في مدينة دمرت مدارسها؟!!! يا حكام العرب كفاكم صمتا ألم يحن الوقت الذي تقولوا فيه كفى كفى قتلا ودمارا. أبناؤكم يعيشون بأمان وأطفال غزة يعانون شدة الجوع والحرمان. ... ما من أم تصبر على فراق ابنها الصغير وما من أخ يصبر على فقدان أخيه وما من شعب يصبر على الخضوع للمحتلين.

أين انتم يا عرب
غدير الكومي، ١٥ سنة، البلد الأصلي: قرية الحدب، مخيم الفوار.

منذ نكبة عام ١٩٤٨ بدأت حكاية شعب عانى وما زال يعاني ويذوق الأسية، مر بعدة نكبات بدءًا من دير ياسين ومرورا بجنين وهم الآن في غزة. وكما يقال "الحبل ع الجرار" أهل غزة يموتون ويستصرخون العروبة، "فأين أنتم يا عرب؟!!"

قطاع غزة يشهد نكبة جديدة تضاف الى سجل إسرائيل الأسود، وتدخل ضمن سجل بطولات الشعب الفلسطيني ففي هذه الحرب قصف ودمار وتخريب الديار ... كل شيء مباح فهم يقتلون الأطفال، ففي شوارع غزة جثث متناثرة وأشلاء متطايرة، في وقت يعجز فيه العرب عن اخذ قرار او حتى عقد اجتماع لحل مشكلة القطاع.

قصف مدارس الأونروا
رنين قاسم النجار، ١٤ عاماً، البلد الأصلي: الفالوجة، مخيم الفوار.

بدأ الجيش الصهيوني بقصف قطاع غزة بهدف أن يخرجوا المقاومة منه، قصفوا بالطيارات على المنازل وتم قتل الأطفال والنساء والشيوخ وتم استهداف الكثير من منازل القادة في فتح وحماس وتم استشهاد الكثير من الناس الأبرياء لا ذنب لهم ولم يبقى لهم سوى المدارس لكي يحتمون فيها فتم قصف مدارس الأونروا. وأنا أطالب الأمم المتحدة بإصدار قرار بوقف القصف على غزة وفتح المعابر وبناء المنازل والمدارس التي هدمها الاحتلال. وأقول لهم أن كل إنسان له حق العيش بأمان، وطبعا أهلنا بغزة يريدون أن يعشون بأمان وان الأطفال لهم الحق في اللعب ولازم حقوقهم تنفذ على أكمل وجه. وأنا أطالب مركز بديل لعمل مظاهرات في كل المخيمات.

فتاة شجاعة وصبورة
سلوى ستيتي، ١٤ سنة، البلد الأصلي: صفورية، مخيم جنين.

انا طفلة ابلغ من العمر أربعة عشر عاما من مدينة جنين ... إنني أراقب دائماً أخبار غزة على التلفاز فتؤثر في قلبي ومشاعري وابكي من شدة الآلام والأوجاع التي أراها واشعر بها ولكن ما بيدي حيلة إلا أن أرى القنابل الفسفور التي تمزق أجساد الأطفال الأبرياء؟ هل الأطفال يحملون سلاحاً؟!! وهل النساء يحملن سلاحاً؟!!. لماذا هذا القتل؟!!!.

وكيف يمكنني أن اصبر على كل هذا إنه صبرهم على مصائبهم، وهم يقولون (الحمد لله... الحمد لله). وعندما كنت أراقب الأخبار على التلفاز جاء خبرَ عاجل عن سقوط صواريخ الفسفور التي تشتعل وتحرق الأطفال والرجال والنساء، ولم أتصور ان انهم سيصلون الى هذا الحد ولم أتحمل صورتان الأولى الطفل الذي فقد بصره لكنه لم ييأس بل تحمل كل هذا التعب والآلام ... والثانية، الفتاة التي كانت تلعب مع أقاربها ففقدت رجلاها الاثنتين،بكيت عليها لأنها من عمري فتخيلت نفسي مكانها وان جميع طموحاتي تكسرت وتدمرت وان حياتي انتهت. لكن الفتاة بدت قوية وشكرت ربها، يا لها من فتاة شجاعة وصبورة!.

ولا مكان آمن
بلال يعقوب الحسن، ١٧ سنة، البلد الأصلي: صبارين، مخيم الفارعة.

استهدف العدوان الإسرائيلي في البداية الدوائر الحكومية العاملة في القطاع وبعد تدميرها بالكامل، انتقل إلى منازل سكان القطاع المدنين، وقصفها عشوائيا، وأصابها مباشرة لكثرة الازدحام السكاني في القطاع، لذلك لجأ أهالي القطاع الذين لم توافيهم المنية إلى مدارس الأونروا التابعة لهيئة الأمم المتحدة، حيث كانت المدرسة الواحد تحتوي على الآلاف من المدنيين، ولم يكن لدى هؤلاء السكان مكان آمن للجوء إليه غير الله، حتى سيارات الإسعاف ومن بها قصفوها، واستهدفت أجزاء من المستشفيات التي تحتوي على الآلف من المصابين والجرحى، واستهدفت سيارات الأونروا، ولم يكتفوا بذلك بل قصفوا المخزن الرئيسي للاونروا على مستوى القطاع والذي يحتوي على الوقود المرسل إلى مستشفيات القطاع، ولم يسلم الصحفيين والمراسلين ومقراتهم فالجميع مستهدف أيا كان طفلا أو رجلا أو شيخا أو نساء، فلا مفر لأحد من هذه الحرب البشعة.

انصروا أطفال غزة
احمد محمد السمهوري، ١٥ سنة، البلد الأصلي: اللد، مخيم عقبة جبر.

يعيش أطفال غزة حالة من الخوف والذعر والجوع والحرمان، كما ورد على شاشات التلفاز من مظاهر المعاناة، والبعض منهم حرموا من الحياة التي هي حق للجميع والتي لا يمكن التخلي عنها. منهم أيضا من يعاني من عدم وجود مأوى يأوي إليه، والعديد منهم يبحث عن بقايا منزله أو أشلاء عائلته، فماذا يمكن أن نسمي هذا احتلال أم إرهاب أم إبادة للشعب الفلسطيني، ولكن للأسف هو كل ما ذكر. الجميع مستهدف في قطاع غزة، ومن جهتي اسأل أين الوحدة الوطنية لدى الشعب الفلسطيني، للوقوف أمام المحتل لنحمي شعبنا وفي النهاية أقول انصروا أطفال غزة، واجلوا كل الحسابات الصغيرة التي مهما عظمت لا يمكنها أن ترقى إلى مستوى قطرة دم واحدة تسيل من جسد طفل أو شاب فلسطيني.

متى السلام؟!
شروق محمود اسعد، ١٤ سنة، البلد الأصلي: بيت محسير، مركز لاجئ.

تلعثمت كلماتي ... وتناثرت أفكاري ... وتبعثرت أوراقي، حتى جاء ذلك الطيف الشيطاني، يمتطي آلة الموت المفترسة، اقترب منها ... من غزة ... أخذ يرسم بالدماء على تراب الوطن، جَثت مستنجدة ... متوسلة ... لكنها لم تسمع سوى الآهات، كانت السمكة وهم الصيادون ... الظالم والمظلوم. في ذلك العالم ... فيها ... تحول الأسد الشجاع إلى متهور ... والثعلب الماكر إلى أمين على هذه الأمة، والذئب الشرس إلى قدوة ومَثلٌ في الطيبة، لكن الحياة كفاح ... والسبيل طويل ... ومسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة. الساعات تمشي والأيام تركض والأشهر تهرول، وأنا وأنت أيها الفلسطيني في سباق مع الزمن، فهل سنبقى ننام على أزيز الرصاص؟ ونصحو على بكاء الناس؟ والوطن يسأل: متى السلام ؟؟

يا أيتها العروبة
ياسمين عماد الأزرق، ١٤ سنة، البلد الأصلي: القبو، مركز لاجئ.

يا أيتها العروبة المترامية بين الأقدام،
يا أيتها العروبة المتراقصة على أوراق التاريخ والذكريات،
أين أنتِ الآن؟ أين يديكِ التي كانت تمسح دموعنا!
أين أنتِ يا أيتها العروبة الصامتة؟
ألن تزول غيمة الصمت تلك؟
أم أنها ستزول بعد أن تلازم غيمة الموت غزة الصامدة؟
أين أنتم يا أيها عرب؟ وأين ذلك القلب الذي كان يشعر بنا؟!
أين ضمائركم يا من باعوا ضمائرهم في مزاد الغرب؟
أجيبوني ولو لمرة... كيف تستطيع عيونكم أن تغفى؟
وغزة تبكي في اليوم مليون مرة...
أليست هي جزءا من جسد العرب ... أم أصبحنا نبيع أعضاءنا كي نرضي أعداءنا!!.

كلمة لاجئة
مريم كمال سعيد كمال، ١٥ سنة، البلد الاصلي: العباسية، مخيم عقبة جبر.

كلمة أقولها لأهل غزة الكرام، وبعد كم أنا غاضبة على ما يحصل لكي يا غزة. وأنا أقول لأصدقائي الأطفال، وشعبي الصامد في غزة، أنهم في قلبنا. كم أتمنى أن تتحرر بلادنا من أيدي المجرمين، الذين لا يوجد في قاموسهم أي نوع من أنواع الشفقة والرحمة. كم أتمنى أن ينعم أطفالك غزة بالدفء والراحة من هذا الحصار. فانا حينما أشاهد التلفاز لا أرى سوى شهداءك يا غزة. أمدكم الله بالقوة والصبر والإيمان واسأل نفسي إلى متى إلى متى سنبقى هكذا؟. أليس لنا الحق أن نعيش في راحة وهناء؟ أليس لنا الحق في أن ننام سعداء؟ أليس أطفال غزة مثل باقي أطفال العالم، أم أنهم يختلفون؟ لماذا لا يحق لنا أن نسعد، ولكننا سعداء برغم كل شي، نحن سعداء نخلق الفرح من الحزن، نخلق القوة من الضعف. كم أتمنى أن نعود إلى بيارات الليمون والبرتقال، كم أتمنى أن أعود إلى حضنك أمي، كم اشتاق إليك فلسطين، احبك فلسطين.

الحرب على غزة
نضال علي الشطلة، ١٨ سنة، البلد الأصلي: عاقر، مخيم النصيرات

عندما تم الهجوم البري على غزة توقع الكثير من المواطنين انه سوف يتم إبادة قطاع غزة، فهربت آلاف الناس من بيوتهم إلى مدارس الأونروا ظناً منهم أنها ستحميهم من طاعون الاحتلال فلم يسلموا حتى في مراكز الأونروا، فالطائرات الإسرائيلية قصفت المدارس وراح ضحيتها اكثر من ٤٠ شهيد، بعض العائلات التي كانت على مقربة من القصف والتوغل الإسرائيلي حاولوا الفرار من بيوتهم حتى حاولوا الخروج من قطاع غزة إلى أي مكان آمن فوجدوا في وجوههم الاحتلال ولا يوجد مفر لكم، من الموت، فالموت يلاحقكم في كل زمان وكل مكان فإلى متى؟

ها هي إسرائيل استخدمت كل وسائل الحرب ضدنا حتى المحرم دولياً، فلماذا لا تحاكم إسرائيل بمحكمة دولية على جرائم الحرب التي حلت بأهالي قطاع غزة؟!!

لماذا لا تحاكم إسرائيل؟
سارة حسن أبو عياش، ١٧ سنة، البلد الأصلي: وادي احنين، مخيم النصيرات.

لقد ولدت الحرب على قطاع غزة أزمة إنسانية بشعة نظرا للتدمير واسع النطاق للظروف المعشية للسكان وتدهور كبير في البنية التحتية والخدمات الأساسية ولقد طالت قذائفهم العديد من المسعفين والصحفيين وخلال الحرب لم يتمكن المواطنين من متابعة حياتهم اليومية وتأمين قوتهم ولو بالحد الأدنى. فكانت الهدنة المزعومة ٣ ساعات يوميا عرضة للخرق الدائم من قوات الاحتلال الإسرائيلي. لذلك لاحظنا تحرك كبير من الأفراد والجمعيات الوطنية والدولية المعنية بحقوق الإنسان وازداد عددها ومطالبتها بفتح تحقيق دولي مسؤول عن هذه الجرائم. أما بالنسبة لردود الفعل العربية والدولية لقد وجدنا تضامن حاشد من جميع الشعب العربية والأوروبية، حيث انتفضت الشعوب منددة بالعدوان على غزة بينما كان الرد من الحكام سلبي إلى حد كبير حيث اكتفوا بإصدار الإدانات، فيما ساوى الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون والحكومات الغربية بين الضحية والجلاد. رغم أن مجلس حقوق الإنسان أدان من جنيف الهجوم الإسرائيلي على غزة بناء على طلب اجتماع عاجل تقدمت به الدول العربية والإسلامية، وحظي القرار بموافقة ٣٣ دولة فيما امتنعت ١٣ دولة عن التصويت معظمها أوروبية إلى جانب اليابان وكوريا الجنوبية والكاميرون وغواتيمالا، وعارضته كندا وحدها مشروع القرار الذي ينص على صدمة المجلس من تدمير منازل الفلسطينيين ومصرع المدنيين وسياسة العقاب الجماعي ضد السكان العزل مما يشكل جرائم حرب يتوجب على المجتمع الدولي تقديم مرتكبيها للعدالة ولإرضاء جميع الأطراف جاء في القرار عدم إطلاق القذائف أو الصواريخ من جميع الأطراف.



إحدى رسومات الناشئة في قطاع غزة (©: مركز بديل) رسم الناشئين نضال الشطلي ومحمد أبو طاحون

اللجنة الوطنية لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها*

بيان صحفي

"اوقفوا المجزرة في غزة، قاطعوا إسرائيل الآن!"

رام الله المحتلة/ فلسطين، ٣١ كانون الأول/ ديسمبر. لليوم الخامس على التوالي يرتكب جيش الاحتلال الاسرائيلي المجازر في قطاع غزة مما تسبب في استشهاد وإصابة المئات من المدنيين الفلسطينيين، بما في ذلك عدد غير محدد حتى الآن من أطفال المدارس ومن بينهم من كان في طريق العودة الى بيوتهم عند بدء الضربات العسكرية الأولى. إن حمام الدم الأخير، وإن كان أكثر قسوة من سابقاته، ليس الأول الذي تقترفه إسرائيل، إذ يأتي ليتوج أشهرا من الحصار الإسرائيلي على القطاع، والذي يجب أن يدان على نطاق واسع وأن يحاكم المسؤولون عنه كعمل من أعمال الإبادة الجماعية الممارسة ضد ١,٥ مليون فلسطيني في أراضي القطاع المحتل.

ويبدو أن إسرائيل تنوي الاحتفال بمرور ٦٠ سنة على تأسيسها بنفس الطريقة التي اوجدت نفسها بها؛ أي عن طريق ارتكاب المجازر ضد الشعب الفلسطيني. ففي عام ١٩٤٨، أقيمت إسرائيل عبر ممارسة التطهير العرقي بحق غالبية السكان الفلسطينيين الأصليين من خلال تشريدهم من ديارهم ووطنهم، ومن خلال ارتكاب عدد من المذابح مثل مجزرة دير ياسين؛ ولكن اليوم، إذ تواصل إسرائيل نفس السياسة، لا يملك الفلسطينيون في غزة، ومعظمهم من اللاجئين، خيار اللجوء إلى مكان آخر، مما يجعل الهجمة عليهم أكثر وحشية. فحشر الفلسطينيين وراء جدران الحصار بعد مرحلة طويلة من التجويع والحرمان من الأساسيات، تجعل منهم هدفا سهلا للقصف الإسرائيلي العشوائي.

في العام الماضي، وصف البروفسور ريتشارد فولك، مبعوث الأمم المتحدة الخاص بحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة وخبير القانون الدولي في جامعة برينستون، الحصار الإسرائيلي المفروض على غزة، والذي لم يكن قد بلغ في حدته كما هو حاليا، بالقول:

" أصحيح انه من المبالغة غير المسؤولة أن يتم الربط بين المعاملة التي يتعرض لها الفلسطينيون والسجل الإجرامي الجماعي النازي الفظيع؟ لا اعتقد ذلك. ان التطورات الاخيرة في غزة تعد مثيرة للقلق للغاية، لأنها تعبر بشكل واضح عن نية متعمدة من جانب إسرائيل وحلفائها لتعريض مجتمع إنساني كامل لظروف بالغة القسوة تهدد حياتهم. إن التلميح إلى أن هذا النمط من السلوك عبارة عن محرقة في طور الإعداد يستدعي تحرك حكومات العالم والرأي العام الدولي بشكل عاجل لمنع السعي الإسرائيلي الحالي لارتكاب الإبادة الجماعية من أن تتوج بمأساة جماعية."

ويعد ما يحصل اليوم الحلقة الأكثر مأساوية في مسلسل " المأساة الجماعية " هذه.

إن جرائم الحرب الإسرائيلية وغيرها من الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي في غزة و بقية الأراضي الفلسطينية المحتلة، بما في ذلك القدس، لم تكن لتقترف من دون تواطؤ مباشر او غير مباشر من حكومات العالم، ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي ومصر، وغيرها من الأنظمة العربية.

فبينما تستمر حكومة الولايات المتحدة بانسجام مع الذات في دعم ورعاية وحماية سياسات إسرائيل الاستعمارية الإحلالية وسياسات الابارتهايد العنصرية المتطرفة التي تستهدف السكان الفلسطينيين- شعب فلسطين الأصلي، كان الاتحاد الأوروبي في الماضي لا يزال قادرا على الدعوة، الشكلية إلى حد ما، إلى احترام القانون الدولي وحقوق الإنسان العالمية. ولكن فيما بعد، وتحديدا منذ ٩ ديسمبر/ كانون الأول الحالي، لم يعد هناك مجال للتفريق فعليا بين موقف الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة؛ حيث قرر مجلس الاتحاد الأوروبي بالإجماع مكافأة إسرائيل على جرائمها وعدم احترامها للقانون الدولي عن طريق رفع مستوى اتفاقية الشراكة بين الاتحاد الأوروبي وإسرائيل. من الواضح ان اسرائيل فهمت من هذا القرار أن الاتحاد الأوروبي يبارك أفعالها ضد الفلسطينيين الخاضعين لاحتلالها. كما وصلت الرسالة كذلك الى المجتمع المدني الفلسطيني ألا وهي: أن حكومات الاتحاد الأوروبي لا تقل في تواطئها مع إسرائيل عن نظيرتها في الولايات المتحدة.

إن الغالبية العظمى من حكومات العالم، ولاسيما المنطقة الجنوبية، تتحمل جزءا من المسؤولية هي الأخرى. فعلاوة على عدم تحركها في إطار الأمم المتحدة، وهو أمر غير مبرر، فقد وفرت، عبر مواصلة التعاون مع إسرائيل في عقد الاتفاقات التجارية، وصفقات الأسلحة، والروابط الأكاديمية والثقافية، والعلاقات الدبلوماسية، الخلفية اللازمة لتواطؤ القوى الأكبر في العالم مع إسرائيل.

في آخر رسالة قدمها أمام الجمعية العامة، يصف الأب ميغيل ديسكوتو بروكمان، رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة، الطريق الأخلاقي الوحيد المطروح على أمم العالم للتعامل مع إسرائيل فيقول:

" منذ أكثر من عشرين عاما مضت، أخذنا نحن في الأمم المتحدة بمبادرة المجتمع المدني في حينه، عندما وافقنا على فرض العقوبات على نظام جنوب أفريقيا كوسيلة غير عنيفة للضغط عليه لإنهاء الانتهاكات التي يرتكبها. اليوم، ربما ينبغي علينا في الأمم المتحدة الأخذ بمبادرة جيل جديد من قوى المجتمع المدني، التي تطالب بحملة غير عنيفة مشابهة لتلك التي فرضناها على نظام جنوب أفريقيا، لمقاطعة إسرائيل، وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها لإجبارها على وقف الانتهاكات التي ترتكبها."

الآن، وأكثر من أي وقت مضى، تدعو اللجنة الوطنية لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها المجتمع المدني العالمي، ألا يكتفي بالاحتجاج والإدانة، بأشكالها، في مواجهة المجزرة التي ترتكبها اسرائيل في غزة، بل أن ينضم إلى حملة المقاطعة الدولية وتكثيفها لإنهاء ظاهرة حصانة إسرائيل من العقاب، وللعمل على مساءلتها جراء انتهاكاتها الجسيمة للقانون الدولي والحقوق الفلسطينية. فمن دون الضغط المستمر والفعال من جانب أصحاب الضمائر الحية في جميع انحاء العالم، ستستمر إسرائيل في ممارسة أعمال الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين، بشكل متدرج وتصاعدي، مما سيؤدي الى طمر إي احتمال للتوصل إلى سلام عادل تحت أنقاض ودماء غزة ونابلس والقدس.

---

* اللجنة الوطنية لمقاطعة إسرائيل، وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها:

القوى الوطنية والإسلامية، الاتحاد العام لنقابات عمال فلسطينيين، الاتحاد العام لعمال فلسطين، شبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية، اتحاد النقابات المستقلة، اتحاد الجمعيات الخيرية، الائتلاف الفلسطيني لحق العودة، مبادرة الدفاع عن فلسطين وهضبة الجولان المحتلتين، الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، اتحاد المزارعين، الحملة الشعبية لمقاومة جدار الفصل العنصري، الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل، اللجنة الوطنية العليا لإحياء ذكرى النكبة، الائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس، الائتلاف من اجل القدس، الراصد الاقتصادي الفلسطيني

بيان صادر عن مؤسسات لاجئين (٢٩-١-٢٠٠٩)

اثر العدوان الصهيوني الوحشي على شعبنا في قطاع غزة الصامد أصبح من الواجب الأخلاقي والوطني والتاريخي والديني العمل من اجل استعادة الوحدة الوطنية باعتبارها السلاح الوطني الأقوى والأبقى والأمضى في مواجهة التحديات وفي مقدمتها مخططات الاحتلال الصهيوني وممارساته التي تستهدف وجود شعبنا وقضيته الوطنية منذ أكثر من ستين عاما.

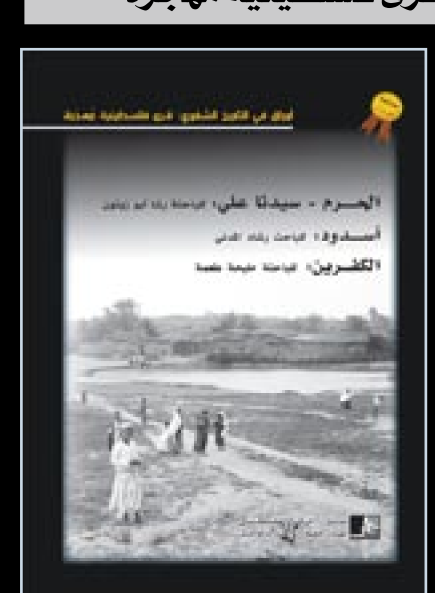
الأمر الذي يستدعي حشد كل الطاقات الوطنية والكفاحية، على قاعدة التكامل في الأداء النضالي، وإنهاء حالة الانقسام السياسي والجغرافي المدمرة للمشروع الوطني الفلسطيني، مما يتطلب ضرورة الحفاظ على ضمان التعددية السياسية ووحدانية التمثيل الوطني، في إطار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده، باعتبارها إطارا وطنيا جامعا وانجازا تاريخيا لشعبنا يجب الحفاظ عليه، وضرورة تفعيل دور مؤسساتها وهيئاتها وتطويرها بما يعزز دورها التمثيلي.

وعليه فإننا كمؤسسات ومنظمات وهيئات ولجان واتحادات وطنية فلسطينية نستشعر الخطر ونحذر من مغبة المساس بمكانة منظمة التحرير الفلسطينية كمرجعية وطنية عليا لشعبنا الفلسطيني، وكل ما من شأنه تعميق الانقسام وإفشال الحوار الوطني، ولذا نطالب اللجنة التنفيذية ومكتب رئاسة المجلس الوطني الفلسطيني بضرورة الدعوة لعقد جلسة طارئة للمجلس الوطني الفلسطيني لاتخاذ القرارات والإجراءات اللازمة لتفعيل وتطوير مؤسسات المنظمة والحفاظ على مكانتها الوطنية وصفتها التمثيلية الجامعة ودورها الكفاحي.

نعم للوحدة والوفاق ولا للانقسام والشقاق
وإننا لعائدون إلى ديارنا

الموقعون
اتحاد مراكز الشباب الاجتماعية – فلسطين.
اتحاد مراكز النشاط النسوي – فلسطين.
لجنة الدفاع عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين– فلسطين.
مركز يافا الثقافي – نابلس.
بديل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين.
الائتلاف الفلسطيني لحق العودة – فلسطين.
لجان الدفاع عن حق العودة – عائدون – فلسطين.

إصدار جديد: أوراق في التاريخ الشفوي: قرى فلسطينية مهجرة



اصدر بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين مطلع عام 2009 كتابا جديدا من ضمن إصدارات جائزة العودة حمل عنوان: أوراق في التاريخ الشفوي: قرى فلسطينية مهجرة.

ويحتوي هذا الإصدار على الأوراق الثلاث الفائزة في جائزة العودة للعام 2007 في حقل التاريخ الشفوي، وهي على التوالي:

"الحرم سيدنا علي" للباحثة رشا أبو زيتون الحائزة على المرتبة الأولى في جائزة العودة في حقل التاريخ الشفوي للعام 2007، وهي باحثة في مجال التاريخ الشفوي من مواليد طولكرم.

"أسدود" للباحث رشاد المدني الحائز على المرتبة الثانية في جائزة العودة في حقل التاريخ الشفوي للعام 2007، وهو صحفي وباحث في مجال التاريخ الشفوي، من مواليد غزة.

الكفرين للباحثة مليحة طعمة الحائزة على المرتبة الثالثة في جائزة العودة في حقل التاريخ الشفوي للعام 2007 عن بحثها "الكفرين" وهي باحثة في مجال التاريخ الشفوي من مواليد قفين– طولكرم.

وقد تألفت لجنة تحكيم جائزة العودة في حقل التاريخ الشفوي للعام 2007 من كل من الدكتور عادل يحيى، الدكتور مصطفى كبها، الدكتور نايف جراد، الدكتورة سونيا نمر، والدكتور عدنان شحادة.

وقد جاء هذا الإصدار التزاما من مركز بديل بتعهداته المبينة في شروط جائزة العودة الخاصة بحقل التاريخ الشفوي والتي تقضي طباعة ونشر الأوراق الفائزة في الجوائز الثلاث الأولى. وحيث يدرك مركز بديل أن البحث في مواضيع التاريخ الشفوي ذو طبيعة خاصة بما لها من حساسية عالية كونها تتصل بشكل مباشر بأشخاص الرواة، والمروي عنهم، وبوقائع مستمدة من الذاكرة وغيرها، فقد آثر مركز بديل بناء على توصيات أعضاء لجنة التحكيم على قصر عملية التحرير على الجوانب الشكلية والفنية قدر الإمكان.

وجدير بالذكر هنا أن بديل كان قد أطلق مسابقة جائزة العودة للسنة الثالثة على التوالي لهذا العام بعد النجاح الذي تحقق في السنوات السابقة. والذي تجلت من خلاله الغاية من مشروع جائزة العودة؛ حيث تكمن الفكرة الأساسية من وراء هذا المشروع، في تفعيل وإطلاق الطاقات الكامنة بين عموم أبناء الشعب الفلسطيني، وتشكيل منبر لكل المُبدعين والمُبدعات من الفلسطينيين المؤمنين بحقوقهم وعدالة قضيتهم ومُصممين على الانتصار لشعبهم، وكذلك لتكون ملتقى وطنيا جامعا لجميع الفلسطينيين من كل أرجاء العالم، من فلسطين التاريخية والمنافي، حول حق العودة إلى الديار.

ملف العدد: التضامن العالمي مع فلسطين: إبداع في الأدوات واتساع في المدى



(إحدى الجداريات في ايرلندا، أيار ٢٠٠٨ (المصدر: لجنة التضامن الأيرلندية-الفلسطينية)

منظمة التحرير الفلسطينية في ميزان القوى السياسية الدولية

بقلم: عبد الفتاح القلقيلي (ابو نائل)*

مما لاشك فيه أن العالم وحدة واحدة مهما يشهد من صراعات وحروب، فالتواصل هو القاعدة، والانعزال هو الاستثناء. لذلك فكل التجارب في التاريخ تتأثر ببعضها سلباً وايجاباً مهما بعدت الشقة جغرافياً أو زمنياً.

شكّل القرن التاسع عشر قرن "الدولة الأمة"؛ حيث اتجهت احداث التاريخ ومسيرته لتجميع الأمة المنتشرة في عدة دول في دولة واحدة، وانقسام الامبراطوريات متعددة القوميات الى دول قومية. وتوحّدَ بذلك مصطلح "nation" ليعني الوطن والأمة معا. ففي بداية العقد الثاني من القرن العشرين، حاول العرب (رغم ان الأغلبية منهم مسلمون) الانفصال عن الامبراطورية العثمانية التركية المسلمة؛ لتشكيل دولة عربية "الدولة الأمة"، وتحالفوا من اجل ذلك مع الغرب المسيحي. لكن الحرب العالمية الاولى، رغم ذلك التحالف، لم تنتج الا تقسيم العالم العربي الى عدة دول. ومعروف ان ذلك التقسيم لم يأخذ في الحسبان العوامل الاقتصادية او الجغرافية او التاريخية لتلك المناطق. كل ما أخذه "المبضع" الغربي في التقسيم كان تقاسم النفوذ بين الدول الغربية المنتصرة في تلك الحرب وخاصة بريطانيا وفرنسا، الدولتين الاعظم آنذاك. وقسمت اتفاقيتا سايكس–بيكو (١٩١٦) وسان ريمو (١٩٢٠) المنطقة العربية الى دول بعضها مستقل وبعضها تحت الانتداب.

لم يقبل الوعي العربي هذه الاقسام دولاً، فَنحتَ لها الفكرُ السياسي العربي مصطلحا سياسيا جديدا غير مسبوق في الادبيات السياسية وهو "قطر"، فصارت المنطقة العربية اقطارا: سوريا، الاردن، لبنان، العراق... أما "الدول" العربية التي كانت تحت الاحتلال الاجنبي (المباشر او غير المباشر)، فقد بقيت على حالها وإن صار الفكر السياسي العربي يطلق عليها ذات التسمية أي "القطر".

وتميزت فلسطين عن الاقطار العربية الاخرى بأن نُحت لها مصطلح غير "الدولة" و "القطر"، لقد نُحت لها مصطلح "الكيان". والكيان ليس من شخوص القانون الدولي مثل الدولة والقطر؛ فهذا المفهوم غريب عن الحياة السياسية العامة، ولا سابق له في تاريخ الامم والشعوب (بما فيها العربية) التي كافحت لتحقيق استقلالها. لقد اطلقته الادبيات السياسية العربية على اسرائيل منذ قيامها وحتى مؤتمر مدريد (١٩٩١)، وذلك تعبيرا عن رفض الاعتراف بها كدولة. واطلقته على فلسطين كتعبير عن انه خطوة نحو الدولة على كل الارض الفلسطينية، فلا هو دولة منفصلة عن الاردن ولا دولة الى جانب اسرائيل. ولذلك اشار بعض الباحثين الفلسطينيين الى انه (اي الكيان) كان شعارا مبهما في اواخرا خمسينيات القرن العشرين، وتحول الى تعبير سياسي اكثر وضوحا في الستينيات، وانتهى في السبعينيات موازيا لمفهوم الاستقلال الوطني (اي الدولة). ومصطلح "كيان" من الكينونة السياسية. وقد تدرّج الكيان الفلسطيني من وضع "دولة" منقوصة السيادة تحت الانتداب البريطاني عام ١٩٢٢ الى وضع فقد الكيانُ وجودَه كشخصية اعتبارية بعد ان قامت دولةً اسرائيل عام ١٩٤٨، ثم الى كيان سياسي معترف به من بعض الدول العربية بقيام منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ومن كل الدول العربية والعديد من دول العالم بعد عام ١٩٧٤. واخيرا بعد اتفاقية اوسلو عام ١٩٩٣ امتزجت منظمة التحرير الفلسطينية بالحكم الذاتي الحالي في الضفة الغربية وقطاع غزة كخطوة اولى باتجاه اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة الى جانب دولة اسرائيل.

والثورة الفلسطينية المعاصرة (او ما كان يُطلق عليها المقاومة) هي تجربة أثرت وتأثرت بغيرها بشكل ملحوظ.

ويلاحظ بعض المراقبين البصمات الفلسطينية على كل ما يجري حالياً في العالم بأسره لدرجة انهم يرون أنه بدون حل "مشكلة الشرق الأوسط" حلاً عادلاً ليس هنالك استقرار عالمي، ناهيك عن الاستقرار في الشرق الاوسط.

ويستعيد هؤلاء المراقبون رأي جورج انطونيوس في كتابه يقظة العرب عام ١٩٠٥ بأن هذا القرن يشهد تحركاً في "القومية اليهودية" والقومية العربية، وسيشهد حتماً تصادمهما. ونتيجة هذا التصادم ستقرر مصير العالم في هذا القرن... لقد صدقت نبوءة انطونيوس، وتجاوزت القرن العشرين لتعبر القرن الواحد والعشرين.

جاءت منظمة التحرير الفلسطينية محصلة توافق، دون حوار مباشر، بين افكار وطموحات الفلسطينيين من جهة، وأفكار ومصالح الدول العربية الرسمية من جهة اخرى. كان الوعي الفلسطيني قد تبلور باتجاه الكيانية القطرية مما جعل الكيان مطمحا ممكن التحقيق. وكانت الدول العربية قد استقر رأي معظمها على امرين: الاول، صعوبة الانتصار على اسرائيل وصعوبة مواجهتها وصعوبة اجراء تسوية معها. والامر الثاني، امكانية تطور الوعي الفلسطيني القطري، وسعي الفلسطينيين لاسترداد ارضهم وبناء كيانهم باساليب ثورية وبعيدا عن سيطرة المجموعة العربية الرسمية.

وتجنبا لانشاء هيئة فلسطينية جديدة غير مأمونة العواقب، حاولت الجامعة العربية (١٩٦١) دعم حكومة عموم فلسطين مادياً وسياسياً. ورغم أن مشروع إنعاش حكومة عموم فلسطين لم ير النور في السنوات التالية، الا ان الدول العربية لم تصرف النظر عن ذلك المشروع. ففي الدورة الاربعين لمجلس جامعة الدول العربية (١٥/٩/١٩٦٣) اختير أحمد الشقيري ممثلا لفلسطين، وعُهد اليه بمهمة القيام باستشارات مع الشخصيات والقوى السياسية الفلسطينية لتشكيل حكومة عموم فلسطين جديدة. وطُلب منه كذلك زيارة العواصم العربية المختلفة لدراسة الوسائل التي ستضعها الدول العربية تحت تصرفه من اجل انجاز ذلك.

لم تكن حكومة عموم فلسطين تحظى باحترام الفلسطينيين، ولم تعد تشكل لهم بصيصاً من امل في اتجاه استعادة ارضهم وكرامتهم او اقامة كيانهم. لذلك استبعد الشقيري مشروع "انعاش حكومة عموم فلسطين" وخلص الى استنتاج انه لا بد من انشاء هيئة فلسطينية جديدة ذات ميثاق جديد. ولينعش امل الفلسطينيين في تحرير وطنهم اقترح ان يكون اسم الهيئة المزمع انشاؤها "منظمة التحرير الفلسطينية". واختار يوم ١٤/٥ ذكرى النكبة الفلسطينية وقيام دولة اسرائيل ليكون يوم انعقاد "المؤتمر الوطني الفلسطيني" الاول في القدس ليوحي ان قيام منظمة التحرير الفلسطينية رد على النكبة، ورد على قيام اسرائيل. وضع الشقيري مسودة "ميثاق قومي" فلسطيني اقرّه ذلك المؤتمر. وسيكون الشعب الفلسطيني هو "الاساس الذي يقوم عليه الميثاق القومي ومنظمة التحرير الفلسطينية، وسيكون دور الحكومات العربية محصورا في مساعدة شعب فلسطين في خلق هذا الكيان. وبعد ذلك يملك الكيان الفلسطيني استقلاله، وسوف يتعاون مع الدول العربية الاخرى داخل الجامعة وخارجها".

إذن فقد تضافرت موضوعيا الحالة السياسية الفلسطينية التي كانت تشهد مخاضا كيانيا منذ سنوات مع التوجهات الرسمية العربية لصالح قيام مؤسسة تمثيلية للشعب الفلسطيني، تحظى بشعبية فلسطينية وشرعية عربية واسعتين.

رغم ان الدول العربية جميعها رفضت الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية عند قيامها (عام ١٩٤٩)، إلا أن حكومة الصين الشعبية رفضت قبول رسالة التهنئة والاعتراف التي سارعت اسرائيل بارسالها الى بكين. وكذلك فعلت الصين الشعبية مرة اخرى عندما هنأتها اسرائيل باستعادة مقعدها الدائم في مجلس الامن في

يتبع صفحة ١٠



إجتماع المجلس الوطني الفلسطيني، الجزائر (المصدر: fatehforums.com)

خريف عام ١٩٧١. وكان اول "فيتو" استعملته الصين الشعبية في مجلس الامن في ايلول ١٩٧٢ لاحباط مشروع قرار امريكي لادانة "الارهاب الفلسطيني" على اثر عملية ميونخ. وكانت الصين الشعبية هي الداعم الاساسي لمنظمة التحرير (على الصعيد اللوجستي والتدريب). والتزمت الصين الشعبية بالمقاطعة العربية لاسرائيل "من الدرجة الاولى" (اي مقاطعة الشركات الاسرائيلية وبضائعها دون مقاطعة الشركات التي تتعاون مع اسرائيل)، وحافظت على هذا الالتزام حتى مؤتمر القمة العربية في فاس الذي اقر (بموافقة المنظمة) مبادرة سلمية تستند الى قيام دولة فلسطينية الى جانب دولة اسرائيل. ولكن ما أن انتهت الجلسة الافتتاحية لمؤتمر مدريد حتى قام وزير الدفاع الاسرائيلي (مطلع تشرين ثاني ١٩٩١) بزيارة بكين، وبعيد ذلك زار وزير خارجية الصين الشعبية اسرائيل ليوقع (في ١٩٩٢/١/٢٤) بروتوكولا باقامة علاقات دبلوماسية، وبدأ الدعم الصيني لمنظمة التحرير يتراجع حتى صار لا يكاد يُرى. وكذلك كان الامر مع فياتنام وكوريا الديموقراطية.

اما الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية في معسكره، فقد كانوا ضد اعتماد الكفاح المسلح كاسلوب رئيس للتحرير، ولكن إثر قرار السادات (١٩٧٢/٧/٨) بانهاء خدمات الخبراء السوفييت دعا الاتحاد السوفييتي (في ذات الشهر) وفدا رسميا من منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات. عقد الوفد لقاءات مع مسؤولي وزارة الدفاع السوفييتية، وحصل على مساعدات لوجستية وتدريبية. واول بيان مشترك مع السوفييت كان في ديسمبر ١٩٧٤ رحب فيه الاتحاد السوفييتي بقرار مؤتمر القمة العربي بالاعتراف بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا للشعب الفلسطيني. وتراجع الدعم السوفييتي اثر الانشقاق عام ١٩٨٣ ووصل الحضيض اثر زيارة ياسر عرفات للقاهرة بعد خروجه من طرابلس عام ١٩٨٤.

اما القوى السياسية اليسارية خارج الحكم فقد تراوح دعمها بمقدار تلاقي مواقف منظمة التحرير السياسية مع مواقف هذه القوى صعودا وهبوطا.

كما شكلت حرب ١٩٧٣ غطاءاً للسادات في عبور دهاليز التسوية والاعتراف باسرائيل، شكلت الانتفاضة الفلسطينية غطاءً لمنظمة التحرير الفلسطينية لتدخل دهاليز التسوية والاعتراف باسرائيل كأمر واقع. كانت الانتفاضة التي انطلقت في التاسع من كانون اول ١٩٨٧ الرافعة الاساسية لمنظمة التحرير الفلسطينية في مرحلة الهبوط. فالبطولات التي قام بها الشعب الفلسطيني بكل فئاته والتي نقلتها الفضائيات جعلت الرأي العام العربي يستعيد ثقته وفخره بالشعب الفلسطيني. واصرار "القيادة الموحدة" للانتفاضة على انها الذراع الضارب لمنظمة التحرير الفلسطينية، وان قيادة المنظمة هي الممثل الشرعي والناطق الرسمي باسم الشعب الفلسطيني، رفع قيادة المنظمة واعادها للنور، واحرج المتشددين واضعف دعواهم ضد قيادة المنظمة، خاصة ان فعاليات الانتفاضة النضالية رسمت حدود الدولة الفلسطينية على اساس "الخط الاخضر" الذي يفصل المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ عن اسرائيل. واستطاعت الانتفاضة ان تترك تأثيرا لا سابق له على المجتمع الاسرائيلي واجبرته على الفرز والاستقطاب السياسيين بين الاسرائيليين على اساس الموقف من قضية الشعب الفلسطيني.

وكان اثر الانتفاضة ايضا ملحوظا في المجتمع الدولي. ففي ١٩٨٧/١٢/٢٢ اتخذ مجلس الامن الدولي قرارا لأول مرة يشجب فيه بشدة "ما تتبعه اسرائيل (السلطة القائمة بالاحتلال) من سياسات وممارسات تنتهك حقوق الانسان الفلسطيني في الاراضي المحتلة...". كما اكد المجلس ان "اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب تنطبق على الاراضي الفلسطينية والاراضي العربية الاخرى التي تحتلها اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ بما فيها القدس" (قرار مجلس الامن رقم ٦٠٥).

وكان للانتفاضة دور في ما يخص الوعي الكياني الفلسطيني، ويتعلق بثلاث قضايا: قضية الساحة الرئيسية، وقضية حدود الكيان، وقضية بروز التيار الاسلامي. فالانتفاضة صححت الوضع في الثورة الفلسطينية حيث كانت الساحة الخارجية هي الرئيسية، فصارت الآن الساحة الداخلية هي الاساسية. واكدت الانتفاضة بشكل عملي وملموس ان حدود الدولة الفلسطينية المستقبلية هي الحدود التي كانت قائمة يوم ١٩٦٧/٦/٤ بين اسرائيل وكل من الضفة الغربية وغزة، خاصة بعد ان اعلن الاردن من طرف واحد في ١٩٨٨/٧/٣١ "فك الارتباط" اي "فك العلاقة القانونية والادارية بين الضفتين الشرقية والغربية لنهر الاردن". لم تعلن "القيادة الموحدة" للانتفاضة انها تريد اقامة دولة فلسطينية في المناطق المحتلة منذ حزيران ١٩٦٧، لكن فعالياتها النضالية لم تتجاوز حدود تلك المناطق، فكل تصرفاتها النضالية وتعبئتها للجماهير توحي بأن هذه المناطق هي وطننا وان اسرائيل تحتل هذا الوطن ويجب طردها منه.

وإن كانت هاتان القضيتان دعامتين لقيادة منظمة التحرير "المعتدلة"، الا ان القضية الثالثة، وهي بروز التيار الاسلامي كان المنغص الاساسي لمسيرتها السياسية في مسارب التسوية، وسيواصل تنغيصه حتى يومنا هذا.

درجت الانظمة العربية على تشجيع التيارات الاسلامية للوقوف في وجه التيارات اليسارية (والماركسية بصفة خاصة)، وللحد من نفوذ التيارات القومية. وقد حدث ذلك في الاردن في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وحدث ذلك في مصر في بداية السبعينيات. لكن سرعان ما تصبح هذه التيارات عبئا على تلك الانظمة، وقد ذهب السادات ضحية ذلك التيار، وكذلك حدث في معظم الانظمة العربية مع من اطلق عليهم "العرب الافغان". ولم تكن الساحة الفلسطينية استثناء.

"اعلان الاستقلال" الذي اقره بالاجماع المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة عشرة في الجزائر (١٩٨٨/١١/١٥) شكل "طلقة الرحمة" على الميثاق الوطني الفلسطيني، او على الاقل على "اعمدته" الاساسية ذات العلاقة بوجود اسرائيل او بمفهوم الكيان الفلسطيني. ويعلن ان دولة فلسطين "محبة للسلام ملتزمة بمبادئ التعايش السلمي... وتؤمن بتسوية المشاكل الدولية والاقليمية بالطرق السلمية". وذلك ما مكن رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة الترحير الفلسطينية ان يعلن في تصريح صحفي في باريس، وبناء على اقتراح فرنسي، انه "يعتبر ميثاق منظمة التحرير caduc لاغ".

انسجاما مع تطور الاحداثً، وفي رسالته الرسمية الى يتسحاق رابين رئيس الحكومة الاسرائيلية في ١٩٩٣/٩/٩، يؤكد عرفات بإيمان راسخ التزام منظمة التحرير الفلسطينية بأنها "تعترف بحق دولة اسرائيل في الوجود بسلام وأمن... وانها تنبذ (renounces) اللجوء الى الارهاب واعمال العنف الاخرى، وستتحمل مسؤولية جميع عناصر وموظفي م.ت.ف. وستتخذ الاجراءات التأديبية بحق المخالفين... وتؤكد ان بنود الميثاق الوطني الفلسطيني التي تنكر على اسرائيل حق الوجود، وفقراته التي لا تتلاءم مع الالتزامات الواردة في هذه الرسالة، ستصبح ملغاة وغير سارية المفعول بعد الآن. وبالتالي، فإن م.ت.ف. تتعهد بعرض التعديلات الضرورية المتعلقة بالميثاق الوطني الفلسطيني على المجلس الوطني الفلسطيني للحصول على موافقته الرسمية عليها". ويجيب يتسحاق رابين جوابا مقتضبا في ضوء التزامات منظمة التحرير الفلسطينية الواردة في رسالة رئيسها، يؤكد ان حكومة اسرائيل "قررت الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا للشعب الفلسطيني وبدء المفاوضات مع م.ت.ف. ضمن اطار عملية السلام في الشرق الاوسط".

ولأن تعديل الميثاق يحتاج ان يعقد المجلس الوطني الفلسطيني جلسة خاصة لهذا الغرض، فقد عقد المجلس جلسته الخاصة يوم ١٩٩٦/٤/٢٤ (على هامش الدورة الحادية والعشرين) وبحضور الرئيس الامريكي وعقيلته، واستمع الى تقرير اللجنة القانونية الخاصة بتعديل الميثاق الوطني الفلسطيني بما يتناسب مع المرحلة والظروف السياسية. وانطلق المجلس من وثيقة اعلان الاستقلال وقرارات الدورة التاسعة عشرة، واستند الى التزام منظمة التحرير باتفاقيات اوسلو، ليقرر ما يلي:

١- تعديل "الميثاق الوطني" بالغاء المواد التي تتعارض مع الرسائل المتبادلة بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة اسرائيل يومي ٩ و١٠ ايلول ١٩٩٣.

٢- يكلف المجلسُ الوطني الفلسطيني اللجنة القانونية بإعادة صياغة الميثاق الوطني، ويتم عرضه على المجلس المركزي في اول اجتماع له.

وقد وافق على هذا القرار ٥٠٤ اعضاء وعارضه ٥٤ عضوا وامتنع ١٤ عن التصويت. وبذلك دُفن الميثاق ولم يخلفه جديد. فرغم ان المجلس المركزي قد عُقد بعد اكثر من اربع سنوات (٢٠٠٠/٧/٣) الا انه لم يُعرض عليه الميثاق المعدل ولم يطالب بذلك.

لقد كانت اوسلو كـ"إيعاز إلى الخلف در!"؛ وإذا نفذ الطابورُ هذا "الإيعاز" يتغيّر وضع الطابور تماما: مَن كان في الأمام يصير في الخلف، ومَن كان في الخلف يصير في الامام؛ ومن كان في اليسار يصير في اليمين، ومَن كان في اليمين يصير في اليسار... هكذا كانت اوسلو تماما؛ فالذي كان مطلوبا منا ان نموت لانجازه (تدمير الكيان الصهيوني) صار مطلوبا منا ان نموت لمنعه، وما كان مطلوبا من ان نموت لمنعه (التسوية على أراضي ١٩٦٧) صار مطلوبا من ان نموت لانجازه...

ومن الطبيعي، والحالة هذه، ان تنقلب خارطة التحالفات: فالعدو الأساسي والاستراتيجي (إسرائيل) صار "الطرف الآخر". وأمريكا عدوّة كل الشعوب (وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني) صارت وسيطا، ثم صديقا دون أن تغيّر من سياستها شيئا يذكر (اللهم قبولها ان تتحاور معنا) بعد أن غيرت منظمة التحرير الفلسطينية مسارها، وقلبت سلم أولوياتها، فما كان أول الجميع صار آخر الجميع. وبعد ان كانت أحزاب المعارضة في الغرب (وخاصة اليسار منها) هي جبهة أصدقائنا، صارت الأحزاب الحاكمة هناك هم أصدقاؤنا. أما جبهة الأعداء (أنظمة أمريكا وأوروبا الغربية) فصارت جبهة الأصدقاء الداعمين المانحين. وبعد أن كانت الدول "المارقة" (الصين الشعبية، كوبا، كوريا الديمقراطية) هي قواعدنا للتدريب والتثقيف صارت أوروبا الغربية وأمريكا هي معاهدنا للتدريب وإعادة التثقيف. وقد أشار احد الظرفاء الى ان ذلك يُعتبر تطبيقا للشعار الذي كان يطلقه الفلسطينيون في مظاهراتهم (وبصوت ضخم) ضد الانتداب: "لندن مرابط خيلنا!"... وأكثر من ذلك، انتُدِب خبراؤهم ليقيموا بين ظهرانينا "للتوعية والتثقيف والإفتاء السياسي".

---

* عبد الفتاح القلقيلي (أبو نائل): باحث وكاتب فلسطيني، الأمين العام للمجلس الأعلى للتربية والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية.

التجزيئية والوحدوية وأثرها على التضامن العالمي مع فلسطين

النضال التحرري بين القطرية والقومية والعالمية

بقلم: حازم القواسمي*

إن الشعب الفلسطيني لا يكل ولا يمل ولن يهدأ ولن يرتاح حتى ينال حريته وحقوقه. فمنذ اليوم الأول، الذي شعر فيه الفلسطينيون بالظلم نتيجة وعد بلفور المشؤوم في الثاني من تشرين ثاني ١٩١٧، ومروراً بكل الحروب والنكبات والمجازر والمحن التي ألمت به حتى يومنا هذا، بقي الشعب الفلسطيني صامداً مرابطاً ومواجهاً لكل المؤامرات الاستعمارية والاحتلالية التي هدفت إلى إبادته وطمس هويته وتشريده من أرضه.

وقد تعلم الشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده وعلى مرّ السنين أن لا يعتمد كثيراً على غيره. فقد قاد النضال من أجل التحرر بإمكانياته المتواضعة التي كانت تزيد وتنقص حسب ظروف المرحلة، ولم يعتمد يوماً بالأساس إلا على قوته الذاتية واستعداد أبنائه للتضحية بالغالي والنفيس من أجل فلسطين.

بيد أن أحداً لا يستطيع أن ينكر البعد العربي والإسلامي للقضية الفلسطينية. فلطالما وقف العرب والمسلمون إلى جانب إخوانهم الفلسطينيين عن طريق توفير الدعم السياسي والمالي للشعب الفلسطيني ومؤسساته في داخل فلسطين وخارجها. لكن كل المال والجهد العربي والإسلامي لم يكن كفيلاً بإنهاء احتلال فلسطين وإرجاع لاجئيها إلى بيوتهم وأراضيهم التي تم تشريدهم منها.

وقد عرف الصهاينة ومن والاهم من الغرب المستعمر أن قوة العرب تكمن في وحدتهم، وأن الطريق الوحيد إلى استعمارهم يكمن في تفرقهم وتشتتهم. فقامت إسرائيل في دك الإسفين الأول في وحدة العرب حين قامت بتوقيع اتفاق سلام منفرد مع مصر عام ١٩٧٨، ومن ثم اتفاق أوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٩٣، وبعدها اتفاق سلام منفرد مع الاردن عام ١٩٩٤. فكانت تصيد دولة عربية تلو الأخرى، وبدأت بعدها علاقات تطبيعية مع المغرب وموريتانيا و قطر والبحرين وغيرهم، رغم انها ما زالت دولة احتلالية تسيطر على الأقصى وكامل تراب فلسطين وتذيق الفلسطينيين أشد أنواع العذاب في سجونها وعلى الحواجز الاحتلالية المنتشرة على أراضي الضفة الغربية.

إلا أن شيئا حدث في القرن الواحد والعشرين ولم تنتبه له القوى الصهيونية والاستعمارية، وهو التغير الذي طرأ على أدوات الصراع من خلال ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات. فبالرغم من كافة الجهود الحثيثة من إسرائيل والغرب لإبقاء العرب والمسلمين متفرقين متشرذمين حتى يستمروا في السيطرة عليهم وعلى مواردهم، جاءت الفضائيات والاتصالات والإنترنت لتحول دون ذلك. بل نكاد نجزم أن تعطش العرب للوحدة، ووجود لغة وتراث وتاريخ وثقافة واحدة قد ساعد لأن تلعب ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات دوراً رائعا في توحيد العرب أمام شاشات الفضائيات وصفحات الإنترنت العربية المختلفة؛ بل وفي توحيد خطابهم السياسي والإعلامي. فأصبح المواطن العربي يتابع كل ما هو عربي على الفضائيات المختلفة، الإخبارية منها أو الترفيهية أو الرياضية أو غيرها، وأصبحت مصدره الاول في استقاء المعلومة بعد أن كان مرهوناً للمصادر الاجنبية.

وبينما كان معظم العرب مضطرين أن يتابعوا الحرب الأمريكية على العراق التي بدأت في أغسطس عام ١٩٩٠ على قناة "السي إن إن" لأنها كانت تقريباً المصدر الرئيسي الوحيد الذي بث الاحداث مباشرة من موقع الحدث، كان معظم العرب في الحرب الصهيونية الأخيرة على قطاع غزة الشهر الماضي يتابعون الحرب من خلال الفضائيات العربية المختلفة. لقد أدرك العرب، برغم اختلافاتهم، أنهم بحاجة إلى الرواية العربية للأحداث العالمية وخاصة للأحداث التي تخص العرب وتحديداً القضية الفلسطينية. فلم تعد الرواية الغربية للأحداث والحروب موثوق بها من قبل العرب، كما كان في السابق.

بل جاءت الإنترنت، ونشاط الأجيال العربية الجديدة عليها، لتشكل ضربة قوية للمؤامرات الصهيونية والغربية. فلا رقيب ولا حسيب ولا تنظير ولا كذب ولا تلفيق للأحداث



الآلاف يتظاهرون في المغرب تضامناً مع الشعب الفلسطيني، كانون الأول ٢٠٠٩ (المصدر: المركز المغربي لحقوق الإنسان)

وتفسيراتها. ولم يعد تمرير الكذب سهلاً هذه الأيام في عصر العولمة والانفتاح، وكل شيء أصبح مفضوح فورياً إما على الفضائيات أو في ذات اللحظة على الإنترنت. ولم تعد إسرائيل تستطيع أن تواجه العرب مجتمعين على شاشات الفضائيات وعلى صفحات الإنترنت. فبينما كان ذلك ممكناً لإسرائيل في عصور الانغلاق والسيطرة على الإعلام العربي الرسمي من خلال تآمرها مع الحكام وأبواقها الإعلامية، تغير الحال اليوم وأصبح كل فرد عربي نشيط فضائية بذاتها على الانترنت. ولا توجد قوة استعمارية ولا احتلالية في العالم تستطيع أن تصد الامتداد التكنولوجي الثوري الذي ما زال يتنامى ويتعاظم مع تطور التكنولوجيا ذاتها.

وقد تعلمت الأجيال العربية الجديدة المتعطشة للعمل على القضايا العربية وخاصة المتألمة من أجل فلسطين وتحررها، أن الجهود بحاجة إلى تضافر وتكامل حتى تؤتي ثمارها. فالمسيرات السلمية التضامنية التي جالت معظم الدول العربية والإسلامية بعد وقت قصير جداً فقط من بدء الهجمات الصهيونية الهمجية على قطاع غزة كانت أكبر دليل على وعي عربي جديد باتجاه العمل الوحدوي والجماعي على قضية مصيرية مثل القضية الفلسطينية.

وقد بدأت الأجيال العربية الشابة بتحقيق العديد من المكاسب وتسجيل العديد من النقاط على العدو الصهيوني في فترة قصيرة من العمل الجماعي المتراكم. فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان للأعداد الضخمة من البريد الإلكتروني المناصر للقضية الفلسطينية من الشباب العربي من مختلف الأقطار العربية والتي تم إرسالها لصانعي القرار في الدول الغربية والامم المتحدة أثراً كبيرا وضغطا هائلاً لا يمكن تجاهله بسهولة. كما شكلت مسيرات الشارع العربي المتضامنة مع الشعب الفلسطيني ضغطاً كبيرا على الحكام العرب باتجاه تصليب مواقفهم لمصلحة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية برغم الضغوطات الغربية الضخمة عليهم.

وما أن ذاق الشعب العربي حلاوة العمل العربي المشترك، حتى بدأ يبني على ذلك التوجه في العديد من القضايا التي تهم المواطن العربي، وعلى رأسها كما هو دائماً القضية الفلسطينية وتحرير فلسطين. وقد أعطى ذلك زخماً قوياً للشعب الفلسطيني الذي لطالما شعر أنه وحده في الميدان مع الغول الصهيوني المدعوم أمريكياً وأوروبيا. وبدأ الفلسطينيون يعزفون مع إخوانهم العرب سيمفونية جديدة لم يتعود عليها القادة الصهاينة. هذه المعزوفة تبدأ في فلسطين، كل فلسطين، وتخرج لتلاقي الحضن العربي لتنطلق بعدها مدوية في أرجاء العالم وتسمع صرخات شعب تواق للحرية والاستقلال.

لقد بات العرب اليوم في انتظار أي رسالة سياسية يقوم الفلسطينيون بارسالها لهم ليلتقطوها ومن ثم يقوموا بإرسالها للعالم بكافة اللغات والوسائل المتاحة حتى تحقق أكبر المكاسب الممكنة للقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني القابع تحت ظلم الصهاينة. وليس غريباً اليوم ما نراه من نشاط دؤوب حول مقاطعة الكيان الصهيوني ومحاصرته دولياً عقاباً له على احتلاله لفلسطين وعدوانه الهمجي المستمر على الشعب الفلسطيني الاعزل. فقد قامت العديد من حملات المقاطعة من قبل شبان وشابات عرب في عدد من بلدان العالم الغربي ابتداءً من أوروبا وأمريكا وانتهاء باستراليا وجنوب إفريقيا. واستطاع الشباب العرب المغتربين، وبعد جهد جهيد، أن يكسبوا معهم مناصرين أجانب من هذه الدول لحملة مقاطعة إسرائيل، حتى أنه من المتوقع أن تزداد هذه الحملات شراسة وضراوة بحيث تؤذي إسرائيل سياسياً واقتصادياً وحتى ثقافيا. فحديثاً رفضت إحدى موانىء دولة جنوب إفريقيا تنزيل حمولة لبضائع إسرائيلية، وبدأت قبل عدة أيام أيضاً كلية هامشير كأول كلية أمريكية بمقاطعة أي شركة لها علاقة بالاحتلال الاسرائيلي. كما بدأت عدد من الجامعات البريطانية حملة مقاطعة للجامعات والمعاهد الإسرائيلية، وبعد ان كانت حملات مقاطعة البضائع الإسرائيلية مقتصرة على بضائع المستوطنات فقط توسعت لتشمل جميع البضائع الإسرائيلية.

وتعاظم العمل العربي الجماهيري المشترك في صد المخططات الصهيونية والغربية الداعمة له من خلال الحشد من أجل مقاطعة المبادرات والمؤتمرات السياسية الشرق أوسطية التي يشترك فيها الكيان الصهيوني. فتم فضح مؤتمر الاديان الذي صافح فيه شيخ الأزهر مجرم الحرب الصهيوني بيرس، وتم التسليط كذلك على مؤتمر دافوس حيث ترك رئيس الوزراء التركي أردوغان المنصة اعتراضاً على الكلمة الوقحة لرئيس الدولة الإسرائيلي بعد أن قام بتوبيخه بشكل علني على شاشات الفضائيات.

وتزداد الثقة في العمل العربي الجماعي وإمكانية تحقيق مكاسب معقولة بالإمكانيات المتاحة كل يوم مع تزايد النتائج المحققة على المستوى العربي والدولي. وقد رأينا تغيراً ملموساً في خطاب الرئيس الامريكي الجديد أوباما باتجاه العرب والمسلمين. إلا أن الطريق طويلة وشائكة، ولا نستطيع أن نركن على ما تم تحقيقه حتى الآن وننام عليه. فالتحديات أمام الأمة العربية كبيرة كبر الجبال. وتتمثل هذه التحديات في التغيير المطلوب عمله على المستوى القطري والقومي العربي، ابتداء من إحداث تحولات ديمقراطية داخل الأقطار العربية ونحو تكامل عربي مشترك على شكل وحدة أو اتحاد عربي، وكذلك في التحديات الماثلة في مواجهة المشروع الصهيوني ومنبته الاستعماري في الغرب.

إن السعي العربي نحو التحرر من الاستعمار الصهيوني والغربي حق لا يمكن التنازل عنه، بل وواجب ومطلب شرعي تسنده كل الشعوب الحرة التي تتمتع بأبسط قواعد ومفاهيم الإنسانية. وقد قرر الإنسان العربي في القرن الواحد والعشرين أنه ليس أقل من غيره. فهو ليس أقل من الامريكي الذي يسرح ويمرح دون سؤال في خمسين ولاية أمريكية، ولا أقل من الأوروبي الذي يتحرك بحرية وبدون جواز سفر في ٣٦ دولة أوروبية. فلماذا لا يحصل الإنسان العربي على أبسط حقوقه مثل حقه في التعليم والتطبيب المجاني؟ وكذلك على حقه في السفر والحركة، وحقه في التعبير عن رأيه في نظام ديمقراطي!

لقد تخطى النضال التحرري اليوم كل الحدود القطرية وحتى القومية، وأصبح العالم ساحة حرة يلعب فيها اللاعبون. فعندما ترتكب إسرائيل جرائم الحرب في عدوانها على غزة، يقوم شافيز في قارة أخرى بطرد السفير الاسرائيلي من فنزويلا، ويتحرك مناصرو العالم لنصرة الشعب الفلسطيني، ولا ينحصر ذلك فقط في العرب أو المسلمين. لذلك فالأجدر في الشعوب العربية اليوم أن تثق في المستقبل وتحضر له جيداً، لأن كل فرد عربي يستطيع اليوم التغيير في محيطه بل وأوسع من محيطه بكثير. وقد بدأت الأمور تتغير لصالح الشعوب العربية وقضاياها العادلة، لكنها ما زالت في بداياتها.

---

* حازم القواسمي: ناشط سياسي، مؤسس منتدى فلسطين الإلكتروني ورئيس جمعية الرواد الشباب.

الخطاب الفلسطيني تجاه حركات التضامن: أين الخلل؟

بقلم: نهاد بقاعي*

عشرات الملايين من البشر، من جنسيات وأعراق وثقافات وأديان مختلفة خرجت إلى الشوارع للوقوف إلى جانب غزة. وبمنأى عمّا يحمله هذا المشهد من رومانسية، فإنه يعيد تأكيد المؤكد الذي بدا وكأنه لم يعد كذلك، هذه "الانتفاضة العالمية" أكدت من جديد حتى إلى الداخل الفلسطيني أن: "فلسطين بالنسبة إلى العالم، ليست مجرد كوفية، إنها رمز النضال من أجل العدالة والحرية.. إنها قضية عالمية". ولكي نكون "متواضعين" في هذا التحليل، سنقول أن فلسطين، إن لم تكن الوحيدة، فهي من بين قلة قليلة من القضايا التي لا تتجاوز عدد أصابع اليد القادرة على إخراج كم كهذا من البشر الى الشوارع في آن. في هذه الشوارع، ارتسم أحد مواطن قوة المشروع الفلسطيني، عالمية فلسطين.

ولكي لا نخلط أوراقنا، ونضع توقعاتنا في غير مطرحها، لا بد من التذكير بأن النضال من أجل العدالة والحرية، أي نضال، يقوم على ثابتين اثنين: مقاومة أصحاب القضية لنظام قمعهم من جهة، وتعبئة واحتضان وإسناد وتضامن الخارج معهم من جهة ثانية. هذه هي المعادلة التي حكمت جميع حركات التحرر، وهي التي تحكم المشروع الفلسطيني التحرري المعاصر.

عالمية فلسطين تساق هنا لإدراك أن الجهة الوحيدة القادرة على منح "شرعية" وجود إسرائيل هو الشعب الفلسطيني نفسه. ليس الأمم المتحدة ولا الولايات المتحدة، ولا الترسانة النووية والتفوق العسكري. فإسرائيل استطاعت (وتستطيع) فرض وجودها من خلال الحروب والقمع، ولكن وجودها الشرعي يظل محفوظا بخانة أخرى، ويظل محط تساؤل حتى بالنسبة لنظامها ومجتمعها على السواء. إن خوف إسرائيل من الشرعية ليس وهما، وإنما واقع. لأكثر من ستين عاما من إقامتها على أنقاض الشعب الفلسطيني، لا تزال إسرائيل تنظر الى كل حجر يتزحزح على أنه تهديد مباشر لوجودها. هكذا، وبشكل مثير، يصبح الشعب الفلسطيني الذي جردته إسرائيل من كل شيء، وتفننت في قمعه هو الوحيد القادر على منحها شهادة "ولادة" طبيعية. إن منسوب الذعر الذي يجري في دماء الإسرائيليين أعلى منه لدى الفلسطينيين، على قاعدة أن السجين قد ينام، أما سجّانه فلا.

ولكن، إذا كان ما تم ذكره أعلاه مهما في السياق النظري، فأين الخلل إذن؟ لماذا لم يترجم التضامن العالمي الكاسح مع فلسطين الى أبعد من "ردود أفعال" على مجازر؟

يكمن الجواب أولا، في العنوان، الرؤى والخطاب الفلسطيني المنبثق عنها. فعناوين الشعب الفلسطيني تشتت شانها شان شتات أفراده. فبعد أن حققت منظمة التحرير الفلسطينية عنوانا شرعيا تمثيليا وحيدا لكافة أبناء الشعب الفلسطيني اينما كانوا، وصلنا الى وضع تشتت العناوين بين منظمة تحرير غائبة، وسلطة وطنية فلسطينية مشروطة، وفصائل متناحرة، ومؤسسات مجتمع مدني، وجاليات، وسفارات تبتعد جميعا عن العمل أو حتى التنسيق المشترك وبدون مرجعية. في العديد من المؤتمرات التي تنعقد حول فلسطين في أرجاء المعمورة، تشعر أكثر من مرة أن أي مندوب فلسطيني يتحدث وكأنه رئيس منظمة التحرير الفلسطينية!



غزيّون في استقبال سفينة الكرامة القطرية لكسر الحصار، كانون الأول ٢٠٠٨ (المصدر: freegaza.org)

إن أزمة المشروع الفلسطيني كبيرة الى درجة تطغى على كل شيء آخر، بغياب رؤى واضحة وتشظيتها الى فتات من المشاريع المحدودة التي تحول المشروع الفلسطيني الى حاضنة لأفكار وأطروحات وبدائل مستوردة من كل حدب وصوب، أو، ما نستطيع نسميته "سوبر ماركت البدائل". هل يستطيع أحد من الفلسطينيين أو من أنصارهم وهم كثر حول العالم من أن يجيب بثقة تامة على سؤال بسيط: إلى أين يتجه المشروع الفلسطيني؟ والى أين يخطو؟

إن الطامة الكبرى لا تكمن في نظام أحادي القطب (كما هو حال فتح في السبعينات والثمانينات)، أو ثنائي القطبية (كما هو حال التناحر بين فتح وحماس في الوقت الراهن)، ولكن في توجه الفصائل والقيادات والنخب بتوجه أحادي الأبعاد يقوم على أساس الاختزال والإلغاء في عالم يقوم على أساس ثلاثي الأبعاد في حده الأدنى. هذه هي المشكلة.

وبالضرورة، تصبح الخطابات الفلسطينية المشتقة منها مختزلة أيضا. فحركة التحرير الوطني الفلسطيني–فتح والتي قام على أكتافها المشروع الوطني الفلسطيني المعاصر، قد دخلت منذ انطلاق أوسلو في طريق بدون مخرج، يُسمى "المفاوضات"، مختزلة بذلك جل مَواطن قوة المشروع الفلسطيني المتمثل بالمقاومة والمد العالمي للقضية. استفردت إسرائيل بقيادات فتح ضمن فلسفة عبثية تفيد أن ما لا يتحقق بالمفاوضات، سيتحقق بمزيد من المفاوضات. إن مشكلة قيادات فتح وخصوصا من هم في السلطة الوطنية، أنهم أخرجوا واختزلوا جميع الأبعاد الأخرى، وجعلوا شرعيتهم الحصرية مستمدة من المفاوضات التي لن تقود الى شيء. أما الإسلام السياسي، المتمثل في حماس والجهاد الإسلامي، فقد أبدى عدم اهتمام واضح بكل ما يسير بعكس هواه، على قاعدة الاختزال ذاته، أو على قاعدة "نحن"، و "هم"، إن شئتم. إن الانتفاضة العالمية لنصرة غزة التي حصلت مؤخرا لم تحدث بسبب حماس ولكن حدثت بالرغم منها. أما اليسار، فلم يشفع له ثرائه الفلسفي، وامتداده الأممي وانكفأ على ذاته، فخسر كل شيء، أدوات المقاومة وامتداده الاممي وحضوره الوطني.

في المحصلة، لم تعط النخب الفلسطينية قضية فلسطين "كقضية عالمية" الاهتمام اللازم. ورغم أهمية هذا الموضوع ولو في بعده التفاوضي، إلا أنه لم يصل إلى حد يتجذر في الوعي الفلسطيني، الإسرائيلي والعالمي. بل أن المد العالمي لفلسطين قد اختزل من ناحية الجهود الفلسطينية المبذولة بطريقة سافرة الى حدود المانحين، ومراكز صنع القرار المؤثرة لدى إسرائيل والبيت الأبيض، وفي أحسن الأحوال أوروبا وأمريكا. هكذا، تم اختزال شعوب متضامنة سلفا مع فلسطين.

ومن نافلة القول أنه ليس بالضرورة أن يتفق الفلسطينيون على كل شيء، بل أن الاختلاف هو ضمانة تطور المشروع الفلسطيني، ولكن يجب أن يتفقوا على ثوابت. ثوابت في الرؤى والحقوق، وثوابت في عدم تشويه صورة فلسطين في الخارج، لأن فلسطين هي قضية عالمية. وثوابت أن عدم تجزئة التضامن مع فلسطين الى مواضيع شرطية، يجب أن يبقى التضامن مع فلسطين بعيدا عن حالات التجزئة والشرطية، فلسطين كمشروع تكاملي غير منتقص، لا يجوز فيه انتقاص الحقوق، وإعادة موضعة الأولويات. أما المتضامنين الذين يختارون ما يناسبهم من المشروع الفلسطيني، ويرفضون ما لا يناسبهم، فيجب التأكيد لهم أن فلسطين ليست سلعة تجارية، إنه مشروع عدالة وحرية.

ليس أجدر من أن نسوق هنا حق العودة للاجئين الفلسطينيين، لفهم هذه الجدلية. فالكثير ممن يعتبرون "آباء" لفلسطين في الخارج، يرفضون أو يمتعضون من هذا الحق، رغم كونه حقا ثابتا في القانون الدولي، ومسندا الى قرارات الأمم المتحدة ومواثيق القانون الدولي. حق العودة ليست "بدعة" فلسطينية لتدمير دولة إسرائيل، وليس هدفا مبطنا لتغيير الموازين الديمغرافية. إنه العلاج لأضخم عملية تطهير عرقي في التاريخ المعاصر. باعتقادي، حق العودة هو مقياس التضامن، وليس إقامة الدولة الفلسطينية ونبذ الاحتلال، وهنا بيت القصيد.

وهنا لا بد من ذكر وتحديد الأدوار. فالفلسطينيون هم أصحاب القضية، وهم الوحيدون المخولون بوضع أولويات نضالهم. لا يجوز أن يأخذ أحد مكانهم حتى لو كانوا من المتضامنين معهم. إن شعبا يناضل من أجل الانعتاق من الاحتلال لا يمكن أن يقبل أوصياء عليه يملون عليه كيف يناضل ومتى ينام! ولكن المشكلة أن بعض حركات التضامن، لا تفهم ذلك، وأيضا بعض القطاعات من الفلسطينيين، التي تتصرف بنفسها كما لو أنها حركة تضامن.

واذا كان وضوح الخطاب الفلسطيني وأولوياته مهما، فإن مفرداته ولغته لا تقل أهمية. "ابارتهايد" مثلا هي كلمة يصر العديد تطبيقها على الجاري على أرض فلسطين، بينما يصر عدد أكبر على عدم استخدامها. حالات "التهجير المستمر" أو "النكبة المستمرة" هي مثال آخر. وما يعقد من المسألة أكثر هو أن التوجه الدولاني لدى البعض قد أدخل مصطلحات سيادية ودبلوماسية لا تروق لمشروع تحرر وإنما لدولة "كاملة الأوصاف".

وفي الوقت الذي تم فيه بنجاح تصدير مفردات الخطاب الفلسطيني الى الخارج، كالنكبة المستمرة، وحق العودة،

فقد تم عن طريق جهات أخرى استيراد مصطلحات ومفردات دخيلة. "معسكر السلام الفلسطيني" هو مثال جدير، فبدلا من التأكيد على أن الشعب الفلسطيني كله هو مشروع سلام، شق بعض الفلسطينيون أنفسهم عن شعبهم، وغني عن القول أنه صرف على هذا الانشقاق ملايين الدولارات.

وأخيرا، لا بد لنا من التطرق الى الوسائل. فالتضامن العالمي مع فلسطين، وعمل حركات التضامن على وجه التحديد يجب أن تكون مقرونة بتغيير الواقع، وليس تضامن لمجرد التضامن. هنالك حاجة لإيجاد صيغة مجدولة لآليات عمل، تكون أكثر نجاعة، وقابلة للتقييم والتطوير، كحملة المقاطعة مثلا. أما الوسائل النمطية فيجب الحد منها وتقليصها، ومنها جميع مشاريع وجهود كشف الحقيقة. فهنالك توجه لدى المتضامنين وقطاعات واسعة من أبناء الشعب الفلسطيني التي لا تزال تعتقد أن كشف الحقيقة سيؤدي الى تبديل الواقع، ولهذا فهي تصرف جل جهدها في محاولات التوثيق والتحقيق والتنبيش والتفسير. إن الحقيقة جلية للجميع، لا يجوز أن يعمل كل من يمت بصلة في فلسطين بكشف حقيقة مكشوفة اصلا، وتوثيق تاريخ موثق أصلا، وإيصال صورة واصلة أصلا. كما على حركات التضامن التحرك الى مواجهة مسبب معاناة الشعب الفلسطيني أكثر من تضامنها مع الضحية. وقد يطلب الفلسطينيين من حركات التضامن تنظيم زيارات تضامنية الى مخيمات اللاجئين مثلا للعودة والعمل على تركيز جهدها للعمل في اوساط شعوبها والضغط على حكوماتهم الوطنية في دولهم.

* نهاد بقاعي هو باحث ورسام كاريكاتير وهو مدير عام دار الأركان للإنتاج والنشر.

أهمية الشبكات الفلسطينية في التضامن الدولي مع الشعب الفلسطيني

بقلم: رفعت عوده قسيس*

كان ولا يزال المجتمع الفلسطيني يواجه الكثير من التحديات بسبب استمرار الاحتلال الإسرائيلي لأراضيه وممارساته القمعية بحق شعب فلسطين وكافة مكوناته؛ وليس هذا وحسب بل ويواجه خطر التصفية والتطهير العرقي التي كانت ولا تزال جزءا من التفكير الاستراتيجي لكثير من الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة وان اختلفت فيما بينها على كيفية التنفيذ وتوقيته.

ما حدث في قطاع غزه على مدار السنوات الثلاث الماضية، وتحديدا أثناء العدوان الشامل عليه في شهري كانون أول ٢٠٠٨ وكانون ثاني ٢٠٠٩ لهو أوضح دليل على هذه السياسة. وتنبع الخطورة الحقيقية من هذه الممارسات ليس فقط في مدى حجم الدمار والقتل التي تستطيع آلة الاحتلال القمعية تنفيذه؛ بل بمدى الصمت الرهيب والتبرير الأعمى لهذه الجرائم التي تبارى الكثيرون من المجتمعين: الدولي والعربي لممارسته.

وقبل الانسياق في تحليل دوافع هذا الصمت الدولي والعربي الرسميين وتبرير المجازر وجرائم الحرب المقترفة ضد الشعب الفلسطيني، علينا الوقوف على دورنا نحن في تشجيع هذا الصمت. هذه الوقفة لا تأتي من باب جلد الذات، أو الظهور بمظهر المثقف "الواقعي" الذي يحلل الأمور بموضوعية بعيدا عن الحدث وبانسلاخ كامل عنه؛ بل بمسؤولية عالية نابعة من الحرص على دفع قضيتنا للأمام، ولتطوير حركة التضامن معها إلى مدى نستطيع البناء عليه حاضرا ومستقبلا. وفي هذا المجال، أقول أننا كفلسطينيين نتحمل مسؤولية كبيرة عن تخاذل الموقف الاممي الرسمي في تحمل مسؤولياته القانونية والأخلاقية سواء في الضغط على إسرائيل لوقف عدوانها، أو في عدم توفير حاضنة لإسرائيل يسهل عليها الإمعان في العدوان ، كما حصل. فالخلافات السياسية بين فتح وحماس، ووجود سلطتين تدعيان الشرعية، وحالة الانقسام والفصل بين الضفة وغزة، أضاف الكثير من الوهن على الموقف السياسي الفلسطيني واضعف من القدرة على قياده حركة التضامن التي تنامت بطريقة غريبة وسريعة في كافة أرجاء الكرة الأرضية وانسلخت تماما بمواقفها عن مواقف حكوماتها الرسمية؛ بل وتصادمت معها. وهذا بالضبط ما حصل محليا حيث انسلخت الحركة الشعبية، التي قادها بالمجمل مؤسسات المجتمع المدني وشبكاته التنسيقية، عن موقف بعض الأحزاب السياسية وبالتحديد عن السلطة الفلسطينية، التي لم تخرج تصريحاتها ومواقفها عن نطاق أي موقف لدولة عربية متفرجة؛ لا بل أمعنت في توجيه الانتقادات الداخلية وقمع المظاهرات الشعبية وهدرت الفرصة المواتية لترتيب البيت الفلسطيني وامتلاك زمام المبادرة، وقياده الحركة التضامنية الشعبية ودفعها للأمام لتحقيق انجازات سياسية. واكثر من ذلك، فقد وصل الأمر عند بعض المؤسسات والحركات التضامنية الدولية إلى الإحجام عن دعوة الممثلين الدبلوماسيين الفلسطينيين في دولهم لاجتماعاتهم التضامنية لحرصهم على عدم الهبوط في سقف المطالب التي طالبوا بها حكوماتهم.

هذا على الصعيد الفلسطيني الرسمي، أما على الصعيد السياسي الحزبي فأثبتت الأحداث أن ليس هناك بعد عربي أو دولي لأي من هذه الأحزاب. حتى الأحزاب ذات البعد الاشتراكي أو القومي أثبتت أنها تعمل وحدها وبدون امتدادات تحالفية، وفشلت في توجيه الحركة التضامنية، كما كان يحصل عادة عندما كانت منظمة التحرير الفلسطينية تقود حركات التحرر في الوطن العربي وفي العالم. أما الاستثناء الوحيد فهو الحركات الإسلامية، وبالأخص حركه حماس، التي استطاعت تحريك بعدها الاخواني الإسلامي ليس فقط في العالم العربي والإسلامي؛ بل والعالمي. وهذا ما شهدناه في حركة الجماهير التضامنية في كثير من دول العالم.

الطرف شبه الوحيد الذي تحرك بسرعة وحاول أن ينظم الحركة التضامنية الدولية وان يتواصل معها إن كان على صعيد المرافعة والمناصرة، أو على صعيد تنظيم حركه التظاهر والمؤازرة، كان المجتمع المدني بمؤسساته وشبكاته التنسيقية.

فقد رأينا في وقت الهجوم والعدوان على غزة الكثير من المحاولات والمبادرات الناجحة من قبل المجتمع المدني، مؤسسات وشبكات استطاعت التواصل مع نظيراتها في الحركات الدولية ومدها بالمعلومات والتحاليل. فقامت بتنظيم العديد من الزيارات للوفود المتضامنة، وعملت على الضغط على الحكومات، خاصة الأوروبية من خلال كتب الاحتجاج أو التظاهر أمام مكاتبها، كما وعملت على التواصل مع الإعلام العربي والدولي؛ لتوضيح وفضح ما يحصل من مجازر وجرائم حرب في غزة. هذا الجهد المتواضع كان مطلوبا أكثر من أي وقت آخر. وقد أثبتت هذه العلاقات مع حركات التضامن الدولي إمكانية تحريكها ودفعها لنصرة القضية ونصرة الشعب الفلسطيني. وهذا النجاح المحدود على المستوى الشعبي كان قد واكبه فشل ذريع على مستوى المناصرة والضغط على المستويين الرسمي والاممي. فقد فشلت كل محاولات المناصرة والضغط على الصعيد الحكومي؛ حيث وقفت أوروبا الرسمية صامته بل ومتآمرة ولم تفلح كل الضغوطات على إلغاء معاهده التجارة بينها وبين إسرائيل أو حتى التشكيك في أحقية إسرائيل كدوله غازيه منتهكه للقانون الدولي في الاستفادة من هذه الاتفاقية، وكل ما نجحنا به هو التجميد " اللفظي" لمفاوضات الانضمام للمعاهدة. هذا في حين نجحت العلاقة مع القوى الشعبية في العالم وعلى الأخص في أوروبا في تحريك الشارع للضغط على الحكومات من اجل التدخل لوقف العدوان. ورأينا كيف أن حملة المقاطعة وسحب الاستثمارات (BDS) أتت ببعض الثمار من خلال العديد من العرائض التي وقع عليها العديد من الحقوقيين والأكاديميين وغيرهم، والتي تدعو لمقاطعه إسرائيل. ورأينا حركة الجماهير في منع الرياضيين الإسرائيليين من اللعب في بعض الدول. باختصار، كانت الحركة الشعبية هي الطرف الوحيد الذي اثبت بعض النجاعة في العمل الدعوي والجماهيري ضد العدوان.

فحمله المقاطعة على سبيل المثال التي تشق طريقها قدما مبنية على عمل جماهيري أولا، ومبنية على مسارات هي أوضح من غيرها من الأنشطة والفعاليات ثانيا. فهي موجهة بالأساس للجميع كل في حقله. فالمقاطعة الاكاديمية موجهة للأكاديميين، وسحب الاستثمارات موجهة لرأس المال والمؤسسات الأخرى المستثمرة وهكذا. يضاف الى ذلك، تنوع وغنى اللغة المستعملة، فحيناً يكون القانون الدولي هو الأساس، وحينا تكون حقوق الإنسان، وحينا آخر الجانب الأخلاقي وهكذا.

وبعد أحداث غزة دخلت بشكل قوي فكره مقاضاة ومسائلة إسرائيل والإسرائيليين المساهمين في ارتكاب جرائم الحرب. وبرأيي إن هذه المعركة سوف تكون الأساس في المرحلة القادمة. وبإمكان المجتمع المدني قياده هذا المسار بنجاعة. فعلينا الانتظام أكثر من اجل قيادة هذا المشروع وعدم تركه أسيرا لأهواء بعض المؤسسات التي قد ترى فيه مجرد مشاريع مدرة للدخل، وعلينا العمل على تحويله لمعركة سياسية، حقوقية، وقانونية، ودفع الجميع للتنسيق الجاد فيما بيننا ومع الحركات والمؤسسات التضامنية العربية والدولية من اجل دفع هذه المعركة قدما، وإبقاءها على أولويات برامج الحركات التضامنية الدولية والإقليمية والمحلية. وهناك حاليا مبادرة تشكيل جسم تنسيقي لمؤسسات حقوق الإنسان من اجل قيادة هذا العمل ويجب على الجميع دعمه والتنسيق معه.

وحتى لا اتهم بالمبالغة في الانجازات المحدودة المتحققة، أقول انه بالرغم من هذه النجاحات؛ إلا أن حركة المجتمع المدني الفلسطيني، مؤسسات وشبكات، لم تفلح في قيادة وتوجيه الحركة التضامنية للوجهة المطلوبة لتحقيق التراكم في الانجازات للوصول إلى مستويات أعلى من الانجازات، وفشلت في وضع أهداف محدده وواضحة أمام الحركة التضامنية لرفع مستوى الأداء واستمراره. وبالرغم من وجود اطر موحدة، كشبكة المنظمات الأهلية، ومبادرة الدفاع عن فلسطين والجولان المحتلتين، وشبكة المنظمات البيئية، وحملة وقف الجدار وغيرها؛ إلا أنها كلها لم ترتق لمستوى القيادة وإدارة المعركة والمبادرة الواعية والعمل على توزيع الأدوار، بحيث نضمن الفاعلية والسرعة والتنظيم، وبقيت بالإجمال أسيرة لرد الفعل والخطاب الانفعالي في معظم الأحيان.



جانب من التضامن مع الشعب الفلسطيني في أوروبا مطالبين بمقاطعة النظام العنصري الإسرائيلي (المصدر: flickr.org)

يرجع هذا الإخفاق برأي لمجموعة من الأسباب التي رافقت نشأة هذه المؤسسات والشبكات والحركات المدنية، وبعض هذه الأسباب نابع بالأساس من:

أولا: إن معظم هذه الشبكات هي بمجموعها تجميع لمؤسسات قائمة بينها الكثير من التنافس المؤسساتي: المالي والسياسي، ولم ترتق بعد لمستوي توحيد البرنامج والأهداف والفهم المشترك، وتقسيم العمل فيما بين المشاركين. فالمنظمات والمؤسسات غير الحكومية الفلسطينية لعبت خلال العقدين الماضين دورا مهما في توفير خدمات واسعة في ظل الاحتلال الإسرائيلي شملت كافة المجالات الحياتية. ففي مجال الصحة مثلا قامت هذه المؤسسات بتوفير ما لا يقل عن ٦٠٪ من الخدمات الصحية للجمهور الفلسطيني؛ الأمر الذي فرض عليها النمو السريع وفرض عليها ضرورة صون هذه المؤسسات التي تحولت إلى عبء على منظميها بدلا من أن تكون الأداة لإحداث التغيير المجتمعي. وبقيام السلطة الوطنية الفلسطينية أدى هذا إلى خلق واقع سياسي واقتصادي جديد ساهم في بروز مجالات عمل جديدة وانحسار مجالات أخرى أصبح بعضها من مهام السلطة الوطنية، كل هذا اثر في العلاقة ما بين المؤسسات وفرض عليها حاله من التنافس فيما بينها منعها من التنسيق الجاد أو الوحدة.

ثانيا: عدم وجود رؤية وبرنامج واضحين لهذه الشبكات، ويرجع هذا برأي لنشأتها ولعظم الدور الخدماتي الذي كان منوطا بها. ومع التغيير السياسي الذي حصل في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بعد اوسلو وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية على جزء من فلسطين، والتغييرات العديدة التي حصلت في الدور والمجال الذي لعبته المنظمات غير الحكومية في ذاك الوقت لاسيما في مجال التنمية والنضال الوطني الديمقراطي، لم تقم هذه المؤسسات بعملية مراجعة شامله لدورها وبرامجها.

بالرغم من هذا الضعف المؤسسي، إلا أن هذه الشبكات لعبت وتلعب دورا رئيسا على صعد كثيرة. فبالرغم من عدم تسيُّس هذه الشبكات، إلا أن لديها العلاقات الواسعة مع بعض الأحزاب المحلية، الأمر الذي يعطيها الإمكانية في التأثير فيها. ويجب استغلال هذه العلاقة ايجابيا للمساهمة في دفع الحوار الداخلي وتوطيد الوحدة الوطنية وتحديد المرجعيات الوطنية لحماية منجزات شعبنا.وتستطيع هذه الشبكات المساهمة في توحيد الأطر المؤسساتية لشعبنا ليس فقط في الداخل بل وفي الشتات. ففي الوقت الذي تشهد منظمة التحرير حاله من الوهن وحتى التشكيك في أحقية تمثيلها للشعب، تستطيع هذه الشبكات دفع عمليه إصلاح المنظمة، وترتيب العلاقة، مع أطرها الشعبية على الأقل للمحافظة على الثوابت الفلسطينية والوحدة الوطنية.

وبالرغم من التشبيك الفعال مع المؤسسات والشبكات الدولية المتضامنة مع قضيه الشعب الفلسطيني، لا يزال بإمكانها تطوير هذه العلاقات أكثر. فعلى هذه الشبكات واجب المساهمة في التثقيف السياسي للمتضامنين الامميين وترسيخ تضامنهم المبدئي مع الشعب الفلسطيني، وليس التضامن الموسمي كلما حدثت مصيبة أو مجزرة بحق الشعب الفلسطيني. فتطوير العلاقة مع حركه التضامن ودفعها لتصبح أكثر جذرية هي مهمة أساسية علينا التصدي لها بكل فاعلية. ولأجل ذلك علينا القيام ببعض الخطوات الأساسية اللازمة؛ مثل توضيح الرسالة وعدم تناقضها مع بعضها البعض. تستطيع هذه الشبكات التفاعل والتنسيق أكثر مع المجتمع المدني العربي ومكوناته المختلفة من اجل تعميق البعد الاستراتيجي للحركة الشعبية الفلسطينية، ومن اجل المساهمة الواعية في المناصرة لقضية الشعب الفلسطيني في دولهم وعلى النطاق الدولي العام. ولا ننسى أهمية ايلاء الشراكة مع دول الجنوب لذات الاهتمام، حيث إننا نرى أن الاهتمام الفلسطيني منصب فقط على دول الشمال. قد يكون هذا الاهتمام محقا، حيث أن صنع القرار محتكر في دول الشمال، لكننا لا نستطيع أن نلغي القوة الأخلاقية التي تستطيع توفيرها دول ومنظمات الجنوب. وفي هذا المجال، يجب تطوير هذه العلاقات لتشمل ليس فقط هذه المؤسسة أو تلك بل لكل الشعب الفلسطيني ومؤسساته المختلفة.

ولتطوير عمل هذه الشبكات أكثر علينا العمل على توحيد كل هذه الشبكات في لجنة تنسيق واحدة لقيادة العمل الأهلي في فلسطين وخلق امتدادات مناطقية لها في كافة أرجاء الوطن لضمان التنفيذ السريع والاطلاع على هموم المؤسسات ومواجهتها. ويجب أيضا إقامة لجنة دائمة للتنسيق مع الشبكات العاملة ضمن الخط الأخضر.

ختاما وحتى نستطيع تطوير العمل التضامني وتوجيهه بما يخدم قضيتنا الوطنية أؤكد مرة ثانية على انه يجب على الشبكات الفلسطينية توضيح رؤيتها وأهدافها وصياغة استراتيجيات لعمل المناصرة والدعاوى وذلك بالارتكاز على رؤية شاملة وواضحة ومفاهيم ومصطلحات موحدة. ويجب العمل مع كافة مكونات العمل المدني لتحديد الأولويات وان لا تبقى الأمور رهنا بمزاج هذه المؤسسة أو تلك ويجب بناء استراتيجيات العمل بالارتكاز على التمسك بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف وفي مقدمتها حق العودة، وتقرير المصير، ومستندة أيضا على تجارب حركات التحرر العالمية في مجال النضال والمرافعة والمناصرة والتحشيد.

* رفعت عودة: رئيس الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال منذ ٢٠٠٥، ومدير فرع فلسطين منذ تشرين الثاني ٢٠٠٨، ناشط، وله العديد من المؤلفات.

بديـل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
عضو الأئتلاف الفلسطيني لحق العودة



كانت تسمى فلسطين... صارت تسمى فلسطين

فلسطين روح الإبداع... والإبداع طريق للعودة

بعد النجاح المميز الذي حققته جائزة العودة على مدارالعامين الماضيين (٢٠٠٧ / ٢٠٠٨)، يعلن بديل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين عن انطلاق جائزة العودة السنوية للعام ٢٠٠٩ تحت شعار: كانت تسمى فلسطين... صارت تسمى فلسطين. تأتي هذه الجائزة كجزء من جهود مركز بديل الرامية الى تعزيز حقوق اللاجئين الفلسطينيين وفي المقدمة منها حقهم بالعودة الى ديارهم الاصلية، وذلك من خلال تفعيل مختلف قطاعات الشعب الفلسطيني في فلسطين التاريخية والشتات، واطلاق الطاقات الكامنة. هذا وقد ادخل بديل، على حقول وشروط الجائزة، بالاستناد التقييم والتوصيات ذات الصلة، تغييرات وتعديلات تهدف الى توسيع المشاركة، وتنويع الفئات المستهدفة، ورفع المستوى، وتوضيح الموضوع والغاية. وعليه، فقد جمّد بديل حقلي التاريخ الشفوي، والفيلم الوثائقي، وأضاف حقلا جديدا هو حقل الصورة الفوتوغرافية للفئة العمرية ما دون ١٨ عاما.

شروط عامة

١. على كل مشارك/ة التقيد بكافة شروط المسابقة التفصيلية الخاصة بكل حقل من الحقول، وإن عدم التقيد بها يلغي المشاركة.
٢. لكل فلسطيني/ة الحق في المشاركة في جائزة العودة بصرف النظر عن مكان الإقامة أو اللجوء.
٣. يمنح مركز بديل جوائز نقدية للفائزين بالمراتب: الأولى، والثانية، والثالثة من كل حقل كما يلي:
الجائزة الاولى: ١٠٠٠ دولار امريكي
الجائزة الثانية: ٦٠٠ دولار امريكي
الجائزة الثالثة: ٤٠٠ دولار أمريكي
ويمنح مركز بديل المراتب الثلاث الأولى في حقل الصورة الفوتوغرافية الجوائز التالية:
الجائزة الاولى: كاميرا ديجيتال بقيمة ٤٠٠ دولار بالإضافة إلى جائزة نقدية قيمتها ٤٠٠ دولار الجائزة
الجائزة الثانية: كاميرا ديجيتال بقيمة ٤٠٠ دولار بالإضافة إلى جائزة نقدية قيمتها ٣٠٠ دولار
الجائزة الثالثة: كاميرا ديجيتال بقيمة ٤٠٠ دولار بالإضافة إلى جائزة نقدية قيمتها ٢٠٠ دولار
٤. يتكفل بديل بطباعة ونشر المشاركات الفائزة، في كتب خاصة أو ضمن إصدارات مركز بديل المختلفة، كما ويكرم أفضل عشرة مشاركات من كل حقل بجوائز تقديرية.
٥. تصدر الأحكام عن لجان تحكيم مهنية ومستقلة عن مركز بديل، ويلتزم بديل بأحكامها وتوصياتها.
٦. لمركز بديل الحق في إستخدام وتحرير ونشر جميع المواد المشاركة، وبالطريقة التي يراها مناسبة، على ان لا ينتقص ذلك من حقوق المشارك/ة الفكرية والأدبية.
٧. آخر موعد لتقديم المواد المشاركة في جوائز العودة هو الإثنين، ١٦ آذار ٢٠٠٩ ويعتذر مركز بديل عن قبول المشاركات بعد هذا التاريخ.
٨. يتم تسليم الجوائز للفائزين والمُكرمين خلال مهرجان جائزة العودة للعام ٢٠٠٩، حيث سيترافق مع المهرجان معرض لأفضل البوسترات والصور الفوتوغرافية المشاركة في الجائزة.
٩. ترسل المواد المشاركة في حقول جائزة العودة على بريد ألكتروني awdaaward@badil.org

إرسال المشاركات

تتم إرسال المواد المشاركة في حقول جائزة العودة على بريد ألكتروني
awdaaward@badil.org
ويلتزم بديل للمشاركين بالتأكيد على وصول المشاركات واستلامها بالبريد الإلكتروني، أو تسلم باليد، أو بالبريد السريع على قرص مدمج (CD)، على عنوان مركز بديل:
مركز بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
بيت لحم، شارع الكركفة، عمارة المجد (بجانب فندق بيت لحم)، الطابق الأول.

للمزيد من المعلومات حول جائزة العودة للعام ٢٠٠٩

يرجى زيارة موقع مركز بديل على شبكة الانترنت: www.badil.org
أو من خلال الاتصال على مركز بديل:
بريد الكتروني: awdaaward@badil.org
هاتف: ٠٠٩٧٢٢٢٧٧٧٠٨٦
فاكس: ٠٠٩٧٢٢٧٤٧٣٤٦

جائزة العودة للصور الفوتوغرافية

تم استحداث هذا الحقل بالاستناد إلى نتائج تقييم جائزة العودة للعامين ٢٠٠٨/٢٠٠٧، حيث خلصت التوصيات إلى أهمية حقل الصورة الفوتوغرافية كمجال للإبداع والتعبير، خصوصا وان الفئة المستهدفة هي فئة الجيل الناشئ (ما دون ١٨ عاما). ويرى بديل أن هذا الحقل سيمنح قطاع الجيل الناشئ فرصة المشاركة بفاعلية في جائزة العودة، خصوصا وان مشاركة هذه الفئة وفرص الفوز في الحقول الأخرى قد تكون محدودة جدا.

موضوع الصورة الفوتوغرافية:

يتمحور موضوع الصورة حول آثار النكبة وتداعياتها، وسبل/ اشكال مواجهة التحديات.

شروط خاصة :

- ان يكون عمر المشترك/ة ما دون ١٨ سنة .
- للمشترك/ة تقديم صورة واحدة فقط للمسابقة.
- يجوز تقديم الصورة ملونة او اسود وابيض.
- ان تكون الصورة على طبيعتها، حيث لا يجوز معالجتها بأي من البرامج الالكترونية.
- لا تحتوي الصورة على نصوص مضافة بما في ذلك اسم المشارك/ة.
ان تكون الصورة بدرجتي وضوح ودقة عاليتين، وترسل بملف من نوع (jpg) وجودة(dpi ٣٠٠).
- أن تكون الصورة مبتكرة، أصيلة، وحديثة، وان لا تكون قد شاركت بأية مسابقة من قبل.
- لا تعاد الصور المرشحة إلى أصحابها.

موعد وطريقة التقديم:

ترسل النسخة الالكترونية للصورة على ملف خاص، بالإضافة إلى ملف من نوع (word) يحتوي على السيرة الذاتية للمشترك/ة، وشرح مختصر عن الصورة بما لا يتجاوز ٣٥ كلمة. على بريد الكتروني: badil@awdaaward.org

أخر موعد لتقديم المشاركات الإثنين، ١٦ آذار ٢٠٠٩

قيمة الجائزة:

الجائزة الاولي: كاميرا ديجيتال لا تقل قيمتها عن ٤٠٠ ﷼ بالاضافة الى ٤٠٠ دولار أمريكي
الجائزة الثانية: كاميرا ديجيتال لا تقل قيمتها عن ٤٠٠ ﷼ بالاضافة الى ٣٠٠ دولار أمريكي
الجائزة الثالثة: كاميرا ديجيتال لا تقل قيمتها عن ٤٠٠ ﷼ بالاضافة الى ٢٠٠ دولار أمريكي

ويتكفل بديل أيضاً:

طباعة ونشر الصور الفائزة ضمن اصدارات بديل المختلفة.
إقامة معرض خاص بالأعمال المختارة والتي تنطبق عليها الشروط وبالاستناد إلى توصية اللجنة خلال حفل الاختتام وتوزيع الجوائز.
بتكريم أصحاب أفضل عشرة مشاركات بحسب تقدير لجنة التحكيم وبمنحهم جوائز تقديرية خلال حفل الاختتام.

لجنة التحكيم :

ابراهيم ملحم ، علاء بدارنة، لؤي صبابا، رولا حلواني، عاطف الصفدي، عمار عوض.



ائزة العــودة للعــام ٢٠٠٩

جائزة العودة لقصص الأطفال

موضوع القصة

يتمحور موضوع القصة حول تعزيز مفاهيم الأطفال تجاه حقوقهم عموما، وخصوصا حقهم في العودة الى ديارهم الأصلية التي هجر آبائهم وأجدادهم منها.

شروط خاصة

- أن تكون القصة ملائمة للأطفال من عمر ٣ الى ٥ سنوات فقط.
- أن تكون المادة المقدمة مكتوبة بلغة عربية صحيحة.
- أن لا يزيد عدد كلمات القصة عن ١٠٠ كلمة.
- أن تكون القصة أصيلة ، ومبتكرة ، ولم يسبق نشرها بأي شكل من الأشكال .
- من الممكن للكاتب/ة أن يرفق القصة برسومات أو صور أو ملاحظات متصلة بموضوع القصة، سواء كانت من إنتاجه أو إنتاج شخص آخر شاركه العمل و/ أو أجاز له استخدامها لهذا الغرض.
- لا تعاد النسخ المشاركة في المسابقة إلى أصحابها.

تخضع المواد الفائزة للتحرير قبل النشر.

- من الممكن قراءة القصة الفائزة بالمرتبة الاولى في المهرجان.

موعد وطريقة التقديم :

ترسل القصص المرشحة، بملف الكتروني من نوع word فقط مرفقة بالسيرة الذاتية للمؤلف وعنوان الاتصال به، على البريد الالكتروني: awdaaward@badil.org أو تسلم باليد أو ترسل بالبريد السريع على قرص مدمج (CD) الى مركز بديل.

أخر موعد لتقديم قصص الأطفال الإثنين، ١٦ آذار ٢٠٠٩

قيمة الجائزة:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ دولار أمريكي

الجائزة الثانية:٦٠٠ دولار أمريكي

الجائزة الثالثة: ٤٠٠ دولار أمريكي

ويتكفل بديل أيضاً:

- بطباعة ونشر القصص الثلاث الفائزة ضمن اصدارات مركز بديل المختلفة.
- يمنح مركز بديل أصحاب القصص الفائزة ١٠٠ نسخة من الإصدار مجاناً.
- يكرم بديل أصحاب أفضل عشرة قصص، بحسب توصيات لجنة التحكيم ويمنح أصحابها جوائز تقديرية في مهرجان جائزة العودة.

لجنة التحكيم

محمود شقير ، سلمان ناطور ، عيسى قراقع ، زكريا محمد، رناد قبج ، مجدي الشوملي.

جائزة العودة لأفضل بوستر للنكبة

موضوع البوستر

أن يتضمن البوستر المشارك تصميماً فنياً مستوحى من النكبة، والنكبة المستمرة، ويعكس الإصرار على نيل حق العودة.

شروط خاصة

- في حال شمول البوستر على نص مكتوب يرجى اعتماد اللغة العربية كأساس (ومن الممكن إضافة اللغة الانكليزية)
- أن يكون البوستر أصيلاً لم يسبق نشره بأي شكل من الأشكال.
- في حال استخدام الكمبيوتر للتصميم يرجى استخدام الوان (CMYK)

لا تعاد البوسترات المرشحة إلى أصحابها.

موعد وطريقة التقديم

تقبل البوسترات المرشحة بحجم A٣ (٣٠x٤٢ سم). وترسل النسخة الالكترونية للبوستر بدرجتي وضوح ودقة عاليتين (High Resolution). (في الحد الأدنى ٢٥٠-٣٠٠) بملف من نوع (jpg. أو gif.). على أن تكون مرفقة بالسيرة الذاتية للمصمم/ة او الفنان/ة على بريد الكتروني: awdaaward@badil.org أو يسلم باليد او يرسل بالبريد السريع على قرص مدمج (CD) الى مركز بديل.

آخر موعد لتقديم البوسترات الإثنين، ١٦ آذار ٢٠٠٩

قيمة الجائزة

الجائزة الاولى: ١٠٠٠ دولار أمريكي

الجائزة الثانية: ٦٠٠ دولار أمريكي

الجائزة الثالثة: ٤٠٠ دولار أمريكي

ويتكفل بديل أيضاً

- بطباعة البوستر الفائز بالجائزة الأولى ونشره بأكثر من ٤٠٠٠٠ نسخة توزع في كافة أنحاء فلسطين والمنافي في فعاليات إحياء الذكرى الواحد و الستين للنكبة في أيار ٢٠٠٩.
- إقامة معرض خاص بالأعمال المختارة والتي تنطبق عليها الشروط وبالاستناد إلى توصيات اللجنة، خلال مهرجان جائزة العودة.
- بتكريم أصحاب أفضل عشرة مشاركات بناء على توصيات لجنة التحكيم بتسليمهم جوائز تقديرية في مهرجان جائزة العودة.

لجنة التحكيم

سليمان منصور ، أمية جحا، يوسف كتلو، شريف واكد، مقبولة نصار، نصار ابراهيم، محمد عليان، عمر عساف.

٣. جائزة العودة للأوراق البحثية

موضوع الورقة البحثية :

المرأة الفلسطينية اللاجئة: اللجوء والعودة.

للباحث/ة ان يتناول دور المرأة في مقاومة معاناة اللجوء، وفي رفد مسيرة العودة، سواء كان ذلك بالتركيز على دورها في مجال واحد او اكثر من المجالات التالية: الاجتماعي، السياسي، الاقتصادي، الثقافي/ الابداعي.

شروط خاصة

- أن تكون الورقة البحثية ما بين ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ كلمة فقط.
- أن تكون المادة المقدمة مكتوبة بلغة عربية صحيحة.
- أن تعتمد منهجية الكتابة الأكاديمية في البحث، وأصول التوثيق وبيان المصادر و المراجع.
- أن تكون المادة البحثية أصيلة فيها من الإبداع والجدة والفكر المستقل، ولم يتم نشرها من قبل.
- أن يحافظ البحث على موضوعيته ويتجنب الباحث/ة اللغة الخطابية والتعابير المشحونة والمواقف المسبقة.
- يحق للأشخاص الذين شاركوا سابقاً بجائزة العودة السنوية أن يشاركوا بالجائزة شريطة أن لا تكون نفس المشاركة السابقة.
- تخضع المواد الفائزة للتحرير قبل النشر.

موعد وطريقة التقديم

ترسل الأوراق البحثية بملف الكتروني من نوع word مرفقة بالسيرة الذاتية للباحث وعنوان الاتصال به/ا، وملخص موجز للبحث لا يزيد على ٥٠٠ كلمة؛ على البريد الالكتروني: awdaaward@badil.org او تسلم باليد على شكل نسخة الكترونية على قرص مدمج (CD) إلى مركز بديل.

أخر موعد لتقديم الورقة البحثية الإثنين، ١٦ آذار ٢٠٠٩

قيمة الجائزة

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ دولار أمريكي

الجائزة الثانية: ٦٠٠ دولار أمريكي

الجائزة الثالثة: ٤٠٠ دولار أمريكي

ويتكفل بديل أيضاً:

- بطباعة ونشر الأوراق البحثية الثلاث الفائزة في إصدار خاص أو ضمن إصدارات مركز بديل المختلفة.
- يمنح مركز بديل صاحب/ة البحث الفائز ١٠٠ نسخة من الإصدار مجاناً.
- يكرم بديل أصحاب أفضل عشرة أبحاث، بحسب تقدير لجنة التحكيم ويمنح أصحابها جوائز تقديرية في مهرجان جائزة العودة.

لجنة التحكيم

أ. د. عزيز حيدر، د. اسعد غانم، د. نورما مصرية، د. مصلح كناعنة، أ. شوقي العيسة.

جائزة العودة للقصص الصحفية المكتوبة

موضوع القصة الصحفية

يتناول موضوع القصة الصحفية جانبا من جوانب اللجوء والتهجير المستمر للفلسطينيين، على ان تكون القصة واقعية وليست خيالية، وان يراعي الكاتب/ة الزمان، والمكان، وعنصر المعاصرة في ربط الاحداث، على ان لايفهم من ذلك تقييد الابداع الادبي، او حرية استدعاء/ استذكار احداث سالفة.

شروط خاصة

- ان تتراوح عدد كلمات القصة الصحفية المكتوبة بين ١٠٠٠ – ١٥٠٠ كلمة .
- ان تكون مكتوبة بلغة عربية سليمة ومن الممكن استخدام اللغة العامية بما يخدم القصة.
- أن لا تكون القصة الصحفية قد شاركت في مسابقات أخرى، او نشرت في اي وسيلة اعلامية.
- تخضع المواد الفائزة للتحرير قبل النشر.

موعد وطريقة التقديم

ترسل القصص الصحفية المكتوبة، بملف الكتروني من نوع word فقط، مرفقة بالسيرة الذاتية للباحث/ة وعنوان الاتصال به على عنوان البريد الالكتروني awdaaward@badil.org أو تسلم باليد على قرص مدمج (CD)، او ترسل بالبريد السريع الى مركز بديل.

أخر موعد لتقديم القصة الصحفية الإثنين، ١٦ آذار ٢٠٠٩

قيمة الجائزة

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ دولار أمريكي

الجائزة الثانية: ٦٠٠ دولار أمريكي

الجائزة الثالثة: ٤٠٠ دولار أمريكي

ويتكفل بديل أيضاً:

- بطباعة القصص الصحفية الثلاث الفائزة ونشرها ضمن اصداراته او كما يراه مركز بديل ولجنة التحكيم مناسبا.
- بتكريم أصحاب أفضل عشرة مشاركات بحسب تقدير لجنة التحكيم ويمنحهم جوائز تقديرية خلال مهرجان جائزة العودة.

لجنة التحكيم

عبد الناصر النجار ، شيرين أبو عاقلة ، قاسم خطيب، ناصر اللحام، نجيب فراج، خليل شاهين.



أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي: ظاهـ

بقلم: حازم جمجوم*

يمثل الأسبوع الممتد من الأول من آذار حتى التاسع منه هذا العام الدورة الخامسة لأسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي والذي سيعقد في أكثر من أربعين موقعا في جميع أنحاء العالم. وتتضمن فعاليات هذا الأسبوع محاضرات وعروض ثقافية، وعرض أفلام، ومظاهرات، ومناقشات عن نظام الفصل العنصري الإسرائيلي وحملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها حتى تمتثل للقانون الدولي. كما سيشهد هذا العام زيادة في الأنشطة في جميع أنحاء فلسطين وخاصة في الجامعات ومخيمات اللاجئين في إطار الأسبوع العالمي. لذلك، يجدر بنا أن نلقي نظرة على تاريخ وتطور هذه السلسلة من المحاضرات المتواضعة التي أصبحت حدثا عالميا يمكن الشباب والطلاب من تطوير فهمهم لنظام الفصل العنصري الإسرائيلي والعمل من اجل الحقوق الفلسطينية.

البدايات

عقد أول أسبوع للفصل العنصري الإسرائيلي في جامعة تورنتو في شباط ٢٠٠٥ وتم تنظيمه إلى حد كبير من قبل اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في كندا والطلاب الذين يدرسون هناك ضمن إطار التجمع الطلابي العربي. وقد كان الهدف الرئيس من هذا الحدث هو زيادة الوعي بين الجمهور، والتأكيد على أن إسرائيل ليست مجرد نظام حكم يمارس الاحتلال العسكري الوحشي؛ بل هي نظام يرتكب جرائم الفصل العنصري ضد المواطنين والملايين من اللاجئين الذين لا زالت إسرائيل تتنكر لحقهم في العودة منذ العام ١٩٤٨. وقد هدف منظمو الحدث من استخدام هذا التحليل لإسرائيل أن يتم اعتباره نقطة انطلاق لحملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها.

رأت المنظمات الصهيونية أن عنوان الحدث استفزازي للغاية فقامت بالضغط على إدارة الجامعة لإلغاء هذا الحدث. وقد أدى هذا الغضب من قبل المنظمات الصهيونية التي تقودها "بناي بريث" وتتخذ شكل حملة عامة إلى عاصفة هوجاء من التغطية الإعلامية. كما شملت الحملة دعوة عامة إلى شرطة تورنتتو لحضور هذه الفعاليات لتكون على استعداد لإلقاء القبض على المشاركين بتهمة ارتكاب جريمة إثارة الكراهية.[1] قامت شركات الإعلام، وإعلام حرم الجامعة وجميع وسائل الإعلام المستقلة تقريبا بنقل الإخبار عن الحدث أو على الأقل عن الجدل المثار حوله، في حين قامت العديد من وسائل الإعلام بنشر أخبار هذه السلسلة المتواضعة من المحاضرات المتوجة بكلمة رئيسية ألقاها البروفسور "ايلان بابيه" بعنوان: "مقاومة الفصل العنصري: سحب الاستثمارات والانتفاضة الفلسطينية". وقد بدأت معظم الضجة الإعلامية قبل بداية الأسبوع مما أدى إلى اكتظاظ القاعات في كل ليلة من ذلك الأسبوع.

على الرغم من حدوث محاولات للتشويش في الليلة الأولى، ورغم الوجود المستمر للمعادين للفلسطينيين الذين كانوا يحاولون توجيه الأسئلة الاستفزازية والتشكيكية، استمر الحدث الممتد على مدى الأسبوع بسلاسة مجتذباً المئات من سكان مدينة تورنتو. وكانت إحدى أهم النجاحات للتحالف أن مصطلح "الفصل العنصري الإسرائيلي" اخذ في الانتشار، لاسيما من خلال التغطية الإعلامية للحدث التي اشتملت على "سي ان ان" والصحف في الاسكا والهند واليابان. إن مفهوم الفصل العنصري الإسرائيلي لم يكن مجرد طرح جذاب أو شعار أجوف؛ بل جاء كوصف يعكس الطابع الحقيقي للمؤسسات والسياسات والممارسات العنصرية الإسرائيلية في فلسطين؛ مما أدى إلى تحفيز النقاش داخل وخارج الحرم الجامعي حول ما إذا كانت إسرائيل هي دولة فصل عنصري، وهي المناقشة التي أجبرت بعض الأساتذة والمساعدين التربويين على تكريس بعض من وقت الصف لهذا الموضوع.

لقد تم تسليط الضوء واهتمام وسائل الإعلام غير المسبوق على مقالة هامة كتبت بقلم منسقي المنظمات الطلابية الصهيونية في الحرم الجامعي (تيلي شايمس، ولورين بارل) والتي نشرت في صحيفة هآرتس بعد وقت قصير من انتهاء عقد الأسبوع. كتب شايمس وبارل في المقال "عن طريق إيجاد مشهد إعلامي مناهض داخليا وخارجيا لجماعة الطلاب العرب، قام كل من الموسسات الصهيونية وغيرهم بغير قصد بالإعلان عن الإحداث التي كانوا يعملون على تقويضها".[2] وقد كانت التوصية الواضحة انه من الآن فصاعدا ومن اجل خدمة المصلحة العليا للمنظمات الصهيونية يجب تجاهل الحدث وبذل الجهد للعمل على تجاهل وسائل الإعلام له على حد سواء. ومن الجدير ملاحظته في مقالتهم حجم الاحتقار الموجه لكيفية قيام التجمع الطلابي العربي بمتطوعيها ال١٢ بإخراج "هيليل لتورنتو اكبر" باعتبارها الوكالة المستفيدة من اتحاد تورنتو الكبرى وبدعم من المجلس الكندي الإسرائيلي والدفاع عن اليهود" مع شبكتها الموسعة من الأغنياء والمتنفّذين ومكاتبها وموظفيها المتفرغين.

كما انه من الجدير بالذكر، أن الحدث لم يكد يذكر في أي من وسائل الإعلام في العالم العربي وهي ظاهرة حاول التجمع الطلابي العربي في التصدي لها عن طرق نشر مقال افتتاحي في كل من جريدة الأهرام والقدس العربي بعد انتهاء الأسبوع.[3]

السنة الثانية: الاتجاهات القديمة الحديثة

شكل العام ٢٠٠٦ الذكرى السنوية الثلاثين للاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها. وهي حقيقة أبرزها "أسبوع الأبارتهايد الإسرائيلي" السنوي الثاني في محاولة لطرح فهم أوضح للفصل العنصري؛ ليس فقط كالجريمة المرتكبة في سياق جنوب أفريقيا في القرن العشرين؛ بل كجريمة ذات تعريف واضح على نطاق عالمي. و قد أصبح إحياء هذه الذكرى، مناسبة لنشر المواد الدعوية والتوعوية خلال أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي في تورنتو وكذلك في المدن الثلاثة التي اعتمد الناشطون فيها فكرة تنظيم هذا الأسبوع في ذات الوقت وهي: اكسفورد/ بريطانيا، ومونتريال وكيتشينر- واترلو (كندا).

في عام ٢٠٠٦، كانت احد الأمور الرئيسية التي سلط "أسبوع الأبارتهايد الإسرائيلي" الضوء عليها الامتداد إلى واحدة من أقدم الجامعات المعروفة في العالم وهي جامعة اكسفورد في المملكة المتحدة. و قد قام المنظمون في اكسفورد بتكييف الحدث مع الجمهور الأكاديمي. على الرغم من ذلك ورغم حقيقة أن العديد من الأكاديميين المعتبرين من الجامعة نفسها، كان من المقرر أن يلقوا ويديروا المحاضرات المختلفة لم يتوان الأفراد والمنظمات الصهيونية عن محاولة إلغاء الحدث على أساس انه يرهب الطلاب الإسرائيليين واليهود. وقد استمع المراقبون من الجامعة إلى الشكاوى إلا أنهم أيدوا الطلاب وحرية التعبير وقالوا: "لقد اخذ المراقبون الشكاوى المقدمة من قبل الطلاب وغيرهم بعين الاعتبار في سياق قواعد ممارسة الخطاب الخاصة بالجامعة، والتي تسمح بحرية التعبير عن الرأي في إطار القانون، ونحن لم نر أي دليل على انتهاكها لهذا القانون". وللأسف نجح الصهاينة في الضغط على واحدة من الكليات لإلغاء النشاط، لكن تم العثور على مكان بديل لهم و تابعوا عملهم قدما.

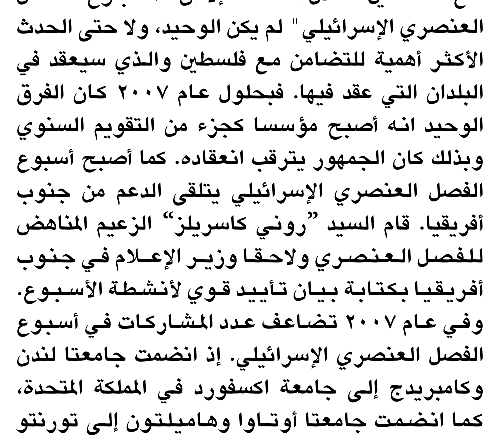
قامت القائدة في حركة التحرر الوطني للسكان الأصليين في أمريكا الشمالية "كاهينتينهتا هورن" بإلقاء الخطاب الرئيس في تورنتو، حيث قدمت للجمهور المؤلف من ٥٠٠ شخص عرضا عن الإبادة الجماعية في كندا وعن سياسات وممارسات دولة المستوطنين الكنديين التي كانت على قدر كبير من التشابه مع السياسات والممارسات الإسرائيلية. وربما دون قصد، أدى تفسير هورن لما جرى في كندا عبر السياسات والممارسات الهادفة إلى السيطرة على السكان الأصليين إلى تقديم رؤية متعمقة للمنظور الإسرائيلي تجاه الشعب الفلسطيني. في النهاية وقف الجمهور جميعه، عندما رفعت قبضتها منهية خطابها، يهتفون إلى الوحدة بين شعوب العالم لمواجه الاستعمار الاحلالي، والاحتلال العسكري، والفصل العنصري. ورغم ان اليوم التالي الأبرد خلال سنتين، تجمع حوالي ٨٠ شخصا في الميدان الرئيس في تورنتو في المظاهرة الأولى من نوعها لتوجيه الدعوة إلى الحكومة والمجتمع الكندي لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها.

لقد اخذ أصحاب القرار في المنظمات الصهيونية بنصيحة شايمس وبارل التي قدمت في العام السابق بشكل واضح. فقد تم عقد اجتماعات الطلاب المؤيدين لإسرائيل بلا ضجّة وبتكتم لمناقشة أحداث تورنتو ومونتريال وما يتصل بها، بغرض الحد من التغطية الإعلامية. كانت جريدة الجيروساليم بوست هي الاستثناء الوحيد لذلك، إذ قامت بنشر مقال عن الحدث وركزت بشكل خاص على الاعتراضات عليه. وكانت هذه بداية التغطية الإعلامية الإسرائيلية النشطة للأسبوع الإسرائيلي للفصل العنصري. ولكن لم يمتد صمت الوكالات الإعلامية إلى وسائل الإعلام في الحرم الجامعي؛ بل ضجت الممرات والفصول الدراسية بالأحاديث والمناقشات عن الحدث، وفيما إذا كانوا سيحضرون أم لا، والاهم من ذلك مناقشة جريمة الفصل العنصري الإسرائيلي.

متضامنون يغلقون السفارة الإسرائيلية في سان فرانسسكو، كانون الثاني ٢٠٠٩ (المصدر: أرشيف بديل)

السنة الثالثة: في بطن الوحش

على الرغم من تسليط الأضواء على أحداث التضامن مع فلسطين خلال السنة، إلا ان "أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي" لم يكن الوحيد، ولا حتى الحدث الأكثر أهمية للتضامن مع فلسطين والذي سيعقد في البلدان التي عقد فيها. فبحلول عام ٢٠٠٧ كان الفرق الوحيد انه أصبح مؤسسا كجزء من التقويم السنوي وبذلك كان الجمهور يترقب انعقاده. كما أصبح أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي يتلقى الدعم من جنوب أفريقيا. قام السيد "روني كاسريلز" الزعيم المناهض للفصل العنصري ولاحقا وزير الإعلام في جنوب أفريقيا بكتابة بيان تأييد قوي لأنشطة الأسبوع. وفي عام ٢٠٠٧ تضاعف عدد المشاركات في أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي. إذ انضمت جامعتا لندن وكامبريدج إلى جامعة اكسفورد في المملكة المتحدة، كما انضمت جامعتا أوتاوا وهاميلتون إلى تورنتو





جنوب أفريقيا، ١٩٨٦

ومونتريال في كندا. وربما كان الحدث الأهم انضمام جامعة نيويورك إلى الأخريات باعتبارها الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية.[4]

كان الحدث في نيويورك فرصة لجمع معظم جماعات التضامن الفلسطينية والنشطاء في مشروع موحد لان الوحدة ضمان الفاعلية. و بدل من تركيز الاهتمام على الجامعات، كانت نيويورك ملأى بأحداث أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي المتناثرة في قاعات المحاضرات والكنائس ومكاتب المنظمات الناشطة في جميع أنحاء المدينة. وقد كان مدى الفعاليات مؤثرا، إذ تضمن عرض أفلام وعروضا فنية ومعارض صور. وقد مهد مسار الافتتاح الطريق لأسبوع مذهل غني بالمعلومات بمشاركة القائد الوطني من السكان الأصليين روبرت روبيدو، وكذلك يفعات سسكيند والأكاديميين الفلسطينيين سري مقدسي وبشير أبو منة. وكانت احد ابرز الفعاليات في الأسبوع الكلمة القوية الرئيسية التي ألقاها جوزيف مسعد وتانيا راينهارت عن "تحدي الفصل العنصري". وللاسف فقد كان هذا آخر خطاب تلقيه تانيا راينهارت وهي كاتبة ومترجمة وناشطة من اجل العدالة والسلام في فلسطين لم تعرف الكلل إذ توفيت نتيجة سكتة دماغية بعد شهر واحد من إلقائه. كما كان انتشار الأحداث في المملكة المتحدة إلى لندن ملفتا للنظر، إذ ظهر أسبوع الفصل العنصري على جدول أعمال كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في المجتمع الفلسطيني وهي جماعة الطلاب الأكثر نشاطا في التضامن

ـــرة دوليـة متناميـة

مع فلسطين. في العاصمة البريطانية، وفي أقدم المدن الجامعية تم تعريف الجماهير الواسعة على بعض ابرز المفكرين والشخصيات الثقافية الذين يفكرون ويعملون من اجل إنهاء الفصل العنصري في فلسطين. شمل هذا كرمة النابلسي، وافي شلايم، ويتسحاق لاور، وكمال أبو دياب، وجاكلين روز، ولاله خليل، واايال سيفان وجوناثان كوك، ونديم روحانا، وتوفيق حداد وغيرهم.

استمرت تغطية أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي بشكل قوي في حرم الجامعة و على جبهات وسائل الإعلام المستقلة. أما في نيويورك فقد أثارت الأحداث الجدل على صفحات الجرائد، وأثارت تعليقات معادية للفلسطينيين حول انتشار هذه السلسلة من الأحداث. كما كان هناك قدر غير متناسب من التغطية المقدمة من قبل الصحافة الإسرائيلية. كانت احد أهم أحداث الأسبوع التعليق الذي نشرته صحيفة يديعوت احرونوت اكبر الصحف الإسرائيلية، وكما هو الحال



مع جميع الصحف الإسرائيلية ركزت بشكل خاص على كلام د. جمال زحالقة، عضو الكنيست، والذي تحدث من ضمن فعاليات الأسبوع، وقد أدلى بتصريح أن الممارسات الإسرائيلية تعد أسوأ من تلك التي كانت تمارس في نظام الحكم في جنوب أفريقيا.[5]

مع تقدم العام ٢٠٠٧ لم يعد وصف إسرائيل بأنها دولة فصل عنصري مجرد بيان متمرد. في وقت لاحق من ذلك العام قام الرئيس السابق جيمي كارتر بنشر كتاب يصف السياسات الإسرائيلية بسياسات فصل عنصري، على الرغم من اقتصار تحليله على الضفة الغربية وقطاع غزة، ونسيان حقوق اللاجئين بشكل كبير، وحقيقة أن انتهاك حق العودة هو ممارسة للفصل العنصري. قدم المبعوث الخاص للأمم المتحدة السيد جون دوغارد، و هو ناشط ضد الفصل العنصري في جنوب أفريقيا تقريرا إلى الأمم المتحدة يفيد أن إسرائيل ترتكب ثلاث جرائم معادية للنظام الدولي: الاستعمار الاحلالي، والفصل العنصري والاحتلال الأجنبي. وقد تم اقتباس أقوال شخصيات بارزة معادية للفصل العنصري في جنوب أفريقيا مثل الأسقف ديزموند توتو، والرئيس السابق نيلسون مانديلا، التي تصف التشابه بين السياسات الإسرائيلية وسياسات الفصل العنصري في جنوب افريقيا سابقا، والترابط بين البلدين في الكفاح ضد الفصل العنصري، حتى أصبحت هذه الاقتباسات متداولة شعبيا.

النكبة ٦٠ نقطة تحول

منذ البداية كان المطلب الرئيسي لأسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي إلى جانب حملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها هو تطبيق حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة. في الواقع جاء أول أسبوع فصل عنصري إسرائيلي والذي عقد في ٣١ كانون ثاني ٢٠٠٥، تحت عنوان: "النكبة واللاجئون الفلسطينيون" والذي تضمن تقديم محاضرات عن النكبة وحق العودة وأوضاع الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين في لبنان والعنصرية التي يواجهها اللاجئون الفلسطينيون عند لجوئهم إلى كندا وعملية تحديد وضعهم القانوني كلاجئين.

وجاء أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي الرابع تحت شعار "٦٠ عاما من التطهير العرقي والتهجير: اللاجئون الفلسطينيون سيعودون".

وعلى هذا النحو، كان أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي جزءا من الحملة العالمية للذكرى الستين للنكبة في عام ٢٠٠٨، والتي كانت اكبر تحرك عالمي لدعم الحقوق الفلسطينية حتى الآن.

وعلى مدى أسبوعين، شمل أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي لعام ٢٠٠٨ المقام في ٢٨ مدينة في أنحاء العالم المئات من الأحداث البارزة والمهمة. و كان الحدث الأهم أن بعض المدن في فلسطين وجنوب إفريقيا بدأت بعقد هذا الأسبوع، وقد تم تدشين إطلاق هذا الأسبوع بكلمة ألقاها الدكتور عزمي بشارة في سويتو، موقع الانتفاضة الطلابية عام ١٩٧٦ في جنوب أفريقيا ضد نظام الفصل العنصري البغيض. وقد تم تسجيل المحاضرة التي ألقاها وبثت إلى العالم العربي من خلال قناة الجزيرة مباشر، وعرضت في فعاليات افتتاح أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي في معظم المدن الأخرى التي أقامت هذا الأسبوع.[6]

وفي حين أن الفعاليات كانت كثيرة جدا بحيث لا يمكن تعدادها، يمكن الإدلاء ببعض التصريحات العامة عن كيفية تطور الأسبوع خلال سنواته الأربع. احد أهم الجوانب وأوضحها أن أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي أصبح الحدث العالمي الذي يوفر مساحة للنشطاء لعرض ومناقشة القضايا التي تهم المجتمع المحلي، سواء لتوثيق الصلات مع الحركات المحلية للعدالة، أو تسليط الضوء على الحملات المحلية. جانب آخر هو التنوع الكبير في أنواع الأحداث التي يختارها المنظمون المحليون للمضي قدما لتقديم رسالة الحركة المناهضة للفصل العنصري مثل نشاطات فنية، ومسابقات شعرية والمظاهرات والتصوير والمعارض وحتى عروض الدمى مثل تلك التي تم تنظيمها في العاصمة واشنطن. ومن الجدير بالذكر أيضا، الزوايا المتنوعة التي تم تحليل موضوع الفصل العنصري الإسرائيلي من خلالها، سواء كانت من خلال إجراء مقارنات مباشرة مع جنوب أفريقيا، والروابط بين الحركات الاجتماعية والعدالة العالمية، وهيكل الفصل العنصري مع التركيز على تفاصيل كيفية تأثيره على أجزاء معينة من السكان الفلسطينيين، أو من خلال تحليل الفصل العنصري من خلال الفيلم أو الأدب والموسيقى. كما اشتمل أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي في تورنتو على ٦ ساعات من البث المباشر المتواصل عبر إذاعة CHRY105.5fm من جامعة يورك بعنوان: "التحركات المناهضة للفصل العنصري". ومن الأحداث الفريدة من نوعها كان عقد مؤتمر لطلاب الثانوية تم تنظيمه من قبل طلاب في المدارس الثانوية الذين أرادوا جمع الفتية لمناقشة كيفية .دعم حملة المقاطعة وكيفية الانضمام إليها

من الجوانب الأخرى لأسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي أن المناطق المختلفة كانت تنظم الأحداث وفقا لقدراتها، وعلى ذلك لم تقم كل مدينة بتنظيم أسبوع كامل من الفعاليات، ففي الواقع قامت العديد من المدن بتنظيم واحدة أو اثنتين من الفعاليات كجزء من مساهمتها في الأسبوع. وهذا يشبه إلى حد ما حملة المقاطعة ككل،



والتي تتطلب مراعاة خصوصية كل موقع، أي أن على نشطاء الحملة أن يتخذوا الإجراءات ويحددوا الأولويات على أساس الأكثر إفادة والممكن بحسب القدرة والسياق المحلي لديهم. يلاحظ أيضا التنسيق المتزايد فيما يختص بالمتحدثين المتعددين وبشكل خاص تنفيذ جولات للمتحدثين من مدينة إلى أخرى كجزء من فعاليات أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي، وبشكل أكثر وضوحا إعادة عرض محاضرة الدكتور عزمي بشارة كحدث افتتاحي في العديد من المدن.

٢٠٠٩: بعث الفصل العنصري الإسرائيلي إلى المتحف

مع اقتراب أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي الخامس، بدأت بعض المنظمات الصهيونية في مختلف أنحاء العالم بالفعل حملات عدوانية متزايدة تدعو إلى إلغاء هذا الحدث في مختلف الجامعات وفي العديد من الحالات حصلت على دعم إدارة الجامعات.[7]

في حين بدأ أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي كسلسلة من المحاضرات لا أكثر، فقد ساعد على تعميق تحليل إسرائيل باعتبارها دولة فصل عنصري لدى أولئك الذين نظموا وشاركوا في مختلف المناسبات، وساعد على تعميم هذا التحليل من خلال وسائل الإعلام، على الرغم من منظورها السلبي في معظم الأحيان. لقد أدى المزيد من الاهتمام بهذا الحدث في الواقع إلى تسليط الضوء على التناقضات الكامنة في محاولة معارضته، سواء عن طريق الكشف عن حقيقة أن الادعاءات عن خطاب الكراهية لا تنطبق، إذ أن النقد الموجه من قبل أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي والمعارضة لنظام إسرائيل يستهدف نظام الدولة وليس الشعب.

أما عملية تنظيم أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي فقد كانت على ذات القدر من الأهمية. ففي المدن والبلدات؛ حيث تم تنظيم أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي توجب على النشطاء تطوير قدراتهم لتنظيم سلسلة من الأحداث بالتنسيق مع أماكن أخرى في أنحاء العالم. وفي كثير من الحالات، أدت هذه العملية إلى جعل الجماعات تعمل سويا والتي لم تكن لتفعل سوى ذلك. ومن الأمور ذات الأهمية أن الطابع الدولي لهذا الحدث تطلب زيادة مستويات التنسيق الدولي مما مكن المنظمات والأفراد من تطوير الروابط مع بعضها البعض على أساس الهدف الواحد والمشاركة في التحليل الواعي باعتبار إسرائيل دولة ترتكب جريمة الفصل العنصري، وان هذه الجريمة المرتكبة لا تزال ترتكب ضد الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ فضلا عن المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل واللاجئين الفلسطينيين، وأن هذه الجريمة تضر كثيرا بكل يهودي في أنحاء العالم نظرا لانها تتم باسمهم، وفي حالة اليهود الإسرائيليين تجبرهم على أن يكونوا حاضرين أو غائبين متواطئين في الفظائع الشنيعة، وأن الطريق إلى الأمام يأتي من خلال عزل نظام الفصل العنصري عبر حملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها حتى يتم وضع حد للجريمة والقضاء على آثارها.

يفتتح الدكتور عزمي بشارة المحاضرة التي ألقاها في أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي لعام٢٠٠٨ قائلا انه اخذ إلى متحف الفصل العنصري قبل قدومه لإلقاء محاضرته. ويقر موافقا لما قاله المتحدثون أمامه: "لا يزال هناك الكثير من المظالم الاجتماعية قائمة في جنوب أفريقيا، لكن شيء واحد على الأقل تم اكتسابه... أصبح الفصل العنصري في متحف". مما لا شك فيه أن أسبوع الفصل العنصري قد بدا بالفعل في تحقيق هدفه المتمثل في المساهمة في إرسال الفصل العنصري الإسرائيلي إلى متحف.

---

*حازم جمجوم: مسؤول التواصل في بديل /المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين. يمكن الوصول إليه عبر: **info@badil.org**

---

[1] الجالية اليهودية مصابة بخيبة أمل من جامعة تورينتو"، ومنظمة بناي بريث:
http://www.bnaibrith.ca/article.php؟id=869

[2] تيلي شايمس ولورينبارل "خلل التعرض -- ' أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي، هآرتس:
http://www.haaretz.com/hasen/pages/ShArt.jhtml؟itemNo=535821&contrassID=2&subContrassID=1&sbSubContrassID=0&listSrc =y

[3] "التجمع الطلابي العربي"، ومقال جماعي من قبل الطلاب العرب، الأهرام ويكلي، العدد ٧٣١، ٢٤ شباط – ٢ آذار، ٢٠٠٥:
http://weekly.ahram.org.eg/2005/731/letters.htm

[4] جوني بول، "أوكسفورد تقيم أسبوع الفصل العنصري في إسرائيل"، ١٥ شباط ٢٠٠٦:
http://www.jpost.com/servlet/Satellite؟pagename=JPost%2FJPArticle%2FShowFull&cid=1139395420513

[5] رادا موران "أحداث في مختلف أنحاء العالم عن أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي"، موقع يديعوت، ٩ شباط ٢٠٠٧:
http://www.ynetnews.com/articles/0،7340،L-3362888،00.html

[6] فيديو محاضرة الدكتور بشارة متاح على شبكة الإنترنت في أربعة أجزاء. انظر:
http://www.youtube.com/watch؟v=d6__Aw812feQ

[7] ليزا سكوفيلد، "كشف الحقيقة: جامعة تورونتو تقوم يقمع النشاطات المؤيدة للفلسطينيين":
http://www.bdsmovement.net؟q=node/311

لمزيد من التفاصيل حول برنامج
الأنشطة والفعاليات في فلسطين والعالم،
يرجى زيارة الموقع الرسمي
لأسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي:
www.apartheidweek.org

الضغط على الحكومات: هل هي معركة خاسرة سلفا؟

بقلم: سالم أبو هواش*

لا بد من التأكيد مسبقا على أن التغييرات السياسية الكبرى لا تحدث بدون الحكومات؛ لما تمتلكه هذه الحكومات من وسائل وسلطات في داخل دولها، وعبر الحدود وفقا لموازين القوة بين الدول المختلفة؛ وبالتالي، لا بد من الضغط على الحكومات أو حشدها وطلب مناصرتها عندما يتعلق الأمر بقضايا كبرى. ولعل من المفيد حصر الحديث عن معركة الضغط على الحكومات لمصلحة حقوق الشعب الفلسطيني في الاستقلال والعودة وتقرير المصير. وهنا يتعلق الأمر بقضية كبرى في الإقليم والعالم، وقضية القضايا بالنسبة للشعب الفلسطيني والعربي، كما يتعلق الموضوع أيضا بدولة إسرائيل ونظامها العنصري وما ترتبط به من تاريخ وعلاقات تمتد وتتشابك مع الأيديولوجيات العنصرية، اللا سامية، الصراع الديني المسيحي – اليهودي والمحرقة النازية، "الايباك" وجماعات الضغط المناصرة لإسرائيل، سواء لأسباب تتعلق بالمصالح الاستعمارية أو كتعاطف إنساني نبيل مع اليهود عقب المحرقة النازية. ففي هذا السياق المتشابك والمتداخل للمشهد الفكري والإعلامي؛ لا يوجد أدني شك بضرورة الضغط على الحكومات أو حشدها لمناصرة الحق والعدل، أو على الأقل تحمل واجباتها والوفاء بالتزاماتها القانونية، ولكل ذلك يجب أن يكون

▪ السؤال الأول الصحيح، هو: هل يجب الضغط على الحكومات؟ والإجابة هنا نعم أولا ونعم دائما.

▪ السؤال الثاني: كيف يمكن الضغط على الحكومات لتطوير إرادة دولية مساندة للحق الفلسطيني؟ ما هي الوسائل والأساليب الصحيحة؟

إن جماعات الضغط الخاصة وذات الخبرة الطويلة، وتلك التي تعمل بطريقة منظمة ومهنية جدا؛ غالبا ما تنجح في تحقيق معظم الأهداف التي تضعها لنفسها، ويوجد العديد من الأمثلة على هذه التجارب الناجحة؛ أهمها: الأولى؛ جماعات الضغط المساندة لدولة إسرائيل في الولايات المتحدة ودول الشمال عموما، وهي موزعة في الدول الرئيسية الممسكة بالقرار الدولي هذه الأيام، وهي ناجحة حتى الآن في تحقيق أعظم مساندة ودعم لدولة إسرائيل، بالرغم من صعوبة تجميل حقيقة نظام وممارسات إسرائيل الاستعمارية العنصرية. والثانية؛ جماعة الضغط الموالية للصين منذ نهاية الخمسينيات وحتى تسعينيات القرن الماضي، والتي نجحت في إدخال الصين الشعبية في الأمم المتحدة كدولة دائمة العضوية مع حق النقض في مجلس الأمن، ومن الوصول لاتفاقيات وعلاقات تجارية متقدمة مع الولايات المتحدة لم تتزحزح خلال ما سمي بـ"ربيع بكين"، فقد نجحت هذه الحركة بالرغم من التباعد الأيديولوجي وحجم التنافس في المصالح التجارية بين الدول الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، وخاصة في منطقة حنوب شرق آسيا: فيتنام، كمبوديا، تايوان وهونغ كونغ. والثالثة؛ هي حركة الضغط الناجحة والأقرب لحالتنا الفلسطينية؛ فكانت الحركات والجماعات المناهضة لنظام الفصل العنصري السابق في جنوب أفريقيا، التي نجحت في الإطاحة بالنظام العنصري البغيض في جنوب القارة الأفريقية؛ فقد نجحت هذه الحركة أيضا؛ رغما عن كل الصعوبات وتشابك المصالح الاستعمارية مع نظام جنوب أفريقيا العنصري.

إن لكل حركة ومجموعة من الجماعات المذكورة أعلاه ركائزها الأساسية ووسائلها وأساليبها، وبغض عن الاختلاف في الأهداف والمبادئ والقيم الأخلاقية لهذه الجماعات والحركات، فإن لها سمات عامة تتعلق بإدارتها وتنظيمها ومهنيتها، وقدرتها على استخدام إستراتيجيات بعيدة المدى، فهنا عالم المصالح والمنافسة والسياسة بكل قذارتها، ولا مكان للمشاعر والعواطف إلا لاستهلاك مشاعر بسطاء الناس واستمالتهم نحو هذه الجهة أو تلك. وعليه؛ فإن الوصول لتحقيق الأهداف السياسية لجماعات الضغط، ليس بالضرورة أن يكون مبنيا على قيم العدل والمساواة، أو على أساس مبادئ القانون الدولي...الخ، بل يكون نابعا من القدرة والقوة والنفوذ التي تمتلكه الجماعة



مظاهرة في بريطانيا أمام وكالة البي بي سي، (المصدر: flickr.com)

من أجل التأثير على عمل وسلوك الحكومات وصانعي القرار.

▪ السؤال الثالث: ما هو السر الذي يقف وراء التأثير على سياسة أي حكومة وصناع القرار؟

فيما تستخدم الدول (وتمثلها بذلك حكوماتها) سواء تجاه مواطنيها أو تجاه الدول الأخرى سياسة التهديد والوعيد، أو الثواب والعقاب، العصا والجزرة ...الخ: إن لم تقم بكذا، تخسر كذا! افعل هذا تحصل على ذاك! وهكذا، وتقوم جماعات الضغط ذات النفوذ بهذا العمل بشكل منظم ومهني جدا مع صانعي القرار، كل بحسب القوة التي يملكها ويمكنه استخدامها في الثواب والعقاب. تبدو العملية بسيطة، لكنها بجد في غاية التعقيد، ويلزمها معرفة الجماعة لقوتها ومصادر هذه القوة التي تمنحها القدرة في التأثير على سلوك صانعي القرار والحكومات، ومدى قدرتها على استخدام قوتها لتنفيذ الثواب والعقاب في المكان والوقت المناسبين، وأن يكون الطرف الذي تريد الضغط عليه مدركا أو – على الأقل– مصدقا لقدرة الجماعة الضاغطة على الوفاء بالتهديد أو الوعد؛ وإلا فلن يعير انتباهه لأي كلام مهما كان بليغا.

▪ السؤال الرابع: أين نحن؟ وما هو الممكن في الضغط على الحكومات لمساندة الحقوق الفلسطينية؟

للإجابة على هذا السؤال لا بد أن يكون الفلسطينيون مدركين لحجم قوتهم وقوة أنصارهم ومصادر هذه القوة، وفي نفس الوقت قوة الجماعات الموالية والمساندة للنظام الإسرائيلي ومصادر هذه القوة. ولا بد من الاعتراف أولا أن قوانا مبعثرة ونفتقد لأي سمة من سمات التأثير الناجح عالميا، سواء بسبب غياب القيادة الوطنية الموحدة التي تمتلك رؤية واضحة واستراتيجيات وخطط ملائمة، وفي نفس الوقت طغيان الرواية الصهيونية والإسرائيلية على المشهد الإعلامي والثقافي في الدول الغربية نافذة الإرادة في القرار الدولي في هذه الحقبة التاريخية. بعد ذلك، علينا أن نعترف أيضا بأن محاولات منظمات المجتمع المدني الفلسطيني مع أنصاره في المجتمع المدني العالمي، تحرز تقدما متواضعا ومبعثرا تبعا لتبعثر الأحزاب والقوى السياسية الفلسطينية، وبسبب تمكن إسرائيل وحلفائها من تحييد منظمة التحرير الفلسطينية من المشهد السياسي الدولي بعد توقيع اتفاقيات أوسلو، ونجاح إسرائيل في إلهاء المجتمع المدني الفلسطيني في قضايا محلية متفرقة لها بعد مدني محلي، تحت ضغط الحصار والتجويع مع استمرار الهجوم الإسرائيلي في كل الاتجاهات على الشعب الفلسطيني. ومع ذلك؛ من الممكن ممارسة ضغوط ناجحة على الحكومات للتأثير المتدرج والتراكمي في سياستها تجاه الحقوق الفلسطينية، وتجاه النظام الاستعماري العنصري الإسرائيلي.

▪ السؤال الخامس: بمَ وأين نبدأ، وكيف؟

على الفلسطينيين أن يستعيدوا منظمة التحرير الفلسطينية لتكون الإطار والممثل الوحيد على الساحة الدولية في كل ما يخص الحقوق الوطنية والتاريخية للشعب الفلسطيني، تفعيل المنظمة ووضع رؤية جديدة واستراتيجيات للعمل تتناسب من حيث الأساليب والبرامج مع الوضع الحالي والمستقبلي، وعدم التفكير في العودة لاجترار الماضي، على أن يجري تقييم علمي لكل التجربة الماضية والاستفادة من دروسها، وبذلك يكون المجتمع المدني الفلسطيني بمنظماته المختلفة ضمن أطر منظمة التحرير الفلسطينية وخاضعا لسلطاتها فيما يخص العلاقات الخارجية. من هنا يكون على منظمات المجتمع المدني الضغط أولا من أجل إصلاح وتفعيل وتحديث منظمة التحرير الفلسطينية والمساهمة في وضع إستراتيجيات مناسبة لخطط بعيدة المدى، ولا بد من رفع الصوت عاليا في وجه كل من يحاول تحييد أو تجاوز منظمة التحرير الفلسطينية مهما كانت المبررات، فهي بيت الفلسطينيين جميعا وهي حافظة حقوقهم وهويتهم، هي "الدولة الفلسطينية"، وهي ليست ملكا للون سياسي معين أو مسؤول ما، أو فصيل ولا حتى لكل الفصائل الفلسطينية، وليست كعكة معروضة للتقاسم. ومن لا تعجبه إدارتها فليسعى لتغييرها بالوسائل التي يراها مناسبة، لكن لا يفكر كائنا من كان أو حزبا سياسيا مهما علا شأنه، أن يتحدث في الخارج باعتباره ممثلا للشعب الفلسطيني إلا من خلال منظمة التحرير الفلسطينية.

وقد يكون من المناسب أن تبدأ منظمة التحرير الفلسطينية من فتوى محكمة العدل الدولية عام ٢٠٠٤ بشأن جدار الفصل العنصري، وتطلق حملة دولية منسقة، ثم العودة بالملف إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومطالبة الدول الأعضاء بالوفاء بالتزاماتها تجاه القانون الدولي، وبخاصة تحديد علاقاتها بإسرائيل بناء على مدى امتثال الأخيرة لأحكام القانون الدولي، المعاهدات الدولية والقانون الدولي الإنساني. وفي هذا السياق تستمر منظمات المجتمع المدني الفلسطيني في حملاتها المتنوعة مع شركائها في المجتمع المدني العالمي، وخاصة حملات مقاطعة إسرائيل، سحب الاستثمارات منها وفرض عقوبات عليها حتى تقوم بالالتزام بالقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بالحقوق الفلسطينية. والحقيقة إن منظمات المجتمع المدني العالمي هي الآن الحليف الحقيقي الوحيد للشعب الفلسطيني. ولكن على منظمات المجتمع المدني الفلسطيني أيضا أن تتحد وتتكاتف وتبلور رؤية واضحة وشاملة وموحدة لكي يسير الحلفاء الحقيقيون على هديها، وليس برؤى مختلفة ورسائل متناقضة بحسب جهات التمويل، وإلا فعلى المجتمع المدني الفلسطيني أن يعيد النظر في هذا الاصطلاح كليا. فهناك منظمات مجتمع وهناك منظمات مهنية وإغاثية وتنموية تعمل لدى وكالات التنمية الأجنبية، ولا يربطها صلة بالحقوق الأساسية المشروعة للشعب الفلسطيني، صحيح يعمل فيها موظفون فلسطينيون وتسد ثغرة في ثقوب البطالة التي تفتك بالشباب الفلسطيني، ولكنها تعمل في البلاد كما لو كانت تعمل في بلد ثالث. ولذلك لا بد من إصلاح وتمييز المجتمع المدني الفلسطيني باعتباره طرفا فاعلا في مجابهة التحدي الأساس أمام الشعب الفلسطيني المتمثل في الاحتلال ونظام إسرائيل العنصري الاستعماري.

في النهاية، لا يمكن معالجة هذا الموضوع عبر مقالة سريعة، ولكن أساس النجاح في الضغط على صانعي القرار والتأثير في سياسة الحكومات، ينبع من حشد القوة من خلال التنظيم الجيد وحشد المناصرين، والصمود والثبات على المبادئ السياسية، ويتم ذلك عبر التخطيط السليم، ووضع البدائل لمواجهة الحملات المضادة للجماعات الموالية والمؤيدة للاستعمار الصهيوني العنصري، فهي جماعات تمتلك قوة كبيرة ودقة تنظيم ومهنية عالية في العمل، وتراعي كل الاعتبارات القانونية والسياسية والإعلامية و"الأخلاقية" عند ممارستها لنفوذها على صانعي القرار. ولا شك أن حركة المقاطعة الفلسطينية والعالمية ضد إسرائيل تمثل إستراتيجية ملائمة على طريق التأثير والضغط على الحكومات، علما أنها بحاجة للكثير من أجل توحيد رؤيتها ومبادئها، ولكي تكون هذه المبادئ جزءا من برامج ومبادئ كل المشاركين فيها؛ تماما مثلما يجب أن نطلب من كل دولة تدعى مساندتها للحقوق الفلسطينية أن تشرع ذلك في قوانينها الداخلية. هذا الدور الذي يجب على منظمة التحرير الفلسطينية أن تلعبه من خلال الأمم المتحدة وعبر العلاقات الثنائية مع كل دولة، ومن خلال برامج وخطط لجان المجلس الوطني والمجلس التشريعي الفلسطيني. وحتى تنجح هذه الإستراتيجية، يجب التوجه في كل الاتجاهات ببرامج واضحة وأهداف محددة، وهذا لن يكون بدون تنظيمات ومؤسسات مهنية قوية.

وأخيرا، يجب أن يكون معلوما أن الحديث يجري عن الكثير من العمل المعقد والمتراكم، والكثير من العمل البسيط لكل فرد على حدة، ولذلك يجب النظر للأمام، مع الإدراك بأن هذا طريق قد يستغرق عدة عقود حتى يثمر عن نتائج نهائية، ولذلك، فإن أعمال الضغط وحشد المناصرة والتأثير ستأخذ وقتا طويلا قبل أن تتحول إلى قرارات سياسية من قبل المجموعة الدولية لصالح إحقاق الحقوق الوطنية، وسيتخلله الكثير من العمل الشاق والمواجهات الداخلية والخارجية والاختلافات، مما يجعله يبدو غير مجدٍ أو يؤدي لنتائج غير ملموسة، وأحيانا قليلة جدا مما يسبب الإحباط، ولكن المسيرات الكفاحية الناجحة والاستراتيجيات الصحيحة التي تستخدمها الشعوب لا تدرك بعمق إلا عند الوصول للغايات النهائية؛ أي عند التحرر والاستقلال والعودة.

وهذا يؤكد لأنصار هذه الاستراتيجيات أن لا يقعوا في فخ المبادرات السياسية اللحظية والارتهان لها، والتي تكون غالبا للاستهلاك المؤقت أو لإدارة أزمات حادة في سياق صراع مديد. انما يجب النظر قدما والتمسك بمبادئ وأسس الإستراتيجية السليمة ومراجعتها بصورة مهنية، وبعيدا عن تأثير الهجمات التي تظهر أحيانا على شكل حلول مطروحة لإنهاء الصراع الفلسطيني الصهيوني، أو على طريقة مبادرات لإقامة دولة فلسطينية أو خرائط سياسية...الخ. فلا بد من الاستمرار في حشد المناصرين والضغط مع الإمساك بالحلقات الجوهرية لزيادة قوة التأثير حتى يتحقق الهدف النهائي في إرادة دولية مع الحق والعدل والقانون والسلام الحقيقي.

* ناشط جماهيري فلسطيني، رئيس مجلس إدارة مركز بديل الأسبق.

دور فلسطينيي الشتات: النشاط الفلسطيني في الولايات المتحدة الأمريكية

بقلم: د. مازن قمصية*

يساهم الفلسطينيون في الشتات بصورة مباشرة في العمل من أجل وطنهم فلسطين؛ ومن خلال نجاحهم في مجتمعات الدول المضيفة. وفي الحقيقة، اعتمد تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ومعظم فصائلها على النشطاء الفلسطينيين في دول الشتات، وقد كتبت العديد من الكتب عن الأنشطة السياسية والمقاومة المسلحة، ونجاحات المقاومة بشقيها المدني والعسكري، التي اشتملت على انتزاع الاعتراف الدولي بحقوقنا الوطنية وحشد الدعم من أجل إحراز هذه الحقوق، وللحفاظ على التراث والثقافة الفلسطينية، وتقديم الخدمات الاجتماعية وغيرها، بل أكثر من ذلك بكثير. وبينما كان من الطبيعي أن تقع غالبية أعمال المقاومة في فلسطين؛ فإن ملايين الفلسطينيين الذين يعيشون في المنافي قد لعبوا دورا هاما جدا، وفي هذه المقالة الموجزة سوف نركز على نشاط الفلسطينيين في الشتات مع التركيز على نشاطهم في أمريكيا الشمالية.

الموجة الأولى من المهاجرين (والعديد منهم لاجئون) الذين وصلوا إلى أمريكا الشمالية بعد عام ١٩٤٨ شرعوا على الفور بالكلام ورفع صوتهم، وبذلوا قصارى جهدهم لدعم أهلهم الذين ظلوا وراءهم في الوطن. وقد كانوا قليلي العدد وكانت هيمنة الصهاينة شبه كاملة في بلدان مثل الولايات المتحدة وكندا. ومع هجرة عدد اكبر من الفلسطينيين وتكشف الأحداث المروعة لحرب عام ١٩٦٧؛ حصل الفلسطينيون على قوة دفع لنشاطهم في الدول الغربية، ففي نهاية عام ١٩٦٧؛ ساعد الفلسطينيون على تأسيس أول منظمة عربية عامة غير جهوية أو قطاعية في الولايات المتحدة، وهي جمعية الخريجين الجامعيين العرب-الأمريكيين (AAUG). ومن ثم تبعها تأسيس منظمات أخرى؛ ومن ضمنها الجمعية الوطنية للعرب الأمريكيين NAAA، التي تأسست عام ١٩٧٢، اللجنة العربية الأمريكية ضد التمييز ADC وتأسست عام ١٩٨٠؛ المعهد العربي الأمريكي AAI الذي تأسس عام ١٩٨٥، ومجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية عام ١٩٩٤. ركزت بعض المجموعات برامجها على العمل الاجتماعي والحرص على توفير الدعم لقرى وبلدات أسلافهم؛ مثل جمعيات المغتربين من رام الله، بيت لحم، البيرة، الطيبة، ودير دبوان...الخ. هذه المنظمات وغيرها ركزت على العمل الاجتماعي والحفاظ على التراث الثقافي، العمل الإعلامي، الضغط وحشد التأييد، التعليم، وحديثا على حملة مقاطعة إسرائيل، وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS).

بدأت حملة المقاطعة في فلسطين مع بداية المشروع الصهيوني، واستمرت طوال التاريخ الفلسطيني الحديث، وامتد النشاط المكثف للحملة إلى الصعيد العالمي في السنوات العشر الماضية مع قيام إسرائيل بتعزيز نظامها للفصل العنصري، وقد انتشرت الحملة بين العديد من الكنائس العالمية، النقابات، الجامعات وغيرها من منظمات المجتمع المدني.

وقام النشطاء الفلسطينيون في الشتات بتنظيم آلاف المظاهرات والأمسيات والصلوات؛ في رد فعل على الأحداث التي تجري على الأرض (مثل الهجمة الأخيرة على غزة أو من أجل الدفاع عن الحقوق الفلسطينية مثل حق العودة). ويقوم الآلاف من الفلسطينيين بالكتابة بصورة منتظمة معبرين عن آرائهم ومواقفهم، ويجرون مقابلات مع وسائل الإعلام، يؤلفون القصص، والمواد الوثائقية ويستخدمون فضاء الانترنت والوسائل التي تؤدي إلى التوسع والانتشار من أجل الوصول لأوسع القطاعات الاجتماعية. وبعض المجموعات التي يقودها الفلسطينيون والعاملة في مجال الإعلام تصدر النشرات، ومن ضمنها الانتفاضة الالكترونية ومعهد معرفة الشرق الأوسط. فيما بعض الناشطين الآخرين وجدوا في الفنون وسيلة للتعبير، ومن بينهم: رسام الكاريكاتير ناجي العلي وكارلوس لطّوف الشاعرة سهير حماد، و والمصورون ومنتجي والأفلام المواد المرئية، مثل اميلي جاسر ومي مصري، وغيرهم.

كما تفوق بعض الفلسطينيين في مجال الأعمال، وحقق بعضهم قدرا كبيرا من الثروة، وكثير منهم من أهل الخير الذين ساهموا في تمويل مشاريع مثل المستشفيات والجامعات في فلسطين. وهناك المهنيون الآخرون الذي أحسنوا وبرزوا في حقولهم المختلفة، وكانوا دوما جاهزين لتقديم العون للأهل في الوطن. ويوجد في فلسطين قرى وبلدات تكون نصف المعونات التي تصلها واردة من الفلسطينيين في الشتات. والأكاديميون الفلسطينيون في الشتات هم الأكثر شهرة في مجالهم؛ مثل ادوارد سعيد، هشام شارابي، نصير عاروري، رشيد الخالدي، نور مصالحة، سلمى الخضراء الجيوسي، وسعد شديد؛ من بين الآلاف غيرهم.

وقد انخرط فلسطينيو الشتات في مجتمعاتهم وشاركوا فيها مشاركة كاملة، بدءا من الترشح لمجالس التعليم وحتى المنافسة على المناصب العليا في الإدارة، وهم أيضا من كبار منظمي المجتمع في العديد من المجالات؛ التي تمتد من قضايا البيئة وحقوق العمال وصولا إلى حقوق الإنسان والشؤون الخارجية. وقد أصبحنا الأفضل في الاستفادة من ثورة الانترنت؛ حيث يشارك الآلاف في غرف الدردشة، والذين أنشأوا صفحاتهم على مواقع الانترنت مثل "فيس بوك" facebook و"ماي سبيس" myspace ويشاركون في قوائم تشبيك تربط الآن بين ملايين الفلسطينيين مع عشرات الملايين من غير الفلسطينيين. وبادر مبرمج فلسطيني مقيم في الولايات المتحدة إلى إنشاء الموقع الأوسع والأشمل على الانترنت والبوابة الالكترونية المباشر للمعلومات والإتصال من أجل الشعب الفلسطيني:

www.PalestineRemembered.com

تعرض العديد من النشطاء الفلسطينيين في الشتات للملاحقة والاضطهاد بسبب نشاطهم، وقدموا بذلك حالات لفحص مدى الديمقراطية في الدول التي يقيمون فيها (مثال على ذلك: قضية مازن النجار وسامي العريان). والمئات غيرهم عانوا بدرجة أو أخرى من (تلقي الإهانات، التشهير، فقدان عملهم، حرمان من المنح...الخ). وهناك عوامل أخرى قيدت نشاط الفلسطينيين في الشتات؛ ومن ضمنها في بعض الأحيان التفتت العشائري، القرية، الانتماء القطاعي، الديني والتوجهات السياسية، ولكن الجيل الجديد هو أقل انشغالا بهذه الجوانب. كما واجهت الفلسطينيين في الشتات تحديات أخرى؛ ومن ضمنها تجنب الانهزامية، والإفراط في انتقاد الآخرين، والحاجة إلى المزيد من التواضع والعمل الجماعي، وهذا يستغرق الكثير من العمل فقط. وكما كتب الأستاذ ادوارد سعيد في أيامه الأخيرة:

"ألم يحن الوقت لكي ندرك مكانتنا ونؤكد على أن ممثلينا هنا، وفي أي مكان آخر، ينبغي أن يدركوا من الخطوة الأولى أنهم يناضلون من أجل قضية نبيلة وعادلة، وأنه لا يوجد أي شيء ليعتذروا عنه، أو أي شيء لكي يشعرهم بالحرج؛ بل على العكس من ذلك، ينبغي عليهم أن يشعروا بالفخر لما يقومون به حيال أبناء شعبهم وعليهم أن يكونوا فخورين بتمثيلهم لهم أيضاً." (ادوارد سعيد: www.counterpunch.org/said09252003

بالتأكيد يجب أن نكون فخورين؛ فالأمثلة المذكورة أعلاه ليست سوى قمة جبل الجليد، فهناك الكثير من النشاطات تمت بدون توثيق ولم يعرف بها، والعديد من غير الفلسطينيين المؤيدين لفلسطين يشهدون للفلسطينيين الذين قابلوهم أو اجتمعوا بهم لأنهم "فتحوا عيوننا"، كما يقولون.

قال بن غوريون ذات يوم: "الكبار سوف يموتون والشباب سوف ينسون". ولكن ما نشهده اليوم هو تعزيز التواصل بين الشباب الفلسطيني والتاريخ، ففي الستينيات والسبعينيات كان اتحاد طلبة فلسطين هو المحرك الرئيسي لحركة الشباب، والكثير من الفصول لا زالت فاعلة وتبدع طرقا جديدة للنشاط، ومن بينها المئات من مجموعات التضامن في الجامعات في مختلف أنحاء العالم. (أنظر/ي أيضاً شبكة الشباب الفلسطيني، www.pal-youth.org

وقد فهم الدكتور سلمان أبو ستة هذا الشعور بالتفاؤل بقوله أنه يمكن مدح النكبة:

"... لأنها، ومن تحت الرماد، رفعت الفلسطينيين مثل طائر الفينيق الأسطوري، فعلوا ذلك من دون وطن، وبدون قوة عسكرية وبدون أصدقاء أقوياء، وأدركوا بأن عليهم الاعتماد على الهبة، قوة الروح الإنسانية. فبعد النكبة مباشرة، رأيت أولادا يمشون صاعدين وهابطين على طريق الأسفلت الوحيد بالقرب من مخيمهم وهم يدرسون في كتبهم، وبدون أن يوجد غرف ليعودوا إليها، بدون إنارة وبدون مكان للدراسة، وكانوا يجلسون في الليل تحت المصباح في نفس الطريق، الذي استخدموه كلوح مدرسي، مستخدمين حجارة طرية كطباشير، وكانوا يحلون مسائل الجبر لدروس اليوم التالي."

لا يمكننا الاستهانة بالتحديات الماثلة أمامنا، لكننا واجهنا تحديات صعبة في الماضي ونعرف ما يلزم لنكون مبدعين وقابلين للتقدم، فلننظر على سبيل المثال في مراحل الكفاح الفلسطيني منذ ١٨٩٧، ١٩١٩، ١٩٣٦، ١٩٤٧-١٩٤٩، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٠- ١٩٨٠، ١٩٨٧- ١٩٩١، ٢٠٠١ - وحتى اليوم؛ فكل هذه الفترات من الكفاح الفلسطيني غيرت في المشهد السياسي، وخلقت تحديات جديدة؛ ولكنها أيضا شهدت على ظهور الحضور المتجدد للفلسطينيين في فلسطين وفي الشتات، حيث اعتبرها الفلسطينيون بمثابة إشارة للبدء من جديد أو لتكثيف نشاطهم وتوسيعه، وفي العديد من الحالات لإبداع أشكال جديدة من النشاطات. ويمكن رؤية جذوة الصمود التي لا تنطفئ، الطاقة والتصميم في عيون الفلسطينيين من جميع الأعمار. أراها في أهل بيت ساحور الذين هم في عقدهم الخامس من العمر وهم يتلون صلواتهم من أجل غزة، وفي عيون الطلاب الذين أدرسهم في جامعتي بيت لحم وبيرزيت، وفي عيون الطلاب الفلسطينيين في المدارس الثانوية والجامعات في الولايات المتحدة الذين تحدثنا إليهم خلال جولتنا "حافلات العدل" (justicewheels.org)، وأراها في شباب مخيمات اللاجئين الذين يشاركون في الأنشطة المختلفة من الدبكة الشعبية وحتى التمثيل المسرحي، ولدى الفلسطينيين الشباب وغير الشباب الذين يقودون ويوسعون حركة مقاطعة اسرائيل، وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها على امتداد العالم، وفي الملايين غيرهم الذين يقومون بالكثير من الأمور والأعمال التي تحدث فرقا.

ومع دعم الناس ذوي الضمائر الحية في أنحاء العالم، مثل حركة التضامن العالمية، وحركة الحرية لغزة. نحن الفلسطينيين، سنستمر في كتابة تاريخنا، وعندما ستتم كتابة فصل العودة الفعلية وممارسة حقنا في تقرير المصير، سنقوم بكتابة جملة واحدة أخرى: نحن فخورون، ونحن نشعر بالامتنان.



واشنطن، كانون الثاني ٢٠٠٩ (المصدر: flickr.com)

---

* د. مازن قمصية عمل في كلية جامعة يل وديوك قبل عودته لفلسطين، وهو يعمل مدرسا في جامعتي بير زيت وبيت لحم.

المراجع:

- ٢٢ - ٢٨ أيلول، ٢٠٠٥، العدد ٦١.
http://weekly.ahram.org.eg/2005/761/focus.htm
- ناديا حجاب، دور مؤسسات الشتات الفلسطيني في تعبئة المجتمع، وثائق الأمم المتحدة، ٢٠٠٤.
- هيلينا لندهولم وجوليان هامر، الشتات الفلسطيني: تشكيل الهويات وسياسات الوطن، ٢٠٠٣.
- هيلانة شبلاق (٢٠٠٥)، الشتات الفلسطيني: تشكيل الهويات وسياسات الوطن، مجلة دراسات اللاجئين، ١٨: ٥٠٧ - ٥٠٩.
- كارلوس لطّوف: [برازيلي ومن غير الواضح أذا كان فلسطيني الأصل، ولكنه رسام مبدع وداعم مبدئي لحقوق الشعوب في مقاومة الاستعمار والاحتلال - المترجم]

حركة التضامن الفلسطينية في أمريكا اللاتينية

بقلم: د. آرلين ي. كليماشا*

في الوقت الذي يسود فيه الشعور بوجود حركة التضامن الفلسطينية في أنحاء أمريكا اللاتينية؛ هذه القارة المتعاطفة مع كفاح الشعب الفلسطيني ضد الامبريالية والاستعمار ومن أجل تقرير المصير، يجدر الملاحظة أن درجة التعبئة وفعالية هذه الحركة تختلف من دولة إلى أخرى من دول أمريكا اللاتينية. فقد شهدت كل من الأرجنتين والبرازيل وشيلي وجود حركة تضامن فلسطينية هامة في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، ثم تراجعت هذه الحركة في التسعينيات، واستعادت قوتها الآن، وأصبحت في غاية النشاط، وبخاصة خلال فترات العدوان الإسرائيلي واسع النطاق على لبنان وغزة منذ عام ٢٠٠٦ وحتى الآن. من جهة ثانية، يلاحظ أن الاتحادات الفلسطينية في البيرو وكولومبيا لم تعد قائمة، أما تلك القائمة في كل من هندوراس، غواتيمالا، وبنما؛ فهي موجودة من الناحية الرسمية، ولكن لا يعرف عن نشاط لها منذ التسعينيات وحتى اليوم.[1]

أما بلدان أمريكا اللاتينية الأخرى التي لا يوجد فيها جالية فلسطينية، أو لم يوجد فيها حركات تضامن فلسطينية في السابق؛ فقد جاءت النشاطات التضامنية من قبل الحكومات نفسها. وهذه هي الحال بالنسبة لبوليفيا وفنزويلا، التي قامت في كانون ثاني ٢٠٠٩ بطرد سفراء إسرائيل وقطع العلاقات الدبلوماسية معها. ومن جهتها ظلت كوبا رائدة من بين دول القارة الأمريكية الجنوبية، حيث أنها كانت الدولة الأولى التي لم تقم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، وذلك لأسباب سياسية منذ انتصار الثورة الكوبية عام ١٩٥٨. ويوجد في باراغواي والإكوادور حكومات تقدمية منتخبة حديثا، أظهرت في مناسبات مختلفة استعدادها لدعم الحقوق الوطنية والإنسانية للشعب الفلسطيني.

في كانون ثاني ٢٠٠٩، نظمت المسيرات والمظاهرات في جميع أنحاء شبه القارة اللاتينية، مع مشاركة جماهيرية واسعة لإدانة الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة. ومن الجدير ذكره، أنه، وللمرة الأولى خلال العقود الماضية، برز تحسن هام في التغطية الإعلامية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي؛ وبالتالي تزايد الفرص المواتية لتعبئة وحشد الرأي العام بما يسمح بالتقدم خطوة أخرى للأمام. ولأول مرة، يجمع الرأي العام على فكرة حملة مقاطعة إسرائيل، وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS)؛ حيث يتم تبنيها فعليا من قبل عدد متنامي من الحركات الاجتماعية والمنظمات في المنطقة.

يجري في عدد من بلدان أمريكيا اللاتينية التحضير لليوم العالمي للعمل، من أجل مقاطعة إسرائيل، هذا اليوم المقرر في ٣٠ آذار؛ ففي هذا اليوم ستعلن الفدرالية الفلسطينية في شيلي عن الانطلاقة الرسمية لحملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها في البلاد، علما أن الجالية الفلسطينية في شيلي تقدر بحوالي ٣٥٠،٠٠٠ نسمة. أما في ساو باولو في البرازيل؛ فيجري التحضير ليوم العمل العالمي في الثلاثين من آذار من قبل جبهة التضامن مع فلسطين، التي



أطفال مخيم جنين يحيون شافيز (المصدر: وكالة وفا)

تشكلت من حوالي ٢٠٠ منظمة، ومن ضمنها الحركات الاجتماعية الرئيسية في البرازيل. وتماما، ومثلما شهدت ساو باولو في ١٨ تموز ٢٠٠٥ الاستجابة الأولى لنداء المجتمع المدني الفلسطيني لمقاطعة دولة إسرائيل حتى تمتثل للقانون الدولي، أي بعد أسبوع واحد من صدور النداء الفلسطيني للمقاطعة، وخلال انعقاد المؤتمر الخمسين للاتحاد الوطني لمعلمي الجامعات في البرازيل (CONAD، ANDES)؛ فقد قامت جبهة التضامن مع فلسطين بتشكيل لجان وهيئات تجتمع بشكل دوري من أجل تنفيذ النشاطات وإدارة الحملات: لجنة الإعلام والاتصالات، لجنة الحملة ضد اتفاقية "سوق الجنوب الحرة" مع إسرائيل، اللجنة القانونية ولجنة التعبئة. ويتركز نشاط الجبهة الرئيسي هذه الأيام في الحملة ضد اتفاقية التجارة الحرة مع إسرائيل.

وقد تأسس تكتل "السوق التجارية الحرة للجنوب" في عام ١٩٩١؛ ويضم كل من الأرجنتين، البرازيل، باراغواي وأورغواي. والإجراءات العملية جارية لكي تصبح فنزويلا عضوا كامل العضوية في هذا التكتل. أما الأعضاء المراقبون فهم شيلي وبوليفيا. وفي الأمس القريب، أصبحت كل من كولومبيا والإكوادور أعضاء مراقبين أيضا. ويمثل هذا التكتل التجاري (بدون الأعضاء المراقبين) ١،٢ تريليون دولار و٢٤٠ مليون نسمة، واتفاقية التجارة الحرة هي الاتفاقية التجارية الأولى التي تم توقيعها من قبل هذا التكتل مع إسرائيل.

وبدون تطبيق الاتفاق التجاري الجديد بين دول التكتل وإسرائيل؛ كان إجمالي التجارة الخارجية بين هذا التكتل وإسرائيل ١،١ بليون دولار، ودولة البرازيل هي الأكبر من حيث المساحة وعدد السكان ولديها الاقتصاد الرئيسي بين دول التكتل؛ حيث بلغت صادراتها إلى إسرائيل عام ٢٠٠٦ حوالي ٢٦١ مليون دولار، وبلغت وارداتها من إسرائيل ٤٥٨ مليون دولار. والبرازيل هي الآن الشريك التجاري الثاني لإسرائيل في القارة الأمريكية، حيث ارتفعت أرقام التجارة الثنائية من ٤٤٩ مليون دولار عام ٢٠٠٢ إلى ٧٤٦ مليون دولار عام ٢٠٠٦،[2] وخلال الشهور الثلاثة الأولى من عام ٢٠٠٧؛ كان ما نسبته ٥٣٪ من الواردات الإسرائيلية من البرازيل هي منتجات زراعية وغذاء، و١٣٪ منها خامات معدنية. وخلال نفس الفترة؛ كان ما نسبته ٦٤٪ من واردات البرازيل من المنتجات الإسرائيلية عبارة عن كيماويات، و٢٣٪ منها آلات وتكنولوجيا متقدمة.[3]

يوجد في البرازيل حوالي ٢٠٠ شركة إسرائيلية تنتج معدات تكنولوجية متقدمة، و٤٢ شركة إسرائيلية تنتج أنظمة ومعدات أمنية، و١٧ شركة تنتج معدات وأجهزة طبية.[4] ومنذ العام ٢٠٠٠، أصبحت التكنولوجيا المتقدمة هي المنتج الإسرائيلي الرئيسي المعد للتصدير.[5] بينما تستورد البرازيل منتجات التكنولوجيا الإسرائيلية المتقدمة؛ أجهزة الاتصالات والمعدات والأجهزة الأمنية؛ تقوم من جهتها بتصدير المنتجات الزراعية والخامات المعدنية لإسرائيل.

ولا حاجة للقول أن إسرائيل ستحقق المزيد من الفائدة من الاتفاقية التجارية مع تكتل سوق الجنوب الحرة، وستستفيد أكثر من البرازيل أو أي من الدول الأعضاء في هذا التكتل. ولكن ما هو مهم ويجب التأكيد عليه هو أننا نستورد من إسرائيل نفس التكنولوجيا المتقدمة والأجهزة والمعدات الأمنية التي تقوم إسرائيل بتطويرها لتغذية صناعة الحرب ضد الشعب الفلسطيني. وقبل منح الحرية لتجارة رأس المال وبورصة السلع التجارية - كما تذكر اتفاقية تأسيس السوق الجنوبية الحرة نفسها- لا بد من وجود وتوفر الحرية وحقوق الإنسان للشعوب.

ومع ذلك، توجد فرص ملموسة لتعطيل تنفيذ اتفاقية التجارة الحرة بين هذا التكتل اللاتيني وإسرائيل، فعلى الرغم من توقيع الاتفاق من قبل ممثلي حكومات دول التكتل الأربعة في ١٨ كانون أول ٢٠٠٧؛ فإن الاتفاقية تصبح قيد التطبيق فقط بعد المصادقة عليها من البرلمانات الوطنية في الدول الأعضاء في التكتل. وبرلمان أورغواي هو الوحيد الذي صادق على الاتفاقية حتى الآن، وشكلت كل من البرازيل والأرجنتين لجان برلمانية لدراسة الاتفاقية. ومن الواضح أن الحلقة الأضعف في التكتل هي باراغواي؛ حيث تم مؤخرا انتخاب رئيس جديد لهذه الدولة، هو بايشوب فرناندو لوغو، وليس فقط لكون الحكومة الجديدة هي حكومة تقدمية، ولكن كما قيل، هي ليست نفس الحكومة التي وقعت الاتفاق خلال المناقشة الأولى، ولذلك يوجد فرص كبيرة للتعبئة والضغط من قبل الحركات الاجتماعية على الحكومة الجديدة في باراغواي من أجل أن تعارض الاتفاقية، وإذا تم ذلك، فهو يعني حقيقة إبطال كامل اتفاقية التجارة الحرة بين تكتل "السوق الجنوبية" وإسرائيل.

إن إدانة سياسات إسرائيل بقوة تكاد تكون تلقائية من قبل أصحاب الضمائر الحية من سياسي أمريكا اللاتينية، النشطاء، العاملين في الاتحادات العمالية، ونشطاء الحركات الاجتماعية عموما. ولكن رغم ذلك، تفتقر دول أمريكا اللاتينية باستثناء البرازيل، والأرجنتين والتشيلي، إلى الانخراط الحقيقي في الحركة العالمية الفاعلة، وتحديدا حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها، وفرض العقوبات عليها. وبكلمات، انه من الجدير الملاحظة أن حركة التضامن مع الشعب الفلسطيني في أوساط الحركات الاجتماعية في أمريكا اللاتينية ودول الكاريبي بحاجة إلى التفعيل.

* د. آرلين ي. كليميشا هي مؤرخ، وأستاذ الثقافة العربية، في برنامج اللغة العربية والآداب والثقافة، قسم اللغات الشرقية في جامعة ساو باولو، البرازيل.

[1] اتقدم بالشكر للسيد دانيال جادو من قيادة الفدرالية الفلسطينية في شيلي على المعلومات المتعلقة بالاتحادات الفلسطينية في أمريكيا اللاتبنية؛ تيلدا رابي، رئيس الجالية الفلسطينية في الأرجنتين. وبيردو بريغر (الصحفي في محطة التلفزيون الوطني الأرجنتيني)، دوريه مسلم (الأستاذ في UNAM) وفريد كحات (الأستاذ في الجامعة الكاثوليكية في ليما)، ولورد سيرفانت (OSPAAL، كوبا)، والزابيث سابل (منسقة الأمم المتحدة السابقة مع المنظمات غير الحكومية). وجميعهم حافظوا على دوام الاتصال لتبادل المعلومات وتنظيم نشاطات في أمريكا الجنوبية والكاريبي.

[2] في الحقيقة تنامت العلاقات التجارية بشكل مضطرد خلال السنوات الخمس الماضية بين إسرائيل والبرازبل، وتستورد البرازيل اليوم حوالي ٢٪ من إجمالي الصادرات الخارجية، وتعزز هذا النمو من خلال الاتفاقيات الثنائية بين البرازيل وإسرائيل، ومنها اتفاقية التعاون في المجال الزراعي، والاتفاقية الثنائية للتعاون لتطوير الأبحاث والصناعة في القطاع الخاص (التي وقعت في شباط ٢٠٠٧ وتستهدف أيضا زيادة عدد الطلبة البرازيليين الذين يدرسون في مراكز البحث الإسرائيلية).

[3] brasilia.mfa.gov.il/mfm/web/main/document.asp/SubjectID=18367

[4] من بين الشركات الإسرائيلية العاملة في البرازيل: GVT وبي كونتاكت (اتصالات)، البيت (طيران)، وتيفا (صيدلة)، نيتافام Netafim، نان دان Naan Dan، بلاسترو Plastro، بيرامد آمياد Beramd e Amiad (تكنولوجيا زراعية وري)، اسكار Iscar (أدوات)، شتراوس عيليت Straus Elite (قهوة). ناهيك عن خدمات المنظمات الأمنية الخاصة. [5] أنظر/ي: http://www.lexuniversal.com/pt/news/2008

هذا وقت العمل و ليس الكلام

ما المطلوب، تضامن أم مقاومة؟

بقلم: ريتش كين*

حتى نتمكن من النظر في قضايا التصدي أو التضامن الدولي، لا بد من النظر اولا في معنى هذه المصطلحات. وفقا لقاموس اوكسفورد، تعرف كلمة التضامن على انها التوحد في النضال بمعني المشاركة/التشارك، الناجم عن المصالح او المشاعر او التعاطف المشترك. وبالتالي، فان التضامن والمشاركة بهذا المعني تعدان نقطة انطلاق هامة للعمل من اجل القضية الفلسطينية، أو غيرها من قضايا النضال، وهما أي التضامن والمشاركة، تعتبران نقطة انطلاق ووسيلة وليست الهدف النهائي. وعلى النقيض من ذلك يعرف المصدر ذاته الفعل "يقاوم" على انه: "محاولة المنع من خلال الفعل او الحجة". بعد هذه التعاريف المقبولة لغويا، يعرف "التضامن" على انه بناء الوحدة بمعنى المشاركة، في حين تعرف المقاومة على أنها محاولة لإحداث تغيير ملموس. وهنا لابد من توضيح هذا الاختلاف لأهميته البالغة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. صحيح انه ليس الآن هو الوقت المناسب لسؤال الناس في أنحاء العالم ان فيما اذا هم يتعاطفون أو يدعمون الفلسطينيين، ولكن الأهم هو الاتفاق أن "الآن" هو الوقت المناسب، (وللحقيقة فقد كان الوقت مناسبا منذ وقت طويل) للعمل لتحقيق تأثير ملموس.

ضمن سياق التضامن العالمي مع فلسطين، لا يعد التغيير الفعلي المحدث ذا أهمية بالغة فحسب؛ بل إن منهجية تحقيقه تحظى بذات الأهمية كذلك. فمثلا إن صانعي القرارات السياسية الدولية والنشطاء والبشر في جميع انحاء العالم لا يملكون الحق لتحديد هذا الاتجاه او ذاك للفلسطينيين. وعليه، فان التغيير المنشود، والدرب الطويل المتبع أو منهجية التضامن، لا بد أن تأتي حسب الخطوط التي يحددها الفلسطينيون أنفسهم. وهنا يظهر المعنى الشامل للتضامن والذي يكون في دعم جميع حقوق الفلسطينيين التي تبدأ بحق العودة الكامل لجميع اللاجئين الفلسطينيين والمهجرين داخليا. فحقوق الفلسطينيين لا يجب أن تخضع للمساومة، بل هي غير قابلة للتصرف لأنها تشكل العمود الفقري الثابت الذي يستمد منه التقدم في مسيرة التضامن.

ممن يتوجب على النشطاء تلقي التوجيه في زمن الصراع السياسي الداخلي؟

من العدل القول ان احد الآثار طويلة الامد لاستمرار الاستيطان، واستمرار احتلال فلسطين، وعدم التقدم باتجاه تحقيق حقوق الفلسطينيين، هو الدرجة العالية من التشرذم السياسي الداخلي وغير الوضوح داخل فلسطين نفسها. فكيف يعرف النشطاء ممن يتلقون التوجيه؟

تبدو القيادة الساسية الفلسطينية على خلاف مع ذاتها في الوقت الراهن. فمن جهة تتفاوض السلطة الفلسطينية مع اسرائيل، في حين تتبع بعض الفصائل الاخرى سبيل المقاومة وليس التفاوض. أما النشطاء، ولأنهم مدنيون في الاساس وليسوا سياسيين، فانه يتوجب عليهم الاستماع الى الارادة الشعبية الفلسطينية. إن الإصغاء إلى المجتمع المدني الفلسطيني الذي يعبر عن إرادة الشعب بشكل اكثر وضوحا من التصريحات المتضاربة من السياسيين المتخاصمين، سيكون اسلم، وان إتباع هذا المسار يؤدي إلى دعم الحقوق الفلسطينية التي لا يمكن التنازل عنها.

ومن الأمثلة الواضحة والصريحة على هذا هو الدعوة التي تم أصدرتها في تموز ٢٠٠٥ قوى واطر المجتمع المدني الفلسطيني والتي تمثلت في الدعوة الى مقاطعة إسرائيل، وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها والتي حظيت بتأييد عالمي- شعبي واسع رغم ان هذا التأييد يظهر في بعض البلدان بشكل اقوى مما هو عليه في بلدان أخرى مثل المملكة المتحدة.

الحرب على غزة

شهد ٢٧ كانون الاول\ ديسمبر تصعيد اسرائيل لهجماتها مرة أخرى على فلسطين والشعب الفلسطيني. لن ادعو هذه الحرب " بالحرب على غزة" كما تصفها العديد من وسائل الاعلام لعدة اسباب:

١- يدل مصطلح "الحرب" على قتال بين جيشين على عكس واقع ال ٢٢ يوم التي شهدت تصعيد خامس اقوي جيش في العالم وأكثرها عتادا، وذلك بقصفه السكان المدنيين. وهذا امر ضروري وذلك لتوصيف المقاومة المسلحة في فلسطين توصيفا صحيحا، حيث انها تعد نوعا من المقاومة المدنية التي لا تلتزم اخلاقيا فحسب تجاه الشعب الذي عانى اكثر من ٦٠ عاما من الاستعمار والعيش في ظل الاحتلال العسكري المستمر، بل تعد ايضا حقا مشروعا وفق اتفاقية جنيف الرابعة.

٢- لقد كانت هذه الهجمات موجهة ضد فلسطين كلها ذاتها وضد الشعب الفلسطيني بأسره. أما وصف هذه الاعتداءات بأنها كانت موجهة ضد قطاع غزة، فانه مجرد تعزيز للفصل بين المتبقي من فلسطين الى كيانين منفصلين: الضفة الغربية وقطاع غزة. ان هذا الفصل الحاصل ماديا/جغرافيا يجب وضعه ضمن سياقه الصحيح؛ اي ان المنطقتين غير مرتبطتين بشكل فعلي نتيجة للاستعمار الاحلالي والاحتلال المخالف لإرادة للشعب الفلسطيني.



مظاهرة في مدينة هول، بريطانيا (المصدر: richimages.org)

٣- استخدام مصطلح الحرب على غزة يلمح الى ان الحياة قبل ٢٧ كانون الاول وكأنها كانت حرة وطبيعية في جزء من فلسطين بعكس واقع وحقيق ال ٦٠ عاما من انعدام الحرية ومن تواصل الاعتداءات الإسرائيلية والاستعمار الاحلالي والاحتلال المستمر بما في ذلك السيطرة على الحدود البرية و الجوية و البحرية.

ان ما بدء به في ٢٧ كانون الاول في المنطقة الفلسطينية المعروفة باسم قطاع غزة يعد اشد انواع القصف والمجازر والمذابح المرتكبة ضد الفلسطينين خلال ٦٠ عاما، لكن لا يمكن التعامل ما جرى في غزة، وكأنها كيان مستقل، عن سابقاتها من السنين،.بل يمكن اعتبارها آخر فصول الإستراتيجية الصهيونية التي اتخذت في السنوات الماضية شكل " فرق تسد". إن الفصل المادي بين الضفة الغربية و قطاع غزة ونقاط التفتيش التي لا تعد ولا تحصى والجدار، والمعازل هي نتيجة واضحة لهذه الإستراتيجية، التي فشلت في قهر وإخضاع الفلسطينيين والتي ستفشل لأن صمود الشعب الفلسطيني اكبر بكثير من جميع الذخائرعلى وجه الارض.

ما هو رد فعل الناس في المملكة المتحدة على هذه الهجمات؟

لقد تم توثيق الحشود البريطانية المشاركة في المظاهرات التي بلغت ذروتها في لندن بشكل جيد وحصلت على تغطية وسائل الاعلام في الشرق الاوسط. لكن هل من الصواب تسمية مثل هذا التحرك والحشد بالمقاومة استنادا الى التعاريف المذكورة آنفا؟ ام ان الوصف الأكثر دقة هو أن توصف هذه الأعمال بالتضامن؟

في النهاية، هذه المظاهرات الضخمة الآنية (والتي كانت ذروتها في العام ٢٠٠٣ عندما قام ٢ مليون شخص بالتظاهر ضد الاحتلال الوشيك للعراق بقيادة الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة والتي انتهت بلا جدوى فعلية)، تقرها أو تصرح بها الدولة " المملكة المتحدة"، والتي من الواضح أن زعمائها يدعمون الافعال التي يتظاهر هؤلاء الناس ضدها. وعليه فإن تلك المظاهرات ليست من اعمال " العصيان المدني" بل هي مظهر من مظاهر "الطاعة المدنية". فالمتظاهرون يتبعون طرقا متفقا عليها مع الدولة عوضا عن الخيارات المستقلة للشعب نفسه. ورغم ان الإجراءات تصل في كثير من الاحيان الى حد حجز الآلاف من المتظاهرين داخل حواجز على طول الطريق، ومنعهم جسديا من قبل آلاف رجال الشرطة من تحدى هذه الأوامر، إلا أنها تبقى ضمن دائرة تصريح الدولة.

وبعيدا عن هذه التعبئة الضخمة (المظاهرات)، يجدر التساؤل عما يمكن أن يحدث أيضا بالفعل أو ما زال يحدث على مستوى القاعدة الشعبية في المملكة المتحدة ومن شانه أن يبرهن على نهج اكثر استراتيجية؟

احتلال الطلاب للحرم الجامعية: صحوة طال انتظارها

في ١٣ يناير بدأت مجموعة من الطلاب في كلية الدراسات الشرقية والافريقية باحتلال مباني الجامعة دام ٢٤ ساعة احتجاجا على الاجراءات التي تتخذها اسرائيل. وقد انتشرت أعمال العصيان المدني هذه الى " كلية لندن للاقتصاد"، واسيكس، وبيرمنغهام، ونوتنغهام، وغيرها من المؤسسات التعليمية. و حتى اللحظة، فقد شهدت اكثر من ٢٠ جامعة بريطانية مثل هذه "الاحتلالات" المتمثلة في تقديم لائحة مطالب الى مستشاري الجامعة والتي تتضمن مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها ووقف تجارة السلاح العالمية معها، وتوفير منح دراسية للطلاب الفلسطينيين، والتعهد بإرسال كتب وأجهزة كمبيوتر غير مستعملة الى فلسطين، وإدانة المؤسسة للاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة. تمت الموافقة من قبل الجامعات على تحقيق بعض هذه المطالب على الاقل في معظم الحالات. على سبيل المثال، في أوائل شباط فبراير احتفل الطلبة في جامعة غلاسغو بالنصر وانهوا ٥٥ ساعة من احتلال الحرم الجامعة بعد موافقة رئيس الجامعة السيد "موير راسل" على تنظيم حملة تبرعات لصالح لجنة الاغاثة العاجلة من الكوارث، والإعلان عن منح دراسية للطلاب الفلسطينيين، وإيجاد السبل لدعم الجامعة الاسلامية في غزة التي تعرضت للقصف. كما نجح طلاب من جامعة ستراتكلايد في تأمين مطالب مماثلة بالاضافة الى إلغاء عقد شركة "ينابيع عدن" الإسرائيلية لتوفير المياه و المنتجات ذات العلاقة بالجامعة. وتعد شركة " ينابيع عدن" شركة اسرائيلية تنتهك القانون الدولي عن طريق الاستخدام غير المشروع لموارد المياه في مرتفعات الجولان المحتلة. هذا النجاح يؤيد الدعوة الى مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها التي أطلقها المجتمع المدني الفلسطيني. و يعد هذا الامر نجاحا استراتيجيا؛ إذ يحدث بالفعل تغييرا قسريا، وبالتالي ينبغي اعتباره فعل مقاومة وليس مجرد تضامن. ان هذ ه الاحداث الجارية في المملكة المتحدة تعد أول الأعمال النشاطية الطلابية الجدية واسعة النطاق التي تشهدها المملكة المتحدة منذ سبعينيات القرن الماضي.

في حين كان الطلاب يتصرفون بكرامة خالصة، كانت تصرفات بعض المؤسسات مثل هيئة الاذاعة البريطانية مهينة للغاية، إذ رفضت الإذاعة بث نداء لجمع التبرعات لصالح ضحايا الهجمات الاسرائيلية الاخيرة. ووفقا ل آرك طومسون (المدير العام لهيئة الاذاعة البريطانية) فان بث مثل هذا النداء قد يشكل خطرا على مصداقية الهيئة لدى الجمهور وحيادها. و قد قوبل هذا القرار بالادانة واسعة الانتشار في جميع انحاء المملكة المتحدة. وأثيرت بالفعل تساؤلات أعمق لدى الجمهور تجاه حياد هيئة الاذاعة البريطانية في قضية اسرائيل وفلسطين. ما ستحق القول هنا أن اشتمال لائحة المطالب التي قدمها الطلاب على تلبية النداء لجمع التبرعات لصالح ضحايا الهجمات الاسرائيلية الاخيرة على غزة، ومواصلة فعلهم، لم تبرز حقيقة هيئة الإذاعة البريطانية فحسب بل بينت ما يمكن إحداثه عن طريق العصيان المدني والعمل المباشر لإحداث التغيير.فرغم ان فعاليات الطلاب ضمت أعدادا صغيرة فقط من المشاركين مقارنة بنحو ١٠٠،٠٠٠ شخص قاموا بالتظاهر في لندن تضامنا مع قطاع غزة، إلا أنهم عملوا من اجل احداث نتائج ملموسة وبالفعل يمكن وصفها مشاركة فعلية في المقاومة وليست مجرد تضامن.

الطريق إلى الإمام

يتوجب على الناس الراغبين بأحداث تغيير ايجابي في فلسطين اتخاذ العبرة من افعال هؤلاء الطلاب، وإدراك أن التضامن وحده لا يكفي. إن هذه الاقتحامات الطلابية لم تحقق مطالبها في جميع الحالات و في بعض الأحيان كان بإمكانها الذهاب إلى ابعد من ذلك لتحقيق هذه المطالب. على الرغم من ان هذه الافعال وحدها لن تحقق العدالة في فلسطين، إلا أنها برهنت انه في حالة وجود استعداد لدى الناس للعمل وفق " الصحيح" عوضا عن القيام " بالمسموح" (من قبل الدولة). وعليه، يمكن إحداث التغيير بقيادة القاعدة الشعبية وليس من قبل السياسيين الفاسدين اللااخلاقيين المتبعين اهوائهم الشخصية. دعونا نحن شعوب العالم نأتي بقواعدنا الخاصة " بدلا من القواعد التي تفرضها علينا الحكومة"؛ قواعدنا التي تدعم الحقوق الفلسطينية التي لا يمكن التنازل عنها وتتبع توجيهات المجتمع المدني الفلسطيني، ودعونا نقف إلى جانبهم" بأي وسيلة ضرورية.......".[1] كما قال احد النشطاء في معمعة نضال آخر.

---

* ريتش كين: كاتب ومصور وناشط بريطاني

---

[1] عبارة "بأي وسيلة ضرورية" مقتبسة عن كلمة السيد مالكوم اكس، وزير مسلم امريكي من اصل افريقي و ناشط في مجال حقوق الانسان و كان احد قادة " امة الاسلام" لما يقارب ١٢ عام. هذا الاقتباس من كلمة القاها عام ١٩٦٤ قبل اقل من سنة واحدة من اغتياله "اننا نعلن اليوم حقنا في هذه الارض كرجال وبشر يجب أن نحترم حقوقنا الإنسانية، وان نتمتع بها في هذا المجتمع، وعلى هذه الارض . وإننا عازمون على تحقيقها بأي وسيلة ضرورية."

اللجنة الوطنية الفلسطينية لمقاطعة إسرائيل

مقترحات عملية لتعزيز ثقافة المقاطعة وتفعيلها فلسطينياً

إنطلاقاً من البيان التاريخي للمجتمع المدني الفلسطيني الداعي إلى مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها، الصادر في ٢٠٠٥/٧/٩، وعلى ضوء العدوان الإسرائيلي الإجرامي ضد شعبنا في قطاع غزة واستمرار سياسة الاستيطان وتدمير المنازل وبناء الجدار التوسعي العنصري والتطهير العرقي البطيء والممنهج في القدس المحتلة وسائر أرجاء الوطن، وحرصاً على مكافحة الفقر والتبعية الاقتصادية لدولة الاحتلال، وانطلاقاً من الحاجة لتوفير فرص عمل عبر زيادة حصة المنتج الوطني في السوق وتدعيم دور الشركات الفلسطينية في بناء الاقتصاد والمجتمع، تدعو اللجنة الوطنية للمقاطعة* الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات إلى تكثيف ونشر حملة مقاطعة واسعة للبضائع والخدمات والمؤسسات الإسرائيلية كافة وللشركات التي تدعم الاحتلال وأشكال الاضطهاد الإسرائيلي الأخرى ضد شعبنا.

إن رفع حصة المنتجين الفلسطينيين في السوق الفلسطينية في الضفة والقطاع المحتلين من ١٥٪، كما هي حالياً، إلى مجرد ٢٥٪ من شأنه أن يوفر ما يقارب ١٠٠،٠٠٠ (مئة ألف) فرصة عمل لعمالنا الفلسطينيين. وبما إن السوق الفلسطينية هي ثاني أكبر سوق للبضائع الإسرائيلية في العالم، باستثناء السلاح، حيث فاقت وارداتها من إسرائيل ٢،٦) مليار دولار في العام الماضي، فتكتسب مقاطعة إسرائيل محلياً لا بعداً سياسياً وأخلاقياً فحسب، بل وبعداً اقتصادياً هاماً للغاية كذلك. لذا، تدعو اللجنة إلى تفعيل المقاطعة تحديداً في الضفة الغربية (بما فيها القدس وقطاع غزة) على النحو التالي:

أولاً: على الصعيد الرسمي (الوزارات والبلديات والمجالس المحلية):

(١) وضع معايير أخلاقية وقانونية منسجمة مع تلك المتبناة في أوروبا، على الأقل، كشرط لمشاركة أي شركة في أي عطاء للحكومة أو للبلديات وغيرها من المؤسسات العامة، بحيث تستثنى من العطاءات الرسمية أي شركة أو مؤسسة متورطة في دعم أو إدامة الاحتلال أو في انتهاك القانون الدولي أو حقوق الإنسان بأي شكل مباشر أو غير مباشر؛

(٢) إعطاء الأولوية في جميع العطاءات للمنتج الفلسطيني أو العربي أو العالمي (من الدول الصديقة) المستورد من قبل شركات فلسطينية؛

(٣) إعادة النظر في اتفاقية باريس الاقتصادية والإصرار على التعامل بالمثل مع سلطات الاحتلال فيما يتعلق بالبضائع، أي معاملة البضائع الإسرائيلية المستوردة إلى السوق الفلسطينية كما تعامل إسرائيل البضائع الفلسطينية المصدرة، سواء إلى الداخل أو القدس المحتلة أو العالم؛

(٤) تطوير المقاييس والمواصفات الفلسطينية لتضمن مصلحة الشعب الفلسطيني وسلامة مستهلكيه وتمنع تسرب البضائع الإسرائيلية إلى السوق الفلسطينية دون فحص وضوابط صحية ومعايير جودة ملائمة؛

(٥) رفع شكاوى ضد إسرائيل أمام المحاكم الدولية وفي المحافل الغربية بسبب إعاقتها للتجارة الفلسطينية مع العالم الخارجي.

ثانياً: على صعيد القطاع الخاص:

(١) تبني مؤسسات وشركات القطاع الخاص نفس المعايير الأخلاقية والقانونية أعلاه، بحيث تعطى الأولوية للبضائع الفلسطينية أو العالمية المستوردة عن طريق شركات فلسطينية، وبحيث لا تقبل عطاءات من شركات متورطة في انتهاكات للقانون الدولي أو حقوق الإنسان، أو من الوكلاء المحليين لهذه الشركات. وهذا ينطبق على جميع الشركات الإسرائيلية (الأدوات المكتبية، القرطاسية، الأجهزة الإلكترونية، مواد البناء، الأثاث، إلخ) والعديد من الشركات العالمية مثل موتورولا، كاتربلر وغيرها، المتورطة في دعم الاحتلال؛

(٢) تشجيع المستهلكين الفلسطينيين على الإقبال على شراء المنتج المحلي من خلال تحسين الجودة بحيث تصبح منافسة (كما يجري في قطاع الأدوية وبعض الأغذية وغيرها)، وتوفير المنتج المحلي في كافة أرجاء الأراضي المحتلة، إذا أمكن. كما لا بد من التزام القطاع الخاص بحقوق العاملين المنصوص عليها في قانون العمل الفلسطيني؛

(٣) رفض المشاركة في المعارض الإسرائيلية أو في المعارض الدولية التي تفرض تعاوناً مع شركات/مؤسسات إسرائيلية.

ثالثاً: على صعيد مؤسسات المجتمع المدني (الأحزاب، النقابات، الاتحادات، الشبكات، المؤسسات الأهلية):

(١) وقف التطبيع بشكل نهائي، أي مقاطعة جميع الأحزاب الصهيونية ومؤسساتها وتعزيز المقاطعة الأكاديمية والثقافية/الفنية (استرشاداً ببيان حملة المقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل) والرياضية والشبابية والنسوية والعمالية والمهنية (في القطاع الصحي والبيئي والتكنولوجي وغيرها) ومؤسسة "بيرس للسلام" تحديداً)؛

(٢) تبني ورقة تعريف التطبيع التي وزعت في مؤتمر المقاطعة الأول في نوفمبر ٢٠٠٧؛

(٣) المساهمة في تطوير حركة المقاطعة العربية لإسرائيل، سواء الرسمية التابعة لمكتب جامعة الدول العربية في دمشق، أو الشعبية والمهنية والأكاديمية والفنية، ورفض المشاركة في أي نشاط في أي دولة عربية تدعى إليه شخصيات أو مؤسسات إسرائيلية، باستثناء تلك المؤيدة لحقوقنا والتي تناضل معنا من أجل التخلص من الاحتلال والاضطهاد؛

(٤) اعتماد المقاطعة كنهج برنامجي لدى جميع قوى المجتمع المدني وجعلها مبدأ وأساس علاقاتها مع حلفائها الدوليين؛

(٥) تنظيف المدارس (الحكومية والوكالة والخاصة) والجامعات من البضائع الإسرائيلية) الأطعمة والقرطاسية والأدوات المكتبية والأجهزة (؛

(٦) مناهضة المؤسسات التطبيعية الشبابية، كـ"بذور السلام" وغيرها بمنعها من استقطاب واستهداف الطلبة في المدارس ومراكز الشباب ببرامجها التطبيعية الخادعة؛

(٧) مقاطعة الإذاعات التطبيعية وفضح دورها.

رابعاً: على الصعيد الشعبي:

(١) بدء حملة مقاطعة واسعة لرزمة بضائع إسرائيلية "سهلة" الاستبدال، وذلك لإعادة الروح لثقافة المقاطعة على الصعيد الشعبي، مع ربط مقاطعة المنتج المحدد بجرائم الاحتلال في الدعاية والإعلام المرافق للحملة. وتشمل هذه الأدوية والمشروبات بأنواعها والمياه المعدنية والنقاريش والتمور والسجائر والأغذية المجمدة ومنتجات الألبان والألبسة ومواد التنظيف والبوظة والشوكولاتة والمنتجات الورقية، على أن تتوفر بدائل لها جميعاً؛

(٢) الامتناع الكامل عن شراء مواد البناء الإسرائيلية تتوفر بدائل لها، بالذات في جهود إعادة إعمار غزة بعد التدمير الممنهج لها على يد جيش الاحتلال الإسرائيلي؛

(٣) مقاطعة شركات الخليوي الإسرائيلية لمن لا حاجة ضرورية له لاستخدامها.

(٤) تحفيز وتشجيع المحال التجارية الملتزمة بالمقاطعة عبر إقبال المستهلكين، مؤسسات وأفراد، على الشراء منها دون غيرها؛

(٥) عقد مؤتمرات شعبية عن المقاطعة لترسيخها كشكل رئيسي من أشكال المقاومة المدنية.

---

* تضم اللجنة الوطنية للمقاطعة: تحالف القوى الوطنية والإسلامية، الاتحاد العام لنقابات العمال الفلسطينيين، الاتحاد العام لعمال فلسطين، شبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية، اتحاد النقابات المستقلة، إتجاه - اتحاد جمعيات أهلية عربية- فلسطين ١٩٤٨، اتحاد الجمعيات الخيرية، ائتلاف حق العودة، مبادرة الدفاع عن فلسطين وهضبة الجولان المحتلتين، الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، اتحاد المزارعين، الحملة الشعبية لمقاومة جدار الفصل العنصري، الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل، اللجنة الوطنية العليا لإحياء ذكرى النكبة، الائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس، الائتلاف من اجل القدس، الراصد الاقتصادي الفلسطيني.

التضامن مع الشعب الفلسطيني في غزة: تطور الخطاب باتجاه المقاطعة والعقوبات

التوصيف العام للعدوان الإسرائيلي من ناحية قانونية: كان مندوب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في الأرض الفلسطينية المحتلة، البروفيسور ريتشارد فولك، من أهم قادة الرأي السياسي والقانوني حين وصف حصار غزة بـ "المحرقة قيد التنفيذ" وشبهها بالهولوكوست، ثم انتقد الحرب على غزة وسماها بـ "جرائم حرب" و "جريمة ضد الإنسانية"، لا دفاعاً مشروعاً عن النفس، كما ادعت إسرائيل والمتواطئين معها من الحكومات الغربية الرئيسية. كما دعا فولك علانية وأكثر من مرة إلى مقاضاة إسرائيل على جرائمها.

رسخ فولك بهذا التوجه خطاباً قانونياً حاسماً ورصيناً، فاتحاً المجال للعديد من الأسماء اللامعة في القانون الدولي لتبني نفس التوجه، بدرجة أو بأخرى، تجاه العدوان وضرورة محاسبته. فقد وقع العديد من القانونيين الدوليين رسالة نشرت في جريدة التايمز البريطانية ترفض حجة الدفاع عن النفس من إسرائيل وتطالب بتحميلها مسؤولية جرائم الحرب التي ارتكبتها. صدرة كذلك وثيقة من مؤسسات حقوقية دولية ومحلية عديدة تبنت نفس المواقف. ساعد كل ذلك في خلق ما يشبه الإجماع القانوني حول طبيعة العدوان ومواجهته قانونياً. منظمة العفو الدولية كانت من أواخر من اتهم إسرائيل بارتكاب جرائم حرب، تحديداً بسبب استخدامها الفوسفور الأبيض كذخيرة ضد أحياء سكنية، ولكنها كانت قد طالبت من قبل العدوان بقطع إمدادات السلاح إلى "جميع أطراف النزاع"، ثم عادت وأكدت هذا الموقف مجدداً أثناء العدوان.

شهدت ساحة التضامن الأوروبية خصوصاً والعالمية بشكل عام تطوراً ملحوظاً في الخطاب السياسي المتماهي مع موقف المجتمع المدني الفلسطيني، كما عبرت عنه الحملة الوطنية للمقاطعة، وفي المطالب المرفوعة، المنسجة لدرجة أو لأخرى مع توجه الحملة. من أهم هذه المظاهر:

■ **فرنسا**: التحالف الذي نظم مظاهرات في عشرات المدن والبلدات الفرنسية، أهمها مظاهرتا باريس وليل، ١/١٠، اللتان جذبتا ١٠٠،٠٠٠ و٥٠،٠٠٠، على التوالي، رفع شعار تعليق اتفاقية الشراكة الأوروبية-الإسرائيلية برمتها، ولأول مرة، بالإضافة إلى تكرار شعار العقوبات الفورية ضد إسرائيل. من الجدير بالذكر أن الحزب الشيوعي الفرنسي وبعض القوى الكبيرة في المجتمع المدني الفرنسي وافقت على هذين الشعارين.

■ **النرويج**: انضمت ست نقابات عمالية أساسية لحملة المقاطعة هناك، كما نفذ عمال نقابة المواصلات الهائلة التأثير إضراباً تضامنياً لمدة دقيقتين، شل حركة المواصلات في البلاد. هناك تطور كبير في مواقف أحزاب اليسار (المشاركة في الحكم وغيرها)، والكنيسة النرويجية ومواقف بعض أهم الكتاب والمثقفين فيما يتعلق بالمقاطعة. وفي سابقة، ربما تكون تاريخية، أمرت الحكومة النرويجية القائمين على صندوق استثمار عائدات النفط، وهو ثاني أكبر صندوق استثمار من نوعه في العالم، بدراسة وتوثيق دور الشركات المتورطة في العدوان الإسرائيلي لجهة سحب الاستثمار منها جميعاً. لا زال حلفاؤنا يحاولون الضغط لأن تشمل القائمة أهم الشركات الإسرائيلية.

■ **بريطانيا**: بالإضافة إلى حملة التضامن مع فلسطين (PSC) وحلفائها الكثر، والذين دعموا من البداية مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليه، رفع الحزب الديمقراطي الليبرالي (Liberal Democrats) شعار تعليق الشراكة الأوروبية-الإسرائيلية في إنجاز هام للغاية، كون الحزب يعد ثالث أكبر حزب في البرلمان البريطاني. كما طالبت بعض الشخصيات الهامة بسحب السفير البريطاني من تل أبيب للاحتجاج. ومؤخراً شبه عضو البرلمان المرموق واليهودي، جيرالد كاوفمان، أعمال إسرائيل في غزة بأعمال النازية، مما دعم توجهاً مشابهاً بين عدد هام من المثقفين اليهود في بريطانيا وغيرها، يشبه غزة بغيتو وارسو والمقاومة الفلسطينية لعدوان بالمقاومة البطولية لليهود ضد النازيين في وارسو. كما أيد عدد كبير من أعضاء البرلمان طلب وقف تجارة السلاح مع إسرئيل كلياً.

■ **بلجيكا**: نشر عشرات الفنانين والمثقفين، وبعضهم من ألمع الأسماء في بلجيكا، إعلاناً في جريدة رئيسية يتهم إسرائيل بجرائم الحرب ويتبنى مطلب محاسبتها بالمقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات. كما شهدت بروكسل مظاهرات غير مسبوقة في حجمها، وصلت إلى ما يقارب ١٠٠،٠٠٠ حسب بعض التقديرات، وتبنت شعار مقاطعة البضائع الإسرائيلية وتعليق اتفاقية الشراكة.

■ **كندا**: أعادت كل من نقابة عمال البريد نقابة العمال الحكوميين، أونتاريو دعمها للمقاطعة، كم قام نشطاء يهود باحتلال قنصليتين لإسرائيل وتقديم مذكرة تطالب الدبلوماسيين الإسرائيليين بمغادرة البلاد لتورط بلادهم في جرائم حرب. أعادت هذه الخطوة للأذهان بعض تكتيكات الحركة المناهضة للأبارتهايد في جنوب أفريقيا.

■ **مصر**: من أهم الشعارات التي رفعت من قبل مئات آلاف المتظاهرين على مر أسابيع العدوان كان شعار يطالب بإغلاق سفارة إسرائيل والأهم من ذلك ربما بوقف تصدير الغاز إلى إسرائيل. تبنى قانونيون ونشطاء حقوق إنسان ومهنيون مصريون مرموقون هذا الشعار الأخير بقوة وبدأوا يعبئون الرأي العام حوله.

■ **تركيا**: شهدت تركيا بعض أكبر التظاهرات المؤيدة للفلسطينيين في تاريخها الحديث، حيث شارك ملايين في تلك المظاهرات التي لم تنقطع، مما انعكس مباشرة على الحكومة والبرلمان، فشهدنا استقالات بالجملة في الأخير من لجنة الصداقة التركية-الإسرائيلية، ورفع رئيس الوزراء، إردوغان، سقف موقف بلاده السياسي بشكل غير مسبوق، منادياً بتعليق عضوية إسرائيل في الأمم المتحدة إذا لم تلتزم بوقف إطلاق النار، وبمحاكمتها لجرائمها "ضد الإنسانية". كما شهدت أنقرة مقاطعة رياضية عشوائية من قبل الجماهير لفريق كرة سلة إسرائيلي، لأول مرة. وتشهد تركيا حركة ضخمة لمقاطعة البضائع الإسرائيلية.

■ **نيوزيلندة**: بدأ نفس الناشطين الذين قادوا المقاطعة الرياضية ضد جنوب أفريقيا بمقاطعة رياضية لإسرائيل. كما أيد اتحاد نقابات العمال، الذي يمثل حوالي ٣٥٠،٠٠٠ عامل أشكال عديدة للمقاطعة والعقوبات، لأول مرة في تاريخ نيوزيلندة.

■ **الولايات المتحدة**: انتشرت حملة المقاطعة بشكل غير مسبوق، ونشأت عدة مبادرات للمقاطعة الأكاديمية والثقافية ومقاطعة البضائع والضغط على الحكومة لوقف الدعم العسكري على إسرائيل. وفي تطور هام، وقع ما يفوق ٩٠٠ أكاديمي أمريكي، بعضهم مرموق جداً، على عريضة موجهة إلى الرئيس المنتخب، أوباما، تطالبه بمعاملة إسرائيل كما تعامل الجميع مع حكومة الأبارتهايد في جنوب أفريقيا، بالعقوبات وسحب الاستثمارات.

■ **إسبانيا**: انتشرت حملة مقاطعة البضائع الإسرائيلية في الباسك وكاتالونيا وباقي مناطق إسبانيا، كما بدأت حملة جادة للمقاطعة الأكاديمية من مئات أستذة الجامعات. كما تبنت قطاعات كبيرة من حركات التضامن شعار BDS، وجاء هذا تتويجاً لما بدأ في مؤتمر بلباو.

هناك العديد من الأمثلة الهامة في بلدان أخرى، ولكن ما سبق يعطي التوجه العام لرفع السقف السياسي لحركات التضامن، واتساع تأثيرها لتصل إلى قطاعات جديدة بخطاب واضح يرفع شعارات حملة المقاطعة (BDS).

وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها

أبرز فعاليات وأخبار حملة مقاطعة إسرائيل حول العالم

● الحملة الأمريكية لإنهاء الاحتلال تشن حملة ضد شركة موتورولا/ آب ٢٠٠٨: تقوم شركة موتورولا على الدوام، وبصورة نشطة، بتزويد قوات الاحتلال الإسرائيلي بقطع غيار أسلحة ومعدات يتم استخدامها ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني؛ وقد حددت الحملة الأمريكية أربع محاور أساسية تساهم من خلالها شركة موتورولا في الحفاظ على السيطرة العسكرية الإسرائيلية ونظامها للتمييز العنصري، ومن ضمنها تصنيع صمامات للقنابل، توريد معدات خاصة بالاتصالات لقوات الاحتلال، وتزويد إسرائيل بأنظمة مراقبة لكل من المستوطنات وجدار الفصل العنصري.

● توقيف خمسة من المحتجين الاسكتلنديين احتجوا على موسيقيين عسكريين إسرائيليين – ٢٩ آب ٢٠٠٨: نظمت حملة التضامن الاسكتلندية الفلسطينية اعتصاما احتجاجيا ضد أداء جناح القدس في مهرجان "أدينبره" الدولي. وقد تم توقيف خمسة من المحتجين، فيما قام العشرات من محبي الموسيقى بإعادة تذاكرهم عند الأبواب، بعد ملاحظة أن الوصلة الموسيقية الإسرائيلية كانت عبارة عن وسائل من أجل تحسين صورة إسرائيل ولإضفاء مشروعية على تطهيرها العرقي للفلسطينيين، فيما قام آخرون بالتعبير عن امتنانهم للمتظاهرين في الداخل والخارج على "ايقاظ ضمائرنا" كما قالوا.

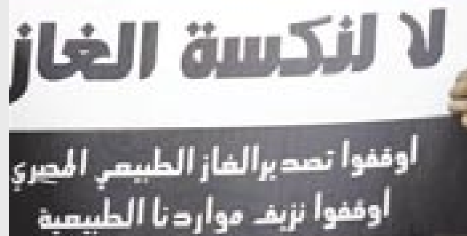
● مصانع "باركان" للنبيذ تنهي عملية نقل مصانعها بعيدا عن المستوطنات غير القانونية في الضفة الغربية – أواخر آب ٢٠٠٨: باشرت مصانع "باركان" للنبيذ منذ سنة ٢٠٠٤ عملية نقل لمصانعها بعيدا عن المستوطنات الإسرائيلية غير الشرعية من "باركان" إلى كيبوتس "خلدة" داخل "الخط الخضر". وقامت شركة المشروبات الغازية الإسرائيلية "تمبو" المالك لمصانع نبيذ "باركان" بالدخول في شراكة كاملة مع شركة البيرة الهولندية "هاينكن"، وبالتالي أصبحت جزءا من مجموعة "هاينكن" العالمية وأقامت شركة جديدة سميت "مشروبات تمبو" التي تملك هاينكن الهولندية ٤٠٪ من رأسمالها. وكانت الحكومة الهولندية من المعارضين البارزين لسياسة إسرائيل الاستيطانية التوسعية في الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية، وهكذا استجابت الشركة للضغط عبر موافقتها على نقل مصانعها من منطقة "باركان" الصناعية. وبينما أنهت عملية الانتقال؛ حافظت على العلامة التجارية "نبيذ باركان". والأكثر أهمية من ذلك؛ هو أن نفس الشركة لا زالت تحتفظ بمعمل للنبيذ في هضبة الجولان السورية المحتلة بصورة غير مشروعة منذ عام ١٩٦٧.

● حملة منسقة تنطلق عشية شهر رمضان تحت عنوان "قاطعوا التمور الإسرائيلية" – ٣١ آب ٢٠٠٨: قبل حلول شهر رمضان المبارك بيوم واحد؛ قام ناشطون بلجيكيون في حملة المقاطعة الفلسطينية بتنظيم نشاط في مدينة بروكسل للاحتجاج على استيراد وبيع التمور الإسرائيلية، حيث قام نحو عشرة من الناشطين بتوزيع التمور مجانا على الزائرين لسوق يوم الأحد الرئيسي في بروكسل، والذي تباع فيه كميات ضخمة من الخضار والفواكه المستوردة. كما تم توزيع نشرات تدعو المستهلكين لمقاطعة التمور الإسرائيلية؛ لأنها تنتج بشكل رئيسي في غور الأردن وعلى أراضي تم سلبها من المزارعين الفلسطينيين.

● عمال الأردن يدعون لمقاطعة البضائع الإسرائيلية – ١١ تشرين أول ٢٠٠٨: شارك المئات من النشطاء الإسلاميين واليساريين وأعضاء في البرلمان الأردني في اعتصام في السوق المركزي للبيع بالجملة؛ وذلك بهدف الاحتجاج والتظاهر ضد استيراد الخضار والفواكه من إسرائيل وضد بيعها في الأردن، وطالب المشاركون المستوردين الأردنيين بوقف الاستيراد من إسرائيل لمجموعة من أصناف الفاكهة والخضروات؛ ومن ضمنها المانجو، الأناناس، الأفوكادو، الكيوي، الجزر والبندورة والتي تباع في محلات السوبر ماركت. وقد تم تنظيم هذه الفعالية من قبل اتحاد النقابات المهنية الأردنية الذي يضم في عضويته أكثر من ١٧٠،٠٠٠ من الأطباء والممرضين والمهندسين وغيرهم. وهذه النقابات كانت على الدوام في طليعة المناهضين للتطبيع ومع حملات مقاطعة إسرائيل. وتشير معطيات التجارة الخارجية الأردنية إلى زيادة ملحوظة في التبادل التجاري بين إسرائيل والأردن منذ توقيع اتفاق وادي عربة عام ١٩٩٤، حيث قفز حجم التبادل التجاري من ١,٦ مليون دولار في عام ٢٠٠٣ إلى ١٤ مليون دولار عام ٢٠٠٧؛ بزيادة تبلغ تسعة أضعاف تقريبا.

● تواصل المعارضة ضد اتفاقية الغاز بين مصر





مصر ٢٠٠٩ (المصدر: الجزيرة)

وإسرائيل – ٧ تشرين أول ٢٠٠٨: في أعقاب المعارضة السياسية للاتفاق المصري الإسرائيلي الذي بلغت قيمته ٢–٣ بليون دولار، وتزود مصر بموجبه إسرائيل بالغاز الطبيعي، قام المحامي المصري ابراهيم يسري، ٦٥ عاما، بمطالبة الحكومة المصرية بوقف تصدير الغاز لإسرائيل، وتوجه للمحكمة المصرية في السابع من تشرين ثاني مطالبا المحكمة بإلزام الحكومة بوقف تصدير الغاز المصري لإسرائيل. ١٨ وقد ترافق ذلك مع دعم شعبي واسع النطاق ورفض برلماني. وفي ١٨ تشرين ثاني ٢٠٠٨ قيدت المحكمة المصرية صادرات الغاز الطبيعي لإسرائيل؛ وذلك على أساس أن الصفقة المثيرة للجدل تم تمريرها بصورة غير جائزة لأن البرلمان المصري لم يصادق عليها، وقد تم تنفيذ الصفقة بناء على مذكرة تفاهم. وبذلك تم تجاوز التصويت عليها في البرلمان (مجلس الشعب المصري). وكانت اتفاقية الغاز بين البلدين قد وقعت بين وزير البنية التحتية الإسرائيلي بنيامين بن اليعازر مع وزير النفط المصري سامح فهمي في حزيران عام ٢٠٠٥.

● شركة سويدية تغلق مصنعا لها في مستوطنة إسرائيلية – ٢٦ تشرين أول ٢٠٠٨: بعد قيام منظمات سويدية غير ربحية والكنيسة السويدية بتكثيف ضغوطها على شركة سويدية بسبب تشغيلها فرعا لمصانعها داخل مستوطنة مقامة على أراض فلسطينية مصادرة في الضفة الغربية؛ قامت شركة "آسا أبلوي" التي يوجد مقرها في السويد، باتخاذ قرار بإغلاق مصنع الأقفال التابع لها في مستوطنة "باركان" في الضفة الغربية ونقله إلى داخل الخط الأخضر، مشيرة إلى هذه العملية تمت لـ"أسباب سياسية". علما أن منطقة "باركان" الصناعية موجودة خارج مستوطنة "أريئيل" مباشرة، وهي من اكبر المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وتقع على بعد ١٦ كيلومترا من "الخط الأخضر". وقال المتحدث باسم الشركة لوسائل الإعلام الإسرائيلية: "نحن نشعر بشديد الأسف لأننا لم نلاحظ ذلك من قبل، ولكننا لم نفهم في الماضي أن وجودنا في المستوطنة يمكن أن يكون انتهاكا للقانون الدولي"

● اتحاد عمال "كتالونيا" يتخذ قراره وينضم لحملة المقاطعة – ٢٣ تشرين ثاني ٢٠٠٨: اتخذت الجمعية العامة لاتحاد النقابات الكتالونية البديلة (IAC) قرارا بالإجماع دعت من خلاله " قادة العالم ومجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بمطالبة إسرائيل بالامتثال للقانون الدولي الإنساني وبقرارات الأمم المتحدة؛ وذلك عبر الإنهاء الفوري لسياسة العقاب الجماعي، وهذا يعني أن على إسرائيل أن تقوم فورا بإنهاء حصارها لقطاع غزة ووقف البناء في المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة، ومن ضمنها شرقي القدس، ووقف بناء الجدار العازل، وإنهاء الاحتلال والاستعمار الإسرائيلي لجميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة وإزالة الجدار، والاعتراف بالحقوق الأساسية للعرب الفلسطينيين مواطني دولة إسرائيل في المساواة الكاملة، واحترام وتعزيز حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى بيوتهم وممتلكاتهم كما نص عليها قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤". وتحقيقا لهذه الغايات؛ فإن الاتحاد قد عقد العزم على "فرض مقاطعة واسعة وتنفيذ مبادرات سحب استثمارات ضد إسرائيل كتلك التي تم تطبيقها على جنوب أفريقيا في حقبة الأبارتهايد".

● قادة فلسطينيون يحثون المملكة المتحدة على مقاطعة بناة المستوطنات الإسرائيلية – ٢٤ تشرين ثاني ٢٠٠٨: قامت شخصيات فلسطينية بارزة بدعوة الحكومة البريطانية بالعدول عن خططها لاستئجار مقرا لسفارتها في تل أبيب من شركة "ليفاييف" أفريقيا–إسرائيل، ومن أجل أن تعلن بريطانيا بوضوح رفضها التعامل مع أمثاله من بناة المستوطنات. وقال القادة الفلسطينيون أن العملية التي قامت بها حكومة المملكة المتحدة مؤخرا التصفية منتجات المستوطنات الإسرائيلية في بريطانيا؛ سيتم تقويضها من



رام الله ٢٠٠٩ (المصدر: شبكة معاً)

خلال استئجار مقر لسفارتها من أحد بناة المستوطنات، كما أن عملية الاستئجار من "ليفاييف" سوف تؤدي لإرسال رسالة متناقضة، مما يوحي بأن الحكومة البريطانية متواطئة في بناء المستوطنات غير المشروعة. ومن ضمن الشخصيات الفلسطينية الموقعة على هذه الدعوة: حسام خضر، خالدة جرار، حنان عشراوي، مصطفى البرغوثي، المطران عطالله حنا والشيخ عكرمة صبري.

● حملة ناجحة تقود لإغلاق مستودع لشركة مياه تملكها إسرائيل في اسكتلندا – ٢٥ تشرين ثاني ٢٠٠٨: أغلقت شركة تبريد المياه الإسرائيلية "ينابيع عدن" مصنعها في اسكتلندا بعد خسارتها لمئات العقود، ومن ضمنها عقود مع مجالس المحافظات المحلية. وكانت هذه المجالس قد صوتت وجنبا إلى جنب مع العديد من النقابات العمالية الاسكتلندية ومجالس الطلبة على مقاطعة "ينابيع عدن" على أساس واضح ومعلن؛ وهو أن إسرائيل تنتهك القانون الدولي وحقوق الإنسان. وقد حاولت الشركة إخفاء حقيقة أنها مملوكة لإسرائيل، فقد حاول مدير الشركة "غراهام كارثر" معرفة ردود فعل المستهلين في حال تغيير الاسم لأن العلامة التجارية "ينابيع عدن (Eden Springs) قد ارتبطت بجرائم إسرائيل. وهذه النهاية الناجحة للحملة تم الاعتراف بها في الوسط الصناعي باعتبارها نتيجة لشعبية الحملة الصارمة التي قامت بقيادتها حملة التضامن الاسكتلندية الفلسطينية.

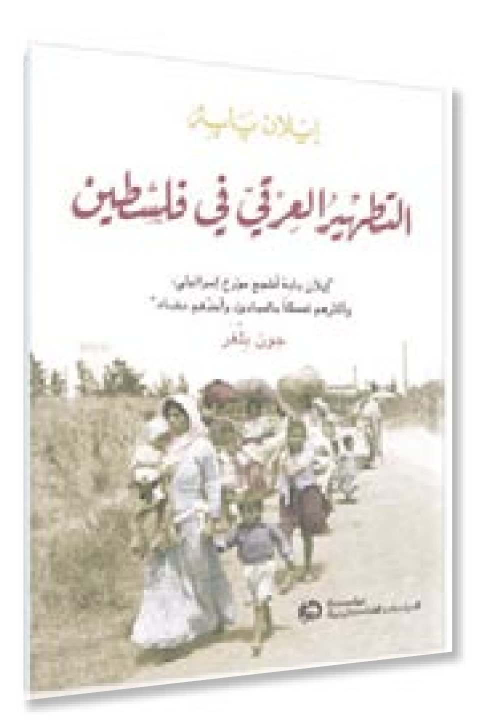
● رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة يدعو إلى مقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض عقوبات على دولة إسرائيل العنصرية – ٢٦ تشرين ثاني ٢٠٠٨ : رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة، الأب ميغيل دي اسكوتو بروكمان D' Escoto Brockman، دعا الأمم المتحدة والدول الأعضاء لكي تحذو حذو منظمات المجتمع المدني لتطبيق المقاطعة، سحب الاستثمارات وفرض عقوبات على إسرائيل حتى تمتثل للقانون الدولي، وقد وجه الرئيس اسكوتو نداءه العاجل خلال تقديمه لجلسة افتتاح الدورة السابعة والخمسين للجمعية العامة في ٢٤ تشرين ثاني، وذلك كجزء من فعاليات اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني. وجاء في خطاب الرئيس بروكمان، قوله "أنا أتحدث في هذا الصباح عن الأبارتهايد، وكيف تبدو السياسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة مشابهة للأبارتهايد في حقبته المبكرة في قارة بعيدة عن فلسطين، وأنا أعتقد انه من المهم جدا لنا في الأمم المتحدة أن نستخدم هذا المصطلح؛ ويجب علينا أن لا نخشى أبدا تسمية الأشياء بما هي عليه بالفعل".

يونيليفر تصفي استثمارها في مصنع إسرائيلي بمستوطنة أرئيل في الضفة الغربية – ١ كانون أول ٢٠٠٨: شركة يونيلفر المتعددة الجنسية للمواد الغذائية والصناعة التحويلية وصناعة الصابون تعلن أنها ستبيع حصتها البالغة ٥١٪ في مصنع "بيغل وبيغل" في مستوطنة ارئيل، المقامة بشكل غير مشروع على أراض صودرت من أصحابها الفلسطينيين. وقد تم اتخاذ إجراءات مماثلة من قبل شركات متعددة جنسية أخرى، مثل: الشركة السويدية "آسا أبلوف" التي أزالت مصنعها لدهانات "مل– تي– لوك" من مستوطنة "باركان"، ومصنع نبيذ باركان الذي سحب استثماره من فرعه في منطقة باركان الصناعية بعد الدخول في شراكة مع صانع البيرة الهولندي، هاينكن. ومجمع هارودز الذي نظف رفوفه من منتجات "بيغل وبيغل" في آب ٢٠٠٨.

● اللجنة الوطنية للمقاطعة تدعو لمقاطعة "لوريال" – ٢٣ كانون أول ٢٠٠٨: بالتزامن مع موسم الأعياد؛ دعت اللجنة الوطنية للمقاطعة أصحاب الضمائر في كافة أنحاء العالم لمقاطعة منتجات ومستحضرات التجميل الفرنسية العملاقة "لوريال"؛ وذلك بسبب علاقاتها التجارية العميقة مع إسرائيل؛ وكانت أعمال لوريال في إسرائيل قد بدأت في أواسط التسعينات من القرن الماضي، وقد شغلت الشركة مصنعها الفرعي في مستوطنة "مجدال هعيمك" في الجليل الأسفل، وهذه المستوطنة أنشأت عام ١٩٥٢ على أراضي قرية المجيدل الفلسطينية التي تم تطهيرها عرقيا، وأصحابها الأصليون لازالوا محرومين من حقهم في العودة إلى بيوتهم، وهي مثل بقية المستوطنات اليهودية التي أقيمت على أنقاض القرى الفلسطينية في الجليل في داخل إسرائيل، تقوم مستوطنة "مجدال هعيمك" تميز ضد الفلسطينيين مواطني دولة إسرائيل، وتنكر عليهم حقهم في الشراء، أو الاستئجار أو السكن في أي جزء من أراضي البلدة، ببساطة لأنهم فقط "ليسوا يهودا".

عن كتاب التطهيـر العرقي في فلسطين*

بقلم: يوسف عيسى خليفة**



قراءتي لكتاب "التطهير العرقي في فلسطين" دفعتني لإعداد السطور التالية، وتدعوني لدعوة القارئ العربي لقراءته فهو وثيقة رائدة صادقة تكشف حقيقة النكبة وأسبابها ووقائعها، ويحتوي على سيل من المعلومات الهامة التي تثري المعرفة وتدفع للمزيد من العمل لصالح القضية الفلسطينية.

وتكمن أهمية الكتاب، بالإضافة إلى قيمته العلمية، انه جاء بقلم مؤرخ وكاتب يهودي- اسرائيلي ومحاضر رفيع المستوى في العلوم السياسية في جامعة حيفا، شغل منصب المدير الأكاديمي لمعهد غفعات حبيبا لدراسات السلام، ورئيس معهد أميل توما للدراسات الفلسطينية في حيفا.

يقول الكاتب تحت عنوان شكر وعرفان:

هذا الكتاب ليس مكرساً رسمياً لأحد، وقد كتب أولا وقبل كل شيء من اجل الفلسطينيين، ضحايا التطهير العرقي في سنة ١٩٤٨، وكثير منهم أصدقاء ورفاق، وكثيرون غيرهم أجهل أسمائهم، لكن منذ يوم عرفت عن النكبة رافقتني معاناتهم وفقدانهم وآمالهم. وعندما يعودون فقط ساشعر بأن هذا الفصل من النكبة بلغ أخيرا النهاية، التي نرجوها، والتي من شأنها أن تتيح لنا جميعاً العيش في سلام وانسجام في فلسطين.

هذا العمل الرائد الصادق يلقي ضوءاً جديداً على أصول الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي وتطوراته، ويبرهن الكاتب، بكل أمانة مستنداً على وثائق ومواد أرشيفية أفرج عنها مؤخراً بصورة لا تقبل الجدل، أن التطهير العرقي كان منذ بداية الصراع جزءاً لا يتجزأ من خطة رسمت بعناية فائقة، وان هذا التطهير العرقي العنصري لشعب بكامله هو الأساس للصراع المستمر الى الآن في المنطقة، وسيبقى هذا الصراع مستمراً حتى يعود الحق إلى أصحابه.

مقدمة الكتاب: البيت الأحمر

يذكر الكاتب أنه في عصر يوم الأربعاء (١٠ / آذار) من عام (١٩٤٨) اجتمع أحد عشر رجلاً في المبنى الأحمر في تل أبيب وهم قادة صهاينة قدامى ووضعوا اللمسات الأخيرة على خطة لتطهير فلسطين عرقياً. وفي مساء اليوم نفسه صدرت الأوامر الى الوحدات على الأرض بالاستعداد للقيام بطرد منهجي للفلسطينيين من أرضهم، وأرفقت الأوامر بوصف مفصل للأساليب الممكن استخدامها لطرد الناس بقوة: إثارة الرعب واسع النطاق، محاصرة وقصف قرى والمراكز السكانية، حرق المنازل والأملاك والبضائع، الطرد، هدم البيوت، وأخيراً زرع الغام وسط الأنقاض لمنع السكان المطرودين من العودة إلى منازلهم. وتم تزويد كل وحدة عسكرية بقائمة تتضمن أسماء القرى والأحياء المحددة كأهداف لها في الخطة الكبرى، وعرفت هذه الخطة بالخطة (د). وتمثل ملخص الخطة (د) في وجوب ترحيل الفلسطينيين، وتدمير المناطق الفلسطينية الريفية والحضرية على السواء.

استغرق تنفيذ هذه الخطة ستة أشهر، ومع اكتمال التنفيذ كان أكثر من نصف سكان فلسطين الأصليين، أي ما يقارب (٨٠٠٠٠٠ نسمة) قد اقتلعوا من أماكن عيشهم، و(٥٣١ قرية) دمرت، و(١١حياً مدنياً) أخلي من سكانه. إن تنفيذ هذه الخطة يشكل مثالاً واضحاً جداً لعملية تطهير عرقي، هذا الفعل الذي يعتبر اليوم في نظر القانون الدولي جريمة ضد الإنسانية؛ أي جريمة حرب يجب محاكمة كل من شارك في تنفيذها.

الفصل الأول: تحت عنوان تطهير عرقي مزعوم

تحدث الكاتب عن التطهير العرقي، وأن الغزاة استخدموه وطبقوا مضمونه بمنهجية عالية ضد السكان الأصليين منذ زمن التوراة حتى زمن أوج الاستعمار. ويهدف الطرد الى ترحيل أكبر عدد من السكان، بكل الوسائل المتاحة. وذكر المؤلف عدة تعريفات للتطهير العرقي وكلها تقريباً تتشابه بانه طرد جماعي واسع النطاق يتم بالقوة على خلفية دينية أو عرقية أو سياسية... الخ.

وإن التطهير العرقي يعتبر في المعاهدات الدولية جريمة ضد الإنسانية يجب أن تخضع للمحاكمة بموجب القانون الدولي، وإن مرتكبي هذه الجريمة هم مجموعة معروفة تبدأ من بن غوريون وزملائه أمثال: يغئيل يادين، وموشيه ديان، ويغال آلون، ويتسحاق ساديه. ويذكر الكاتب أسماء بعض الضباط الذين قادوا عمليات تطهير في المدن الفلسطينية، كاللد والرملة وصفد والجليل.

ويستغرب الكاتب كيف تم اسقاط جريمة التطهير العرقي في فلسطين من الذاكرة العالمية الجماعية ومحو هذه الجريمة من ضمير العالم، وكيف تم تجاهل هذه الجريمة مع وجود مراسلين صحفيين أجانب ومراقبين تابعين للأمم المتحدة.

الفصل الثاني: نحو دولة يهودية حصراً

يتحدث الكاتب تحت عنوان "نحو دولة يهودية حصراً" عن الدفاع الصهيوني الأيديولوجي عن التطهير العرقي في فلسطين والسعي لإقامة دولة يهودية في فلسطين. وقد استغلت الصهيونية الأساطير التوراتية حيث أن التراث والدين اليهوديين يأمران اليهود بانتظار مجد المسيح المنتظر في نهاية الزمن. وهذا دفع المفكرين والقادة الصهيونيين للمطالبة بالأرض التوراتية، واستحضارها أو بالأحرى اختراعها تمهيداً لحركتهم القومية الجديدة، واعتبروا فلسطين أرضاً خالية من السكان، وان السكان الأصليين في نظر الصهاينة كائنات غير مرئية.

ويذكر الكاتب أن شعب فلسطين كان حاضرا ومتحضراً، ثم استعرض الكاتب التحضيرات العسكرية للتطهير العرقي، حيث تم تشكيل عصابات مسلحة ومنظمات يهودية عسكرية. وبدأت الاستعدادات العسكرية، وفتح ملفات للسكان وللقرى الفلسطينية، وجمع المعلومات اللازمة لعملية الاحتلال والطرد، وتبنى هذا وذلك الصندوق القومي اليهودي الذي أنشئ في سنة (١٩٠١)، وهو الأداة الصهيونية الرئيسية لاستعمار فلسطين وكان بمثابة الوكالة التي استخدمتها الحركة الصهيونية لشراء الأراضي الفلسطينية لتوطين اليهود فيها. ومن الشخصيات الهامة التي كان لها دور كبير في إنشاء الوطن الصهيوني ديفيد بن غورين اليهودي البولندي الذي كان له دور في تقرير مصير الفلسطينيين وطردهم من أرضهم أمام اعين السلطات البريطانية المنتدبة على فلسطين وبموافقة منها.

الفصل الثالث: عنوان التقسيم والتدمير: قرار الأمم المتحدة ١٨١ وتداعياته

تبنت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين في ٢٩ / تشرين الثاني / من عام ١٩٤٧، ولقي هذا القرار مقاطعة شاملة من الشعب الفلسطيني والشعوب العربية، وتم رفض هذا القرار لأنه يعني تقاسم الأرض مع جماعة من المستوطنين والدخلاء.

أما بن غوريون فقد فرح لرفض العرب قرار التقسيم ولرفضهم التعاون مع الأمم المتحدة فكان يقول للمقربين منه: "لا توجد حدود إقليمية للدولة اليهودية". وقد قام مع أعضاء الهيئة الاستشارية بوضع خطة لطرد مليون فلسطيني بغض النظر عن مكان وجودهم في البلد، وقال بن غوريون في احد الاجتماعات: "إن المجتمع اليهودي سيضطر الى أن يحمي لا مستوطناته فقط، بل البلد بأسره ومستقبلنا القوي".

الفصل الرابع: بلورة الخطة الرئيسة

يبين الكاتب كيف بدأ التطهير العرقي بالقيام بسلسلة من الهجمات اليهودية على قرى وأحياء عربية في المدن. كانت الهجمات عنيفة بما يكفل التسبب بترحيل عدد كبير من الناس نحو ٧٥٠٠٠ نسمة، حيث بدأت هذه العمليات في أوائل شهر كانون الأول من عام ١٩٤٧، وهدفت هذه العمليات إلى طرد السكان الأصليين وإزالة الصبغة العربية عن فلسطين، وضمان التهيئة لهجرة يهودية مكثفة الى فلسطين.

وفي هذا الفصل تطرق الكاتب انه من دون جيش الأردن (الفيلق العربي) لم يكن لدى العالم العربي قدرة جدية على الدفاع عن فلسطين أو على إحباط الخطة الصهيونية لإقامة دولة يهودية في فلسطين على سكانها (ص ٥٣).

لضمان نجاح خطة التطهير العرقي تم بناء قدرة عسكرية يهودية ملائمة كي يتم تحقيق الاستيلاء على معظم فلسطين وطرد السكان من أرضهم ولصد أي هجمات عسكرية محتملة من طرف القوات العربية.

من الشخصيات التي لها دور هام في قيام الكيان الصهيوني إلياهو ساسون وهو يهودي من سوريا، وكان دوره الرئيسي التحريض وإتباع سياسة "فرق تسد" داخل المجتمع الفلسطيني، الأسلوب ذاته كان وراء إنشاء روابط القرى بعد حرب عام ١٩٦٧ في مطلع الثمانينيات لتكون بديلاً عن قيادة منظمة التحرير، لكن هذه الروابط انتهت لكشف حقيقتها بالفشل.

يستعرض الكاتب بعض العمليات العسكرية على قرى ومدن فلسطينية منها: الخصاص، حيفا، بلدة الشيخ، نسف مبنى السرايا في يافا، نسف فندق سمير أميس في القطمون، قيسارية، خربة البرج، دالية الروحاء، سعسع، قيرة، وغير ذلك.

الفصل الخامس: مخطط التطهير العرقي: الخطة دالت (د)

ركز بن غوريون عمله على تنفيذ خطة التطهير العرقي ومقاومة المحاولات العربية لمنع اليهود من الاستيلاء على فلسطين، معتمداً على قدرة القوات اليهودية، بدأ تنفيذ خطة تطهير فلسطين من سكانها– الخطة دالت (د) – أوائل شهر نيسان من عام ١٩٤٨م. وقد حددت الأوامر العسكرية لتنفيذ الخطة وهي تدمير القرى العربية وطرد سكانها كي يصبحوا عبئاً اقتصادياً على القوات العربية العامة.

يستعرض الكاتب كيفية احتلال القسطل واستشهاد عبد القادر الحسيني، ومذبحة دير ياسين وما جرى فيها من جرائم قتل، وتدمير للبيوت، واغتصاب حيث يذكر ان عدد الشهداء قد بلغ "١٧٠ شهيدا من بينهم ٣٠ طفلاً" (ص ١٠١، ١٠٢). وكذلك يبين كيف تم احتلال قالونيا، ساريس، بيت سوريك، بدو، وكيف تم نهب محتويات البيوت بعد تدمير هذه القرى.

كما وتضمنت الخطة دالت(د) تدمير المدن الفلسطينية واحتلالها بعد مجازر بشعة كما حدث في طبرية، حيفا، عكا، بيسان، يافا. ويذكر الكاتب كيفية تنفيذ الهجمات العسكرية على هذه المدن والمجازر البشعة التي ارتكبت ضد السكان الأبرياء، ويبين الدور التآمري للبريطانيين وكيف صمتوا على هذه الأعمال الوحشية، بل إنهم ساعدوا في تدريب العصابات الصهيونية وسلحوها لكي تستطيع إن تقوم بهذه الأعمال ضد الشعب الفلسطيني.

ويبين الكاتب في الفصل الخامس كيفية طرد الشعب الفلسطيني من أرضه ووطنه على يد العصابات الصهيونية وان هذا الشعب قاوم المحتل الغاصب بكل ما لديه من قوة وإرادة، لكن نقص السلاح في يد أبناء الشعب الفلسطينيجعله فريسة سهلة للعصابات الصهيونية، وانه لم يتخل عن أرضه، ولم يهجر وطنه طوعاً، كذلك يبين الكاتب دور جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي، وصموده رغم قلة الإمكانيات.

الفصل السادس: الحرب المزيفة والحرب الحقيقية على فلسطين: أيار / مايو ١٩٤٨

يذكر المؤلف أن رئيس هيئة أركان الجيش العربي الأردني غلوب باشا سمى حرب ١٩٤٨ في فلسطين بالحرب المزيفة، لأنه كان يعلم بخفايا الأمور والتحالفات السرية بين العرب واليهود وان الاستعدادات العربية العسكرية لم تكن جدية، وإنها مثيرة للشفقة. ولم تكن بالصورة المطلوبة للدفاع عن فلسطين أرضاً وشعباً، لكن صاحب هذا ضجيج إعلامي وقرع لطبول الحرب.

الجيوش العربية التي جاءت لفلسطين من مصر وسوريا والعراق كان ينقصها السلاح والتموين والتدريب والقيادة المخلصة، فهزمت شر هزيمة أمام القوات العسكرية الصهيونية. ويعود سبب قلة السلاح عند هذه الجيوش إلى امتناع بريطانيا وفرنسا عن تزويد العرب بالسلاح، أما القوات الصهيونية فقد وجدت في الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية الدائرة في فلكه مزوداً راغباً في إمدادها بالسلاح.

احتلت القوات الصهيونية عشرات القرى الفلسطينية وطردت أهلها خاصة القرى الواقعة في المنطقة الممتدة بين تل أبيب وحيفا. وارتكبت القوات الصهيونية عشرات المذابح منها مجزرة الطنطورة في ٢٢ أيار عام ١٩٤٨، والتي قام بها لواء الكسندروني وغيره من الويه الجيش الاحتلال كلواء هرئيل وجولاني وغيرها.

الفصل السابع: تصاعد عمليات التطهير: حزيران / أيلول ١٩٤٨

في بداية حزيران كانت قائمة القرى التي مسحت من على وجه الأرض كثيرة: نجد، برير، سمسم، المحرقة، هوج وغيرها. ويذكر ان شارون قد بنى منزله ومزرعته على ارض قرية هوج على مساحة تقدر ب ٥٠٠٠ دونم. في ٥ حزيران احتل الصهاينة قريتي يبنة وقاقون، وتم حرق بيوت فلسطينية لعدم وجود مادة الديناميت، وتم إشعال النار في حقول وبقايا القرى الفلسطينية التي هوجمت، لمنع السكان من العودة الى بيوتهم، وكذلك قام سلاح الجو الإسرائيلي بقصف بعض العواصم العربية. ويذكر الكاتب أن القتال بين الصهاينة والعرب امتد طويلا لثبات المتطوعين العرب وبصورة خاصة القادمين من مصر رغم

عتادهم الهزيل وقلة التدريب.

أعلنت الهدنة الأولى في ٨ حزيران ١٩٤٨، وخلالها قام الجيش الإسرائيلي بعمليات تدمير هائلة لعدد من القرى التي تم طرد سكانها، وتم احتلال منطقة الجليل ومناطق كثيرة أخرى، وانتهت الهدنة الأولى في ٨ تموز ١٩٤٨.

وما بين الهدنة الأولى والهدنة الثانية والتي أعلنت في ١٨ تموز ١٩٤٨، طردت القوات الإسرائيلية سكان مدينتي اللد والرملة البالغ عددهم ٧٠،٠٠٠ نسمة. وكذلك احتلت بعض القرى الواقعة في الجليل الغربي، واحتلت قرى طيرة حيفا، وكفر لام، وعين حوض، واجزم، وعين غزال، وحطين.

انهار ما سمي بالهدنة الثانية، بسبب استمرار العمليات العسكرية للقوات الصهيونية. فحتى بعد إعلانها لم تحترمها القوات الصهيونية، ففي الأيام العشرة الأولى منها احتلت القوات اليهودية قرى رئيسية كثيرة تقع شمال حيفا وجنوبها منها: الدامون، عموتس، تمرة، كابول، معار. واستمرت عمليات الجيش الإسرائيلي في شهر آب لتطهير المنطقة واحتلال جميع المدن والقرى الفلسطينية لأن القيادة السياسية كانت تطمع أن تقيم الدولة اليهودية في معظم أرجاء فلسطين، رغم وجود مراقبي الأمم المتحدة الذين جاؤوا لمراقبة تنفيذ الهدنة.

الفصل الثامن: انجاز المهمة: تشرين الأول ١٩٤٨ - كانون ثاني ١٩٤٨

حتى بداية شهر تشرين الأول بقيت أجزاء من الجليل الشمالي تحت سيطرة المتطوعين الفلسطينيين المعززين بجيش الإنقاذ، لكن هؤلاء لم يكونوا يملكون سلاحاً حديثاً، وتم القضاء على مقاومة هؤلاء في هجمات قامت بها القوات الصهيونية في منتصف الشهر تحت اسم (عملية حيرام)؛ و حيرام هو ملك صور كما تذكره التوراة، وكان الهدف من هذه العملية التوسعية احتلال الجليل الأعلى والجنوب اللبناني. اتسمت عملية حيرام بالوحشية والقسوة حيث استعملت فيها الطائرات وكان القصف الجوي عنيفاً وواسع النطاق، وانتهت باحتلال معظم القرى في الجليل الأعلى في يوم واحد . وارتكبت خلالها القوات الصهيونية جرائم حرب ضد أهالي القرى المحتلة، والقتل الجماعي وتدمير البيوت ، وطرد النساء والأطفال ممن بقي حياً. وبعد ذلك قام الجيش الإسرائيلي بالتخلص مما تبقى من بعض القرى مثل: اقرت ، كفر برعم، والغابسية .

ونهجت إسرائيل سياسة معارضة ومنع عودة اللاجئين إلى ديارهم حيث قامت بتدمير جميع القرى التي تم طرد سكانها منها وتم تحويلها الى مستعمرات يهودية أو الى غابات طبيعية، واتبعت سياسة مقاومة الضغط الدولي المتنامي على إسرائيل للسماح بعودة اللاجئين.

المرحلة النهائية من مرحلة التطهير العرقي بدأت في شهر تشرين الأول ١٩٤٨ واستمرت حتى صيف سنة ١٩٤٩، وراقب هذه العملية مراقبو الأمم المتحدة، وكتبوا إلى الأمين العام للأمم المتحدة: "إن السياسة الإسرائيلية تمثلت في اقتلاع العرب من قراهم الأصلية الفلسطينية بالقوة والتهديد" ومع كل هذا لم تصدر الأمم المتحدة قراراً يدين التطهير العرقي مع أنها أصدرت قراراً بتقسيم فلسطين.

في شهر تشرين الثاني تم طرد القوات المصرية من ارض فلسطين، وواصل الإسرائيليون احتلال الجنوب الفلسطيني منطقة النقب واستمروا بالتوجه جنوباً حتى ميناء (أم الرشراش) على البحر الأحمر والتي هي اليوم إيلات، وتم احتلال بئر السبع وتم طرد كثير من القبائل البدوية من أراضيهم.

الفصل التاسع: الاحتلال ووجهه القبيح

بعد أن استكملت إسرائيل من حيث الجوهر تطهير فلسطين عرقياً فإنها وضعت من تبقى من الفلسطينيين تحت الحكم العسكري، واستمرت بنهب البيوت، ومصادرة الحقول، والاعتداء على الأماكن المقدسة. وانتهكت إسرائيل حقوقهم الأساسية، كحق الحركة والتعبير والمساواة أمام القانون. يذكر المؤلف كيفية إجراء الاعتقالات ضد الفلسطينيين وكيفية التحقيق معهم بوحشية حتى القتل، وكيف كان يتم استغلال السجناء الفلسطينيين في معسكرات العمل لتقوية الاقتصاد الإسرائيلي وقدرات الجيش، في ظروف غير إنسانية كالعمل في مقالع الحجارة، وحمل الأحجار الثقيلة. تحدث الكاتب عن عدة جرائم اغتصاب كان أبشعها اغتصاب فتاة في الثانية عشرة من عمرها، على يد مجموعة من الجنود قاموا بقتلها بعدما انتهوا منها. ثم تحدث عن مصادرة أموال الشعب الفلسطيني من المصارف والمؤسسات التي استولت عليها السلطات الإسرائيلية بعد أيار عام ١٩٨٤.

وتحدث الكاتب أيضا عن تدنيس الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية وضرب عدة أمثلة على تحويل مساجد الى خمارات أو مزارع للأبقار أو حدائق عامة .

سرقة الأرض: ١٩٥٠-٢٠٠٠

تحدث الكاتب عن القرارات الصادرة عن الكنيست وعن المؤسسات الإسرائيلية الأخرى لسرقة الأرض الفلسطينية تحت ذرائع شتى وحجج واهية، وكل هذه القرارات الباطلة جاءت للاستيلاء على الأراضي الفلسطينية. والأبشع من كل هذا هو سرقة الأسماء وتحويل الأسماء العربية للمواقع إلى أسماء عبرية، وهذا محو للهوية الفلسطينية لتثبيت الزعم بيهودية فلسطين بطريقة غير مباشرة ومزيفة.

الفصل العاشر: محو ذكرى النكبة

أسس الصهاينة لجنة عرفت باسم لجنة التسميات الرسمية مهمتها إطلاق أسماء عبرية على الأراضي والأماكن التي كان اليهود يشترونها أو يحتلونها بالقوة خلال النكبة، وهذا تزوير للجغرافيا وللتاريخ، ولإخفاء القرى العربية المدمرة زُرعت ارض هذه القرى بأشجار حرجية لتخفى تحتها القرى المدفونة، لكن الذاكرة الفلسطينية لم تزل حية وأصبحت الغابات الميدان الرئيس لنضال اللاجئين الفلسطينيين الراغبين في إحياء ذكرى قراهم. لقد أقام الصندوق القومي اليهودي حدائق عامة في مواقع القرى المدمرة ، وتم زرع أشجار الصنوبر والسرو لإخفاء هذه القرى ودعم صناعة الخشب في إسرائيل. لكن أرض بعض القرى رفض شجر الصنوبر، وبرزت من وسط جذوع الصنوبر المرفوض أشجار زيتون متحدية التزييف. ويدعي الصندوق القومي اليهودي أنه زرع عشرات الحدائق العامة، مع أن هذه الحدائق والغابات قد تم زرعها على يد أبناء فلسطين وقبل النكبة .



تهجير سكان الرملة (المصدر: palestineremembered.com)

الفصل الحادي عشر: إنكار النكبة و"عملية السلام"

يشير الكاتب إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ الذي ينص على حق عودة اللاجئين الفلسطينيين، وتعويضهم عن الأضرار التي لحقت بهم وتنكر إسرائيل لهذا القرار وبمساعدة الدول الغربية، واستبعاد قضيتي النكبة واللاجئين دائماً عن جدول أعمال السلام.

وبعد حرب عام ١٩٦٧ وبعد احتلال ما تبقى من فلسطين وسيناء والجولان بدأت محاولات إحلال السلام للمنطقة. ولكن تولى ذلك الأمريكان، وموقفهم المؤيد لإسرائيل، وطرحهم لحلول كلها تؤيد إسرائيل وترفض حق العودة للفلسطينيين، وترفض الانسحاب الشامل من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، وتغض الطرف عن انتهاك إسرائيل الاتفاقات الموقعة في واشنطن والقاهرة؛ جعل محاولات السلام تلك فاشلة وتراوح مكانها.

لقد دمرت إسرائيل اتفاقيات أوسلو وغيرها من الاتفاقيات، ويرفض الإسرائيليون حق العودة لخوفهم من أن تصبح إسرائيل مسؤولة عن نكبة عام ١٩٤٨ فقد صدر عن الكنيست قرار يمنع على أي مفاوض إسرائيلي ان يناقش حق عودة اللاجئين الى بيوتهم المحتلة عام ١٩٤٨ وما قبلها. ويعرض الكاتب إلى خارطة الطريق ومبادرة جنيف، وما عليهما من ملاحظات من كلا الطرفين. ويؤكد في النهاية أن إسرائيل تريد أن تبقى دولة يهودية خالصة أي (إسرائيل القلعة).

الفصل الثاني عشر: إسرائيل القلعة

إسرائيل القلعة أو إسرائيل اليهودية أو إسرائيل بدون عرب، هذا ما يخطط له قادة دولة إسرائيل فتم إصدار عشرات القرارات العنصرية ضد العرب، وكلها تهدف الى تقليل عدد السكان الفلسطينيين، وان يبقى عددهم في إسرائيل محدوداً. يقول بنيامين نيتنياهو: "إذا صار العرب يشكلون ٤٠٪ من السكان، فان هذا سيكون نهاية الدولة اليهودية". وأضاف: "لكن حتى نسبة ٢٠٪ هي أيضاً مشكلة".

تعمل إسرائيل على حل المشكلة السكانية بتشجيع الهجرة اليهودية إليها من كل أقطار الأرض. ويصور الكتاب الصهاينة المتعصبون أطفال العرب والذين يشكلون ربع أطفال إسرائيل أنهم القنبلة الموقوتة، وإنها ليست مشكلة فقط بل خطرا يهدد الكيان اليهودي.

يقول الكاتب:

أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة حق اللاجئين الفلسطينيين الذين طردتهم إسرائيل في سنة ١٩٤٨ في العودة الى ديارهم وهذا حق راسخ في القانون الدولي ومتوافق مع أفكار العدالة الإنسانية. وان رفض حق العودة يعادل تعهداً غير مشروط بمواصلة إنكار النكبة وتدعيم "القلعة". إن الحل لقضية الصراع هو أن تتحول إسرائيل الى دولة مدنية وديمقراطية.

ويدعو الكاتب إلى استغلال فرص السلام ليعيش الجميع في سلام، وحتى لا يفقد شعب فلسطين الأمل كي لا يصل إلى اليأس والأسى، لأن هذا سيعيد الصراع لبدايته.

الخاتمة: البيت الأخضر

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة عنوانها: البيت الأحمر، الذي هو مقر قيادة الهاغانا ويعد من أفضل نماذج البناء في تل أبيب. وأما البيت الأخضر فهو نادي هيئة التدريس والإدارة في جامعة تل أبيب والذي كان أصلاً بيت مختار قرية الشيخ مؤنس، حيث أقيمت جامعة تل أبيب على أرض هذه القرية الفلسطينية.

يقول الكاتب:

"إن البيت الأخضر هو الصورة المصغرة لإنكار الخطة الصهيونية التي بموجبها جرى تطهير فلسطين عرقياً والتي تم وضعها في الطبقة الثالثة من البيت الأحمر".

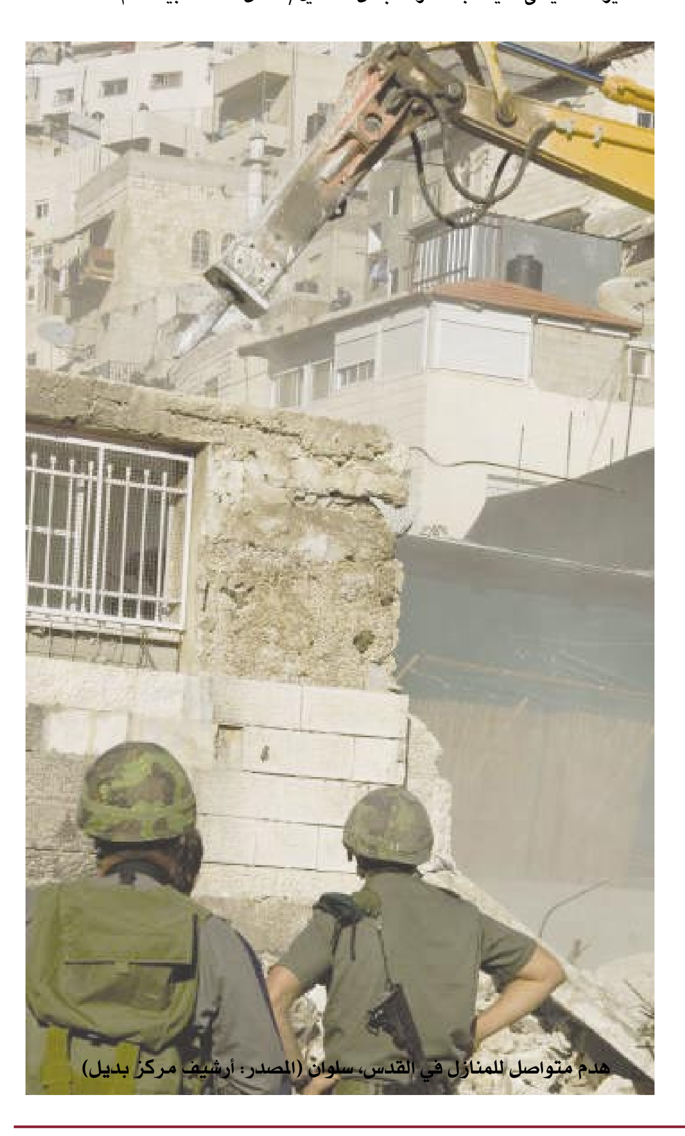
يعتب الكاتب على علماء جامعة تل أبيب خاصة علماء الاقتصاد والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، ويلومهم لأنه لا يوجد فيهم من كتب أو وثق الأعمال التي قامت بها القوات الصهيونية ضد الفلسطينيين؛ يلومهم لأنهم لم يوثقوا عمليات التطهير العرقي للشعب الفلسطيني من أرضه.

وفي الخاتمة يدعو الكاتب الى وقف العنف فالعنف لا ينجو منه أحد، وخطر النزاع لا يترك أحدا، والنزاع أفدح تدميراً، وأكثر دموية وشدة.

---

* كتاب التطهير العرقي في فلسطين من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية يقع في ٣٧٤ صفحة من الحجم المتوسط. تم طبع الكتاب في لندن عام ٢٠٠٦، وفي بيروت عام ٢٠٠٧، وفي فلسطين عام ٢٠٠٧، وهو من تاليف إيلان بابه، وترجمة د. أحمد خليفة.

** يوسف عيسى خليفة، باحث وكاتب من فلسطين/ سكان محافظة بيت لحم.



هدم متواصل للمنازل في القدس، سلوان (المصدر: أرشيف مركز بديل)

أم رزق تفتح مخزون ذاكرتها، لتنير دروب قرية كفر عانة*

بقلم: رنين جريس**

الموقع والمساحة والسكان:

تقع قرية كفر عانة شرقي مدينة يافا على رقعة مستوية من الأرض، وربما يعود مصدر الأسم الى قرية عونو الكنعانية. حتى عام ١٩٤٥ كان عدد سكان القرية ما يقارب ٣٠٢٠ منهم ٢٢٠ يهودياً. امتلك اهالي القرية ما مجموعة ٢٢١٤ دونماً مخصصاً للحمضيات والموز، و١١٠٢٢ دونماً للحبوب، و٥٩٧ دونماً مروياً او مستخدماً للبساتين.

من مخزون ذكرياتها حدثتني ام رزق: الحياة والزراعة.

كانت الحياة منيحه وكنا مبسوطين، كنا نحصد، نقلع، ندرس، نضمّن بياراتنا ونوكل، بياراتنا ضمّناهم قبل ما طلعنا، تركنا البرتقال في الحوش، مقطوع وجاهز حتى نحطه بالصناديق، والله برتقال دار عمي ضل على أرضه.

النسوان كانت تشتغل مع جيزانها بكل مكان، انا بقيت ازرع بندوره، خيار، ملفوف، وبرتقال وكنت افلح واحرث، انا كنت وحيده لأهلي، اشتغل كل شي لحالي، اقوم من الصبح وارجع المغرب على البيت.

مره اجا واحد عنا على كفرعانا يركّب بابور ويعلمني عليه، قاللي وين اخوك، قلت له انا ما عندي اخوه وابوي ما بعرف، صار يعلمني على البابور وعلى كل برغي. كان عمري يمكن ١٥ سنة، كنت ادير البابور وادير المي على الشجر واسقي، اكشبر، اركع (..).

قبل التهجير كنت متزوجة، انا اكبر من زوجي بثلاث سنوات، أولادي وصفية وفوزيه ورزق وفخرية ولدتهم بكفر عانة.

تستمر ام رزق في حديثها عن دورها في الزراعة والإنتاج بلهفة:

كنا ننزل على الأرض بعد ما نولد وابننا على ظهرنا ونطلع نحصد، ابننا بظهرنا ونقطع برتقال، كنا ننيم الولد تحت الشجره ونشتغل، نعمله خيشه ونتيمه تحتها حتى ما يبرد، ولما كان الطفل يصمّت، كنا نجيب شوية سمقة حمراء (تراب احمر) وندهنه فيه ويصبّح ولا في اشي عليه. أولادي ولا مرّه حطيت لهم بودرا أو دوا او أي اشي تاني، بس التراب.

بعد ما رحلنا على اريحا ولدت ثلاث أولاد، والله كنت اطلع على روس الجبال واجيب السمقة وافرشها وانخلها وأحطها على الولد، يصحى ما فيه اشي. هاي السمقه حنونه على الأنسان مثل ما هي حنونة على الشجر.

مدرسة كفرعانة:

كان في القرية مدرستان: احداهما للبنين وأخرى للبنات. كانت مدرسة البنين التي أسست عام ١٩٢٠، تمتلك ٢٢ دونماً من الأرض؛ وكان فيها ٢٧٠ تلميذاً في سنة ١٩٤٤. اما مدرسة البنات، فقد انشئت عام ١٩٤٥، وسجّلت فيها في تلك السنة ٥٧ تلميذة. عن المدرسة حدثتني ام رزق مبتسمة:

كان في مدرستين وحده للاولاد ووحده للبنات، لليوم بعدها المدرسة مش مهدوده واولادي تعلموا فيها. أبوي ما خلاني أروح على المدرسة لأني كنت مسؤوله على الفلاحه، كنت اروح اشد على البغله، وآخذ نسوان ابو زلمتي التنتين، هم يقلعوا سمسم وانا اربّط وراهم، اعبي العرباي واطلع اديرها على البيادر وارجع القاهم مساويات النقله الثانيه، نربطها ونروّح.

نسوان اليهود مشلّحات ونسوان العرب لابسات

كان اليهود ييجوا على كفرعانة، وكانت اراضينا وبياراتنا جنب بعض. واحنا كنا نروح على بيوتهم ونشتغل عندهم ونورّد عليهم تبن.

نسوان اليهود كانوا دايما مشلّحات وبالكلاسين والنسوان العرب لابسات، ما همّ اجانب!، بس كنا نلعب معهم على البحر وعلى الشط.كنت اروح تل ابيب ويافا راكبه على الجمل لحالي، اعبي تبن واروح عليهم، اطق على الباب، افسخ الحمل واقيم الأكياس، اعطيهم ويعطوني حقه واركب الجمل وارجع. كانت النسوان اقطع من الرجال ولا حدا يسترجي يوقفلنا بالطريق، احنا زلام، ومن يوم ما خلقنا النسوان الفلسطينية اقوى من الرجال، اه والله.

مره واحد ضرب علي حجر صغير، رجعتله ومسحت الأرض فيه ودقيت فيه بالكندرا وقلت له والله لأبعت لأبوك، هو اليوم موجود معنا بالمخيّم. هون بالمخيّم بنات بيت نبالا وبيت طريف لما تصير طوشه يصيروا يحطوا الحجار بحجورهم ويتناولوا ويعطوا للرجال، واحده تروح تملي وواحدة ترجع. اليوم الرجال بخافوا يتزوجوا من بنات بيت نبالا لاجل رجم الحجار.



قرية كفر عانه ١٩٩٥ (المصدر: palestineremembered.com)

نساء كفر عانة يخبزن للثوار

الانجليز اوسخ من اليهود، كانوا ساكنين بالعباسية، فظعوا فينا، بالاخر صار كل شعب فلسطين ثوار، كانوا يوقفوا خارج البلد على البيارات يدوّروا على الثوار، لانهم بعرفوا انه الثوار ما بدخلوا على الدور.

النسوان كانت تخبز وتعجن وتبعت الاكل للانجليز، بذكر يجي المنادي وينادي: يا بنات اللي عندها مروّه تحضر اكل وتبعته على دار ابو خالد؛ كل واحده تسوي اللي قدّرلها ربها. بذكر مره اجوا الانجليز على البيادر وواحد من الثوار نطّ بالبركة وصار يغطس ويطلع ويغطس ويطلع لحتى راحوا الانجليز.

اليهود تقصف والمسلحين على الشجر

اهل البلد كانوا مسلّحين، اللي عنده ذهب لزوجته كان يبيعه ويشتري باروده، طيب باروده بتقنع دبابة ؟؟ .

لما اجو علينا اليهود بدهن يطلعونا على البيادر حتى يفتشوا الدور ويشوفو اذا في سلاح او لا، كان في امرأة من كفرعانة داخل بيتها عم تولد والجنين كان نصه تحتها ونصه ببطنها، اجوا اليهود وبدهن يطلعوها، قالت لهم: بس اولد بطلع، قال لها: لا، قالت له: مش طالعه واللي بدك اياها اعمله؛ بالاخر استنّوها لحتى ولدت، وربطت الطفل وحطّت الأخت (الرفيقة) معه وطلعت معنا على البيادر، هذا بجوز من ربنا؟ لا ما بجوز.

بعد ما فتّشوا وما لقيوا المسلحين والسلاح، طلعوا من البلد، واحنا روّحنا على الدار، لا حول ولا قوه الا بالله العظيم، دارنا كانت مقلوبة قلب، ولا اشي مع اشي.

بعدهاصارت اليهود تقصف البلد بالدبابات والمسلحين يطلعوا على الشجر؛ كان عنا شجر برتقال طول هالبواب، صاروا يتخبوا بالشجر من فوق ويضربوا بالمرتين (نوع سلاح) على الدبابة، هاي الدبابة اجت علينا من العباسيه ووقفت على البيادر، في واحد (تضرب بغضب على ارجلها)، شفته ممد قدامي، هو من دار ابو رقعه من سلمة، كان يحارب بكفرعانة، صارت الناس تقول له: يا ابن الحلال ارجع، يا ابن الحلال ارجع، ما رضي يرجع، بده يموت، الدبابة على البيادر قباله، ضرب عليها اول طلقه والثاني وقفت الباروده، الخنزير (المقصود الصهيوني) عرف انه الباروده وقفت، قام دحَل عليه وقتله؛ بعد حوالي اسبوعين اجت عائلتة، قلنا لهم: حطّينا الجثة بالفستقيه، يعني قبر او غرفة للميتين، لما اجو عليه يطلعوه، شاهد الله، كان بعد وكأنه اليوم ميت، ايديه مثل الحرير؛ قاموه وقعدوه على الكرسي بالسياره وجللوه، مرته قالت: حّلوا الكشاط عنّه، بعد ما حلّوه لقينا المصاري اللي كان شايلهم عشان يروح ع الحج. طالوا المصاري عنه، واخذوه على سلمه لما صار القتل فينا، صاروا يضربوا البارود على الناس اللي جوّا واللي برّا، وصارت يا خالتي الطريق زي الزبيب من الجثث، كلهم شباب اشي متجوز واشي اعزب، اشي بالجوّر واشي بالاستحكامات، كنا نطلّع فيهم واحنا مارقين، مش قادرين نقيمهم، لانه الشباب كلها طلعت وبس النسوان بقيت. كيف بدنا ندفنهم؟، صارت النسوان تتسلل بالليل ويقيموا فيهم ويحطّوهم بالفستقيّة فوق بعض. صاحيتها مثل ما انا صاحي اسا. والله ابن درويش انقتل واجريه عالقة فوق بالشجرة وراسه لتحت وهو ميت، بعدين طالوه وقبروه. ابن الحاوي انقتل باب داره، وامه انقتلت جوا الدار.

الرحيل وسقوط الدولة الثامنة

لما طلعت من كفرعانة، طلعنا على البيارات اللي بينا وبين اللد، بيّاره كفرعانة. انا لما طلعت كان عمر بنتي اسبوع، ودمي بهّر على اجريي وانا ماشي، لبّسوني ثوبين وشلحتين، نمنا بين الشجر. ابوي قال بدنا نروح على اللد، قلت له: ما هي اللد لاحقها الوكر، قال لي: لا يابا احنا هلكيت منرجع، ساعة زمان بس يطلعوا اليهود، هو في يابا حدا بقدر يوخد الدوله الثامنة، سألته: يابا شو هي الدولة الثامنة؟، قال لي: مدينة اللد اسمها الدولة الثامنه، لانها قوية وما حدا بقدر يدخلها. قلت له: يابا اول ما راح تروح هي الدولة الثامنة، اذا بدك تروح الله يسهل عليك، راح ابوي على كفرعانة وفك البابور وراح على اللد، واحنا ضلّينا طالعين على بيت ريما، وبعدها ابوي لحقنا؛ خلاااااص ما دام رحنا على بيت ريما يعني تركنا ال ٤٨.

سكنا بالجبال في قضاء رام الله، وسكنا حوالي اربع، خمس سنين في عابود، اصل امي من هناك، بس انا ما كنت اعرف اهل امي.

احنا يا خالتي طلعنا ثلاث مرات، الأولى من كفرعانة وبعدها طلعنا من الجبال وبعدها بال ٦٧ طلعنا من أريحا.

الاعتداء على نساء كفرعانة

حاول الجنود يعتدوا على بنات كفرعانة، قمنا هجمنا عليهم وصرنا نرجمهم بالحجار حتى اطلعناهم من البيت، كانوا حوالي اربع او خمسه يهود. في بيت كان فيه بنتين مسكرات على حالهن، خلعوا الباب وخشّوا عليهم، البنات شردوا على البيارات، لحقوهم واغتصبوهم.

في بنت خطفوها يهود ملبّس (بتاح تكفا)، اخذها واحد يهودي ربّاها وتجوزها، كان عمرها عشر سنين واهلها فكروا انها ماتت. كانوا يخطفوا بناتنا حتى يكسروا انفنا، حتى يكسروا هيبة العرب.

ما اخرجته ام رزق من القرية:

لما طلعنا اخذنا كل اغراضنا، ما ظل في البلد الا الخزانات، كل شي حملناه على اكتافنا بس القمح والذره حطيناه بالعرباي مع الاولاد الصغار، مشينا مسافه كبيره لا مي ولا زاد، قلت لهم يا جماعه شو بدنا نساوي؟ قالوا: هيّنا وصلنا، والـلا شفنا سيارة بالطريق، طلبنا منه يحمّل الاولاد، قال لنا: على الولد ليرتين، قلنا له: كتير هيك، عابود قريبة يا زلمي، من وين نجبلك ليرتين، ما رضي، وبتنا هديك الليله بالطرق والصبح مشينا ونزلنا بعابود. صار القمل علينا طول شبر، والله عمري ما شفت القمل نصه احمر ونصه ابيض الا في عابود، الإهانة اللي عشناها بالتهجير ما خلق بالدنيا انسان انهان مثلها. طفشنا انا وجوزي واولادي على الزيتون، بدنا نوكل حب زيتون، متنا من الجوع، صاحب الزيتون شافنا وعزمنا نتغدى معه، والله اعطيت ابني فتّه وبنتي فتّه وانا اخدت فتّه اكلناهم وربنا شهيد؛ قال لي انت من وين يا بنت؟، قلت له: انا من كفرعانه، قال لي: شو اسم امك؟، قلت له: فاطمة سعيد المنّح، وصار يعمل هيك (تضرب ام رزق على راسها)، قال: اخ اخ، وصار يضرب على وجهه؛ طلع خال امي، خالها اخو امها.

خليتبني عرص وضربتيني على رقبتي صرنا كل يوم نسرح على الزيتون ونرجع، عملت اربع تنكات زيت، قال لي خالي بدكيش تروحي على بيت اخوالك تتعرفي عليهم، قلت له: يا خالي بفرجها الله، يومها كانت الوكالة تفرّك (توزع) علب لحمه ووقية طحين، (ترفع ام رزق يديها وراسها لفوق وتصرخ)، لمين ولمين هاي الوقيه، لعشره بالدار!، رحت بعدها لأبو رزق، حطّيت ايدي على رقبته، عم بمزح معه، وقلت له: اجانا لحمه، قال لي: خليتيني عرص وضربتيني على رقبتي، العرص اللي بنضرب على رقبته، قلت له: والله يا زلمي انا على نيتي، انا بمزح معك، يقوم يوخذ علبة اللحمة ويضربها علي وتيجي على داني من فوق، لو اجت شوي تحت كنت انقتلت. حملت اولادي الثلاث وطلعت بطريق الجبل، مرقنا على ديوان الثوار، ما سندِت على السند اللي فوق ولا النسوان بلطموا، قعدّت الأولاد وصرت الطم معهم بدون ما اعرف على مين اللطم.

ضلينا نلطم حتى خلصنا، وجوهنا صارت زي التابوت الأحمر، بعدها شفت بنت خالي ورحت معها عند خالي، ولما شاف راسي سألني: مالك؟، قلت له: تقاتلت انا وجوزي وضربني، قال لي: وحيات شارب خالك هاد الاّ راح اخليه ينبش بعوده. صار ابو رزق يبعت ناس من كبار كفرعانة وخالي يطردهم، قال لهم خالي: اذا انتوا اخدتم امها ببلاش، بنتها مش ببلاش.

والله ما اطلعنا من بلادنا الا دير ياسين

لم تمض على مجزرة دير ياسين ثلاث اسابيع حتى احتلت قوات الهجاناه قرية كفرعانة والقرى المجاورة. تعاونت الهجاناه على شن عميلة حيميتس (خميره) في ٢٩ نيسان ١٩٤٨ التي كان هدفها عزل مدينة يافا وتمهيد الطريق للأستيلاء عليها. وقد شارك في هذه العملية ثلاثة الوية، الكسندروني وكرياتي وغفعاتي، حيث احتلت القرى التالية وطهرتها: بيت دجن، كفرعانة، العباسية، صفورية، الخيرية، سلمة، يازور، بالاضافة الى ضاحيتي يافا: جبالية وابوكبير. عن رهبة المجزرة حدثتني او رزق:

دير ياسين هي اللي اطلعتنا، والله ما اطلعنا من بلادنا الا دير ياسين، فظعوا اليهود فيها، البنت يغتصبوها وابوها وامها واقفين. قسم من اهل دير ياسين نزلوا على يافا والناس صارت تقول لبعضها وفاعت الدنيا. هذا يقول بنتي وهذا يقول اختي وهذا يقول امي، صارت الشباب ترمي حالها على الموت. اللي صارلنا ما صار تحت كتب العرش (..)، الذل اللي انذليناه احنا بفلسطين لليوم ما حدا شافه.

بيارة ابن كريون

انشئت مستوطنة يغيل على اراضي القرية عام ١٩٥٠ كما انشئت نفي افرايم عام ١٩٥٣. عن مصادرة اراضيها حدثّتني ام رزق ضاحكة:

ابوي كان عنده بياره ١٨ دونم راحت اليوم بمطار ابن كريون (بن غوريون)، مطار اللد، لما بقول ابن كريون بصيروا اولادي يضحكوا علي. لليوم البيارات مصوّرة قبال عيني، بذكر شجره الكينا، بنيت عليها من فوق كرسي، كنت لما افضى اطلع فوق اخيّط وابقى للمغرب.

تحيه للختياره اللي واقفة على السيارة كنت انزل على البيارة اسقي بالليل، اضلني من المغرب للصبح. اللوكس بايدي وانكش واقيم واحط. انا بعجبك (تصفق وتضحك)، لما المخيم عنا اخذ الكاس من الفيصل اطلعوني على السيارة فوق وحطوا المايركفون بفمي وصرت ازغرد وأغني:

احنا الوحداتيات ما فينا دنس
من طيّح الخيّال عن ظهر الفرس
من طيّح الخيال ومنركب مطرحه
وبعدها زغروده (تزغرد)

الناس اللي من فوق صارت تصفّق وتقول تحيه للختياره اللي واقفة على السياره.

اجا محمد ابني وشافني وقال لي: ملعون ابو اللي خلف ابوك، هاي انت؟، حملني وشرد فيي والمصورين يلحقوه بالكاميرا، (تضحك بصوت عال) والله لحقوه...

---

* لقاء خاص مع أم رزق من مواليد ١٩١٨، مخيم الوحدات/ الأردن، ٥\٣\٢٠٠٧..

** رنين جريس: هي مركزة مشروع التاريخ الشفهي في جمعية "زوخروت"، حيفا.

من ريحة البلاد*

أمجد سرحان**

ضوضاء المدينة كانت تسيطر على المكان، فاختفت شاعرية المشهد البحري قرب صخرة "الروشة" وسط العاصمة اللبنانية بيروت. الدقائق كانت تمر، وفي كل لحظة، كنت أحاول أن استرق صمت الضوضاء، لاختلس رشفة من صوت البحر الداكن.

كانت مياه الموج العاتية تضرب جانبي الصخرة، وكنت أحسّ ببرودتها عن بعد. في كل مرة تأتي الموجة من بعيد، كنت آخذ نفسا عميقا، وانساب معها وأتمايل يمينا ويسارا. عليّ، إذا ما عدت إلى فلسطين، أن استذكر شيئا عن هذا البحر الهائج، الذي أعشقه، وكم أتمنى لو كان عندنا مثله في رام الله!

مرّت الساعات وأنا متسمّر أمام تلك الصخرة، أتأمّل كيف ثقبها الخالق من وسطها، وجعلها ممرا مائيا مثيرا. لكن سرعان ما تحول كل شيء في مشهد "الروشة" إلى كابوس، وتمنيت لو أنني لم أولد أصلا، واكبر في فلسطين المثقوبة هي الأخرى والمُثقلة بالجراح.

جاء حاملا في يده اليسرى كاميرا، وفي الأخرى حمل كوبا من القهوة، اقترب ببطء، وقرأت في عينيه الخجل. أحسست أن وراء هذا الرجل حكاية، وفيه جرح، وثقب، تماما كثقب "الروشة".

قال بلطف:

– صورة ؟ أم لعلك تريد رشفة من القهوة، هنا أمام هذا البحر، القهوة تمنحك نشوة، كنت انظر إليك، وتخيلتك تمثل مشهدا رومانسيا، وأنت تسرح مع الموج شهيقا وزفيرا.

ثم ضحك، وبحذاقة قال:

– لا بد أن الصورة هنا تساوي الدنيا وما عليها.

شدّني هذا الشابّ بلطفه وخفة روحه، وسُمرة بشرته، وحِدّة عيونه العسلية اللامعة، وأنساني لحظة "الرومانسِية" التي عشتها عند "الروشة"... وأخذنا الحديث بعد أن التقط لي صورة فورية، ثم أسقاني فنجانا من القهوة المُرّة المغلية على الفحم، وللذّتها طلبت واحدا آخر.

وبينما كان يسكب القهوة من "بكرجه" المثقوب هو الآخر من منتصفه المليء بالفحم، بادر بالسؤال:

– يبدو من لهجتك انك من بلد عربي شقيق، دعني أحزر، أنت أردني.

تبسمت في وجهه وقلت له:

– كلا، لست كذلك، أنا فلسطيني من رام الله.

لم يكمل سكب فنجانه، أسقطه على الفور من يديه، وقال بدهشة واستهجان:

– رام الله ؟!

سقط فنجان القهوة أرضا فتطايرت قطراته على بنطالي، وبسرعة وخفّة عاد إلى عربته واحضر قطعة قماش مبلولة، وبدأ يمسح بقع القهوة إلى أن أمسكت بيديه:

– لا تكترث، حصل خير.

نظر الرجل إلي مستغربا:

– هل أنت فعلا من رام الله؟.



أراضي قرية القبو المهجرة، قضاء القدس (المصدر: palestineremembered.com)

حيرتني ردّة فعله لمّا قلت له إني من رام الله، ولم افهم لماذا اعتراه هذا الاندهاش، فرددت عليه:

– أنا من قرية بجانب رام الله تسمى رأس كركر، هل سمعت عنها يوما؟ وقد جئت إلى هنا في مؤتمر لعدة أيام وبعدها سأعود إلى بلدي.

أخذ نفسا عميقا، وبدا الحزن الشديد في عينيه، واطرق في السماء، وقال:

– ومتى سأعود أنا؟

أدركت حينها أن الشابّ لاجئ فلسطيني، تحركت مشاعري كثيرا تجاهه، وأحسست بألمه:

– لقد تركت رام الله من يومين، وعلى علاتها اشتاق لها، واشتاق أن أعود إليها الآن، لا مكان في العالم أجمل من رام الله.

رد عليّ بصوت مخنوق: لا مكان في العالم أجمل من فلسطين.

أخذنا الحديث، فسألته: من أي مخيم أنت؟

– من عين الحلوة،

– ألا تخشى من الشرطة اللبنانية؟ ربما تأتي وتأخذك إلى الحبس لأنك تبيع القهوة هنا.

ضحك الأسمر قليلا، ثم رفع "كنزة" بالية يرتديها، وكشف لي عورته:

– أترى هذه الخطوط؟ إنها آثار جَلد. لقد جلدوني مرارا، وضربوني، ورغم ذلك ليس أمامي سوى المغامرة، أريد نقودا لإعالة أهلي.

صعقت من المشهد، لقد كانت الجروح عميقة، وأحسست بكمية الألم الذي سببته. حزنت كثيرا على الشابّ، ولم اعرف بماذا أجيب، لكني شتمت في ذاتي كل الأنظمة، وكل القوانين:

– أهكذا يعامَل البشر؟ ماذا فعل هذا الأسمر؟ لقد كان يبيع القهوة ويلتقط الصور التذكارية للسُيَّاح، أيستحق هذا العذاب؟.

ظللت صامتا لم أحرك ساكنا، بينما أتأمل ملامح وجهه. نعم، هي ليست لبنانية، وإن كانت لهجته لبنانية، فهو ليس لبناني، إنه فلسطيني بامتياز. تأملت أكثر في وجهه، فاكتشفت خدوشا، وآثار سكين، كما لو أن الرجل كان في معركة بالسلاح الأبيض، حاولت سؤاله عن سبب الخدوش، لكني خجلت، وبدأ قلبي يخفق بسرعة. لم أعرف ماذا سأقول. تبلّدت، تجمّدت في مكاني، ثم أشحت برأسي عنه ونظرت إلى الأرض، وظللت انتظر منه كلمة.

قال بألم: هل تسمح لي بطلب؟

– تفضل.

– دعني أتملس منك.

ضحكت قليلا: هل تراني نبيا مثلا!

ردّ بنبرة عالية: أنت كذلك!

– معاذ الله!

– أنت نبي، مممم ملاك... أنت إله، أرجوك!

تبسّمت في وجه الرجل وبدأت الشكوك تسايرني حول نواياه. ودون شعور، مرّر يديه على وجهي، فأحسست بأن فيهما خشونة وشوق، ثم تلمس شعري فاقشعر جسدي. وفجأة انحنى على الأرض، وأخذ يقبل قدماي، فانحنيت وراءه وسحبته إلى الأعلى، وقلت له:

– يا رجل، معاذ الله، ما الذي تفعله؟

صمتنا ولم نتحدث لبرهة من الزمن، وحينها أجهش الأسمر بالبكاء. وبدون شعور احتضنته كما لو أنه شقيقي الأسير الذي لم أره منذ زمن. عانقته عناق الرجال، ثم "طبطبت" على كتفه ورجوته أن يهدأ، وأن يخبرني ما الذي جرى له. صمت الأسمر قليلا، وقال بحرقة:

– أنت من ريحة البلاد.

قتلني بتلك الكلمة "ريحة البلاد"، أحسست بألم هذا الرجل أكثر، وشعرت كم هي غالية "البلاد"، وشعرت أكثر بحجم الذلّ الذي أصابه في رحلة الشتات. ذلٌ هي حياة اللاجئين، وذلٌ هي الطريقة التي يتعامل بها لبنان مع اللاجئين هناك. ذليلٌ كان هذا الأسمر، لقد قبّل قدميّ ويديّ، ورأسي، وطلب أن "يتملس مني لأني من ريحة فلسطين الأم".

بعد صمت، قال:

– استحلفك بالله، أن تبقى معي، دعنا نتحدث، قلي، كيف هي رام الله؟ وكيف هي فلسطين؟ هل ذهبت يوما إلى القدس؟ وكيف يافا، وحيفا، وعكا؟ هل تعرف صفد؟ هل تعرفها؟ أنا من هناك، لقد خرجت من هناك، ليس أنا من خرج، كان أبي، رحمه الله، ما زال مفتاح منزلنا معي...

بدأ الرجل يتحدث مع نفسه، يسأل ويجيب، دون أن انطق بكلمة واحدة. ظللتُ صامتا طيلة فترة تواجدي أمامه، وكنت أفكر في تلك الكلمة القاتلة الموجعة: "ريحة البلاد".

نظرت في عينيه مرة أخيرة، احتضنته، ثم أجهشت أنا الآخر بالبكاء، وأدرت ظهري وانصرفت مهرولا إلى الفندق، وهناك تواصل بكائي سرا داخل الغرفة، ثم غبت في سبات عميق.

صحوت بعدها وأكملت المؤتمر، مرّت الأيام بلمح البصر إلى أن جاء وقت المغادرة. صمّمتُ أن أعود إلى ذات المكان الذي تلاقينا فيه، علّي أجده وأتحدث معه قليلا بعد أن هدأت أعصابي، وأتعرف عليه أكثر، واعرف اسمه، وما إذا كان بالإمكان أن نتراسل في المستقبل. بحثتُ مطوّلا عنه فلم أجده. عضضتُ أصابعي ندما لأني غادرت دون أن أتعرف عليه أكثر، سألت بعض من كانوا في المكان، فأجاب أحدهم:

– تقصد ماهر؟... لقد أخذه الدركي.

علمت حينها أن دروب العذاب ستتواصل في حياة ماهر، إلى أن يحين موعد "الرجعة إلى البلد". تمنيت لو أني وجدته، وبقدرة قادرة حولته إلى ميدالية صغيرة أعلقها على جانبي وأعبر بها الحدود، ثم بقدرة قادر أن أعيده بشرا، واجعله يعيش معي في منزلي.

عدت إلى رام الله، وعادت حياتي طبيعية. ومع مرور الزمن، نسيتُ القصة، وغابت عن خيالي، لكنها عادت واستوطنتني قبل أيام، عندما قرأت مقالة في جريدة عنوانها: "من ريحة البلاد".

---

* "من ريحة البلاد" من القصص الصحفية الفائزة بجائزة تقديرية ضمن جائزة العودة السنوية للعام ٢٠٠٨.

** صحفي فلسطيني يعمل في جريدة "السفير" الصادرة في بيروت، وفي مركز القدس للإعلام والاتصالات.

الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل

تعريــف التطبيــع

فيما يلي محاولة لتأصيل ما نعني بالتطبيع، آملين أن يكون هذا التعريف مرجعية عند اختلاف الآراء. ينطبق التعريف التالي للتطبيع على الفلسطينيين في الضفة الغربية (بما فيها القدس الشرقية) وقطاع غزة، بالإضافة إلى العرب والفلسطينيين في الوطن العربي.

التطبيع هو المشاركة في أي مشروع أو مبادرة أو نشاط، محلي أو دولي، مصمم خصيصا للجمع (سواء بشكل مباشر أو غير مباشر) بين فلسطينيين (و/أو عرب) وإسرائيليين (أفرادا كانوا أم مؤسسات) ولا يهدف صراحة إلى مقاومة أو فضح الاحتلال وكل أشكال التميز والاضطهاد الممارس على الشعب الفلسطيني. وأهم أشكال التطبيع هي تلك النشاطات التي تهدف إلى التعاون العلمي أو الفني أو المهني أو النسوي أو الشبابي، أو إلى إزالة الحواجز النفسية. ويستثنى من ذلك المنتديات والمحافل الدولية التي تعقد خارج الوطن العربي، كالمؤتمرات أو المهرجانات أو المعارض التي يشترك فيها إسرائيليون إلى جانب مشاركين دوليين، ولا تهدف إلى جمع الفلسطينيين أو العرب بالإسرائيليين، بالإضافة إلى المناظرات العامة. كما تستثنى من ذلك حالات الطوارئ القصوى المتعلقة بالحفاظ على الحياة البشرية، كانتشار وباء أو حدوث كارثة طبيعية أو بيئية تستوجب التعاون الفلسطيني– الإسرائيلي.

وفيما يلي بعض المجالات والأنشطة التي ينطبق عليها التعريف السابق:

١– إقامة أي نشاط أو مشروع يهدف لتحقيق "السلام" من دون الاتفاق على الحقوق الفلسطينية غير القابلة للتصرف حسب القانون الدولي وشروط العدالة.

٢– إقامة أي نشاط أو مشروع، يدعو له طرف ثالث أو يفرضه على الطرف الفلسطيني/العربي، يساوي بين "الطرفين"، الإسرائيلي والفلسطيني (أو العربي)، في المسؤولية عن الصراع، أو يدعي أن السلام بينهما يتحقق عبر التفاهم والحوار وزيادة أشكال التعاون بينهما، بمعزل عن تحقيق العدالة.

٣– إقامة أي مشروع يغطي أو يميع وضع الشعب الفلسطيني كضحية للمشروع الكولونيالي الإسرائيلي أو يحاول إعادة قراءة تاريخ الصراع بحيث يقدم الرواية الصهيونية كرديف أو موازي للرواية الفلسطينية عن جذور الصراع وحقائق الاقتلاع والتهجير.

٤– إقامة أي مشروع يرفض أو يميع أو يتجاهل حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وخاصة حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة والتعويض حسب قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤، عبر الترويج لما يطلق عليه "النظرة للمستقبل" وتجاوز تاريخ الصراع.

٥– مشاركة عرب أو فلسطينيين، مؤسسات أو أفراد، في أي مشروع أو نشاط يقام داخل إسرائيل أو في الخارج مدعوم من أو بالشراكة مع مؤسسة إسرائيلية لا تقر علنا بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني أو تتلقى دعماً أو تمويلاً (جزئيا أو كلياً) من الحكومة الإسرائيلية، كمهرجانات السينما ومعارض تقنية المعلومات وغيرها.

الحقوق الفلسطينية فيما سبق تعني الحق في تقرير المصير، بما فيه حق اللاجئين في العودة إلى الديار الأصلية والتعويض طبقا لقرار الأمم المتحدة ١٩٤، وكافة القرارات المتعلقة بعروبة القدس، وعدم شرعية الاستيطان ومصادرة الأراضي، وتهجير السكان بالقوة وتغيير الجغرافيا والديموغرافيا.



حاجز حوارة، نابلس ٢٠٠٨ (المصدر: flickr.com)

مجلس حقوق الإنسان الدورة العاشرة، ٢ – ٢٧ آذار، ٢٠٠٩

مذكرة خطية مقدمة من بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين*

العضو الاستشاري في المجلس الاقتصادي والاجتماعي/الأمم المتحدة

التهجير القسري في الأراضي الفلسطينية المحتلة والتهجير بفعل الهجمات العسكرية الأخيرة على قطاع غزة

أسفرت الهجمات العسكرية الأخيرة، العشوائية وغير المتناسبة؛ التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة عن تشريد قسري جماعي غير مسبوق، وبالرغم من أن العدد الإجمالي للمهجرين الفلسطينيين ما زال غير محدد؛ حيث قدر مركز الميزان لحقوق الإنسان بأن العدد يزيد عن ٩٠،٠٠٠ فلسطيني تم تهجيرهم قسرا خلال الأعمال العدائية (ومن ضمنهم أكثر من ٥٠،٠٠٠ طفل)،[١] من بين حوالي ١,٥ مليون نسمة؛ هم سكان قطاع غزة الذين معظمهم من اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨.

وفي ذروة الأعمال العدائية، أدارت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين "الأنروا" ملاجئ طارئة لأكثر من ٥٠،٠٠٠ من المشردين.[٢] فيما لجأ آلاف المهجرين عند عائلات أقربائهم أو أصدقائهم،[٣] بقي العديد من الأشخاص في بيوتهم المتضررة.[٤] وحتى الثاني من شباط؛ ظلت ثلاثة ملاجئ تابعة للأنروا مفتوحة وتأوي ٣٨٨ من الأشخاص المهجرين. وبالرغم من مغادرة معظم الناس لهذه الملاجئ منذ وقف إطلاق النار، إلا أن الآلاف من بينهم ظلوا بدون مأوى.[٥] ويشير التقرير الأولي لتقصي وتقييم الاحتياجات الملحة للأشخاص المهجرين داخليا/ للمأوى العاجل، وفي المواقع التي شملها المسح (٤٨ من بين ٦١ موقعا ليست في مخيمات اللاجئين في قطاع غزة)؛ يشير التقرير المذكور إلى أن حوالي ١١،٠٠٠ أسرة تم تهجيرها، أي أكثر من ٧١،٠٠٠ شخص كانوا يقيمون لدى عائلات مضيفة. وعليه، فإن العدد الإجمالي للأشخاص المشردين داخليا لا يزال غير محدد.[٦]

وذكرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أن "عددا من المناطق، [...] هي أشبه ما تكون بمنطقة قد تعرضت لزلزال قوي – أحياء بكاملها لم يتم التعرف عليها، وبعض المنازل تمت تسويتها تماما بالأرض".[٧] ووفقا لتقييم المبادرة المشتركة لتوفير المأوى العاجل/ NFI للمواقع التي تم مسحها؛ فإن هناك ٤٤،٣٠٦ وحدة سكنية متضررة، إضافة إلى التدمير التام لـ ٤،٢٤٧ مسكنا.[٨]

لقد اقترفت إسرائيل انتهاكات خطيرة للقانون الدولي الإنساني تصل إلى حد جرائم الحرب، وقد شمل التدمير الواسع النطاق للمنازل وللممتلكات المدنية الأخرى غير المبرر بما يعرف بالضرورة العسكرية، حيث تم القيام بذلك بطريقة غير مشروعة وتعسفية. وان الطبيعة الواسعة النطاق لتدمير الممتلكات المدنية وتشريد المدنيين هما أيضا انتهاك لقواعد التمييز بين المدنيين والمحاربين، والتناسب ما بين الفعل والرد عليه، وخاصة في منطقة ذات كثافة سكانية عالية مثل قطاع غزة.

وعلاوة على ذلك، أسفرت الهجمات العسكرية الإسرائيلية عن تدمير واسع النطاق لمستشفيات، مدارس، جامعات، شبكات المياه والصرف الصحي، محطات توليد الكهرباء، الحمامات الزراعية، مؤسسات تجارية والبنية التحتية والطرق.[٩]

التهجير القسري، وفقدان سبل العيش وانعدام إمكانية الحصول على الاحتياجات الأساسية جميعا لها إسقاطات سلبية هامة تؤثر على تمتع السكان المدنيين الفلسطينيين بحقوقهم الأساسية. ومما يزيد الوضع تدهورا هو الحصار المتواصل الذي تفرضه إسرائيل على قطاع غزة، وبخاصة لأنه يحد من وصول المساعدات الإنسانية والبضائع التجارية اللازمة لتلبية الاحتياجات الإنسانية والتأهيل وإعادة الإعمار.[١٠]

التهجير القسري في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧

لا ينبغي للوضع الحالي في قطاع غزة أن يكون ساترا للتهجير الداخلي القسري، وللسلب المستمر للممتلكات الذي تمارسه سلطات الاحتلال الإسرائيلي ضد الفلسطينيين على امتداد الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، بما فيها الضفة الغربية، والقدس الشرقية، وقطاع غزة؛ وذلك على أرضية الحظر والتمييز على أساس الانتماء الوطني، العرق (الإثنية)، العنصر، والدين.

وبعيدا عن التهجير الحالي في قطاع غزة؛ تشير التقديرات إلى أن أكثر ١١٥،٠٠٠ فلسطيني تم تهجيرهم داخليا خلال العقود الأربعة الماضية.[١١] وأن الاحتلال طويل المدى، الاستعمار والتمييز العنصري الممنهج والممأسس هي الأسباب الجذرية لهذا التهجير الداخلي القسري للسكان الفلسطينيين الأصليين، وتجريدهم من ممتلكاتهم. وتأتي سياسات وممارسات إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة بهدف تأكيد سيطرتها على أكبر مساحة من الأرض بأقل عدد من السكان الفلسطينيين.

إن التذرع بأمن السكان وبالضرورات العسكرية لا يمكنها تبرير التهجير القسري للسكان الفلسطينيين. إن الترحيل الفردي أو الجماعي للسكان الاصليين في الأراضي المحتلة، وتهجيرهم بشكل تعسفي خلافا لرغباتهم هي أعمال ممنوعة بموجب القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان، فهذه الممارسات هي انتهاكات خطيرة لمعاهدة جنيف الرابعة وللقانون الدولي العرفي، وخاصة أن ممارستها تتم بطريقة تعسفية وغير مشروعة.

وتستخدم سلطة الاحتلال الإسرائيلية الطرق التالية لتحقيق هدفها غير المشروع بشأن تغيير التركيبة الديمغرافية:

١. هدم البيوت: في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٧ و ٢٠٠٩ قامت إسرائيل بهدم أكثر من ٢٤،١٠٢ بيتا في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ومن ضمنها عمليتها العسكرية الأخيرة في غزة، الضفة الغربية والقدس الشرقية.[١٢] وهناك زيادة ملحوظة في عمليات هدم البيوت والتهجير في محافظة القدس تمت الإشارة إليها مؤخرا من قبل مكتب مفوض الامم المتحدة للشؤون الإنسانية OCHA،[١٣] الأمر الذي يزيد الضغوط على سكان القدس الفلسطينيين لإجبارهم على الرحيل إلى الضفة الغربية.

٢. مصادرة الأراضي والاستعمار الاحلالي: تحتل إسرائيل كامل أراضي الضفة الغربية البالغة مساحتها حوالي ٥،٨٦٠ كيلومتر مربع، وصادرت و/أو ضمت بحكم الأمر الواقع أكثر من ٣،٣٥٠ كيلومتر مربع.[١٤] وقد تم تحويل الأراضي المصادرة من أصحابها الفلسطينيين لاستخدام المستوطنين اليهود، وحصريا من اجل بناء وتوسيع المستوطنات اليهودية غير المشروعة (المستعمرات). ووفقا لمعطيات عام ٢٠٠٨ حسب جهاز الإحصاء المركزي الإسرائيلي؛ فإن حوالي ٢٩٠،٠٠٠ مستعمر/ مستوطن يقطنون في ١٢٠ مستعمرة "رسمية" وعشرات النقاط الاستيطانية "العشوائية" التي أقيمت في جميع أرجاء الضفة الغربية على مدار ٤١ عاما.[١٥] ولكن الإحصاء الرسمي الإسرائيلي لا يعكس واقع ونطاق الطبيعة غير القانونية للنشاطات الاستيطانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة؛ فأكثر من ٣٠ مستعمرة استيطانية تشتمل منشآت عمرانية كثيفة وذات بنى تحتية أقيمت على أراضي خاصة لمالكين فلسطينيين في الضفة الغربية، ولكنها غير مدرجة في الإحصاءات الرسمية للحكومة الإسرائيلية.[١٦]

٣. نظام الإغلاق، والجدار والنظام المرتبط به: يوجد دليل واضح على وجود تهجير داخلي ناتج عن نقص الوصول للخدمات الضرورية بسبب "نظام الإغلاق"، وبناء الجدار والنظام المرتبط به، والذي يجعل الفلسطينيين، وخاصة أولئك القاطنين في جيوب الأراضي المعزولة، في وضع يتعذر فيه الدفاع عنهم. كما أن حرية الحركة ممنوعة على الفلسطينيين بصورة منهجية من خلال نظام محكم من الحواجز العسكرية الإسرائيلية، ونقاط التفتيش على الطرق، إضافة إلى حقيقة أن الطرق الالتفافية والبنية التحتية للمستعمرات اليهودية تجزئ الأراضي الفلسطينية المحتلة.

٤. سياسة الترحيل الهادئ (الترانسفير الصامت): وهذه طريقة إضافية تستخدم من قبل السلطات الإسرائيلية لبلوغ أهدافها الديمغرافية، وبخاصة في القدس الشرقية التي تم ضمها لإسرائيل بطريقة غير قانونية في العام ١٩٦٧. وبموجب هذه السياسة؛ فإن كل فلسطيني من سكان القدس يعيش خارج المدينة لعدد من السنوات يفقد حقه في السكن في القدس الشرقية، وبالتالي يقوم وزير داخلية إسرائيل بإصدار أوامر لهم تقضي بمغادرتهم لبيوتهم، وذلك خلافا للقانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان. فبين عامي ١٩٦٧ و٢٠٠٧ قامت وزارة داخلية إسرائيل بإلغاء حق الإقامة في القدس الشرقية لـ ٨،٢٦٩ فلسطينيا من سكان القدس الأصليين.

٥. عنف المستوطنين واعتداءاتهم على الفلسطينيين: الأعمال العدوانية المنتظمة التي يقوم بها المستوطنون ضد الفلسطينيين وممتلكاتهم، وفي نفس الوقت، غياب أية استجابة فعالة من السلطات الإسرائيلية ذات الصلة لإنفاذ حكم القانون، حيث ينتج عن كلا الأمرين مزيدا من التهجير للفلسطينيين وبصورة رئيسية في المناطق المتاخمة للمستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية.[١٧] وقد تم تسجيل ما مجموعه ٥٢٣ حادثا متصلا باعتداءات المستوطنين بين شهري كانون ثاني ٢٠٠٧ وتشرين أول ٢٠٠٨،[١٨] وبموجب القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان؛ فإن إسرائيل تتحمل مسؤولية توفير الحماية والحفاظ على النظام العام وسلامة السكان المدنيين الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة. ومع ذلك، لا تقوم إسرائيل بتحمل هذه المسؤوليات، فعلى سبيل المثال: ٩٠٪ من التحقيقات في أعمال العنف والاعتداءات التي يرتكبها المستوطنون يتم إغلاقها بدون تقديم أي لوائح اتهام ضد الفاعلين.[١٩]

وبالتالي، فإن الاحتلال العسكري الإسرائيلي المديد لا يمكن اعتباره تدبيرا مؤقتا للحفاظ على القانون والنظام في إقليم معين ما بعد نزاع مسلح، بل هو نظام عسكري استبدادي ونظام عنصري لقوة استعمارية تحت غطاء الاحتلال العسكري. ويتضمن هذا النظام أسوأ سمات الفصل العنصري (الأبارتهايد)؛ مثل: تجزئة الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى مناطق يهودية وفلسطينية، بناء الجدار والنظام المرتبط به للعزل العنصري؛ نظام الفصل على الطرق، نظام الإغلاق والتصاريح الذي يقيد حرية الحركة على أساس الانتماء القومي، العرقي، العنصري والديني.[٢٠]

وأبعد من كل ذلك، ومع استمرار محدودية استجابة المجموعة الدولية، وفشلها في معالجة الأسباب الجذرية للتهجير أو العمل على منعه بصورة فعالة والرد على عملية التهجير الجبرية المستمرة للفلسطينيين، فان المطلوب هو طرح ومعالجة كل ذلك بالارتباط مع مسائل تنفيذ حق العودة إلى الديار الأصلية، وتأمين استعادة الممتلكات، والتعويض.

---

* ملاحظة: بالإمكان قراءة الهوامش على صفحة مركز بديل.

(حق العودة)
دورية تصدر كل شهرين عن
بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
الرقم الدولي المعياري (ISSN): 18149774

تحرير
محمد جرادات
نضال العزة

بيت لحم، فلسطين
ص. ب. ٧٢٨
تلفاكس: ٠٢-٢٧٤٧٣٤٦ ، هاتف ٠٢-٢٧٧٧٠٨٦
بريد الكتروني: camp@badil.org
صفحة الانترنت: www.badil.org